لقد سُلِبَتْ مَمْلَكَتُه؛ ولكنَّه يَستعيدُها.

مَلِكُ المَجْد

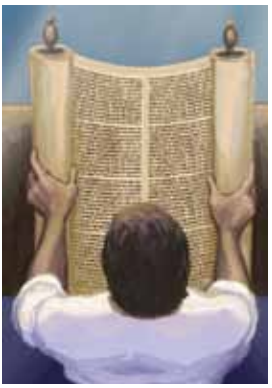

مِنَ

الأَسْفارِ المُقدَّسة

يَرويها

ب. د. برامسِن

رُسومات

أرميندا سان مارتن

ترجمة

رمزي عبَّاد

لِمَجْد المَلِك ولبَرَكةِ الأطفالِ مِنْ جميعِ الأعمارِ

في كلِّ أُمَّة

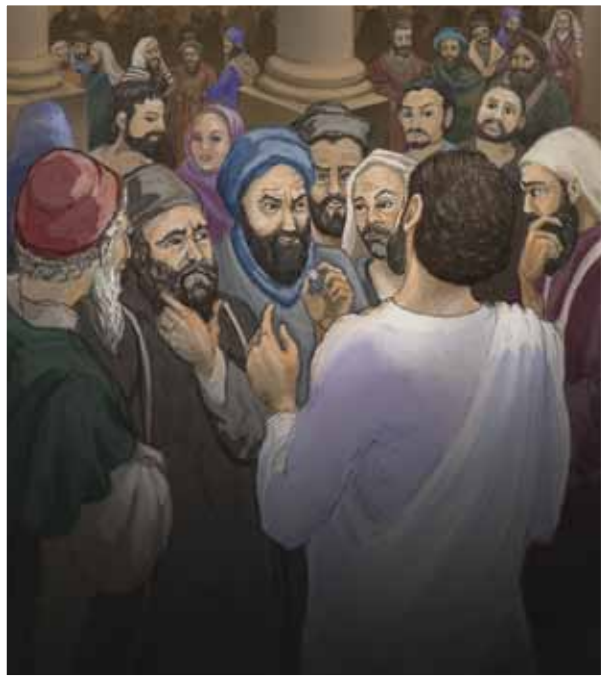

«مأمون؟ ومَن قالَ أيَّ شيءٍ عن الأمان؟
طبعًا هو غيرُ مأمون. ولكنه طيِّبٌ وصالح.
فأنا أقولُ لكم: إنه الملك».

(مِن قصَّةِ «الأسدِ والسَّاحرةِ وخِزانةِ الملابس» للكاتبِ سي أس لويس)

Originally published in English under the Title: «King of Glory» by P. D. Bramsen.
Illustrated by Arminda San Martín
Copyright © 2012 by Rock International
P.O. Box 4766, Greenville, SC 29608, U.S.A.
resources@rockintl.org
www.rockintl.org
www.one-god-one-message.com

All book royalties are reinvested in Rock International projects. To translate *King of Glory* or other Rock publications and broadcasts, contact: resources@rockintl.org

اسمُ الكتاب: مَلِكُ المَجْد
المؤلِّفُ: ب. د. برامسِن
المُترجِمُ: رمزي عبَّاد
الطبعة العربيَّة الأولى ٢٠١٣
النَّاشر: دار منهل الحياة بإذن من Rock International
التصميم الداخلي: دار منهل الحياة
الترقيم الدولي: ISBN 978-9953-530-55-0

حقوق الطَّبع محفوظة

جميعُ الحقوق محفوظةٌ. لا يُسمَحُ بإعادةِ إصدارِ هذا الكتابِ، أو أيِّ جزءٍ منه، أو تَخزينُه في نطاقِ استعادةِ المعلوماتِ أو نقلِها، أو استنساخِهِ بأيِّ شكلٍ منَ الأشكال، دونَ إذنٍ خطِّيٍ مُسبَقٍ منَ الناشر.

الكاتب في سُطور:

وُلد پول دان برامسِن في كاليفورنيا، وقامَ – هو وزوجتُه – بتنشئةِ أبنائِهما الثلاثةِ في السنغالِ في غربِ إفريقيا، وهي بلدٌ على حدودِ الصحراءِ العربيَّةِ الكُبرى، غالبيَّةُ سُكَّانِها مِن المُسلمين. يَكْتُبُ برامسِن لجمهورٍ عريضٍ مِن القُرَّاء. وهو يَكتبُ عن قصصِ الأنبياءِ في الكتابِ المقدَّسِ وفقًا لتسلسلِها التاريخيِّ. ومِن كتاباته: «طريق البِرّ» (برنامجٌ إذاعيٌ مؤلَّفٌ من ١٠٠ حلقةٍ يُذاعُ بحوالى مئةِ لغة)، و «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدة» (كتابٌ [مُترجمٌ إلى ١٢ لغةً مِن بينها العربيَّة] يَرمي إلى مساعدةِ المُتشكِّكينَ الباحثينَ عن الحقِّ في التغلُّبِ على العقباتِ التي يواجهونها في فهمِ قصةِ اللهِ ورسالتِه). وتَنبُعُ كتاباتُ برامسِن مِن شَغفِهِ بالكتابِ المقدَّسِ ومحبتِهِ للهِ ولشعبِه.

الفنَّان في سُطور:

كَتَبَتْ أرميندا سان مارتن (مِن الأرجنتين) تقول: «أكثرُ ما أذكرهُ عن مراحلِ عُمري المختلفةِ أنني كُنتُ أرسم. وبعدَ أن أخذتُ إجازةً لتكريسِ نفسي لأكونَ زوجةً ولتنشئةِ أبنائي، عُدتُ إلى مهنتي عن طريقِ الحصولِ على شهادةٍ في الفنونِ الجَميلة. وقد عملتُ بجدٍّ، واطَّلعتُ على الأساليبِ الفنيَّةِ المختلفةِ في بلدي وفي نيويورك أيضًا (حيثُ عشتُ لبضعِ سنواتٍ في التِّسعينات). وبعد أن عُدتُ إلى الأرجنتين، تَمكَّنتُ من النجاحِ في حياتي المهنيَّةِ عن طريقِ وضعِ الرسوماتِ لبعضِ الكُتبِ التي يتحدَّثُ الجزءُ الأكبرُ منها عن الطبيعةِ والأمورِ الروحيَّة. وقد استخدمتُ كلَّ مهاراتي التي وهبني اللهُ إياها في وضعِ رسوماتِ مَلِك المَجْد. فبالنسبةِ إليَّ، كان هذا المشروعُ حُلمًا تَحَقَّق؛ وهي فُرصةٌ لا تأتي إلاَّ مرَّةً واحدةً في العُمْر. ولا يَسعُني إلاَّ أن أشكرَ الربَّ على هذهِ الفرصةِ الثَّمينة. كما أنني أشكرُ پول برامسِن على موهبتِه الفذَّةِ في الكتابةِ والتحرير. وأشكرُ اللهَ على خبرتِه الواسعةِ وعلى إرشادِه الدائمِ لي لتحقيقِ هذهِ النتيجةِ النهائية». تَعملُ أرميندا حاليًّا كرسَّامةٍ مع العديدِ مِن دُور النَّشْر.

المَشاهِد

وراءَ الكواليس ٨

المشهدُ الافتتاحيُّ ١١

١ . المَلِكُ ومملكتهُ
٢ . المَلِكُ وأنبياؤهُ
٣. المَلِكُ وكَوْنُه

الفصلُ الأوَّل – المَلِكُ يُعلِنُ خُطَّتَه مُسبَقًا ١٩

٤ . اليوم الأوَّل	تكوين ١
٥ . عَالمٌ كامِلٌ	تكوين ١–٢
٦ . الرَّجُل الأوَّل	تكوين ١–٢
٧ . بيْتٌ كاملٌ	تكوين ٢
٨ . نَاموسُ الخطيَّةِ والموت	تكوين ٢
٩ . المرأةُ الأولى	تكوين ٢
١٠ . مَملكةُ النُّور	رؤيا ٤–٥
١١ . مَملكةُ الظُّلمة	إشعياء ١٤؛ حزقيال ٢٨
١٢ . الحيَّة	تكوين ٣
١٣ . الخَيار	تكوين ٣
١٤ . الخطيَّةُ والعار	تكوين ٣
١٥ . الموتُ الرُّوحيُّ	تكوين ٣
١٦ . اللَّعنة	تكوين ٣
١٧ . الوعد	تكوين ٣
١٨ . الذَّبيحةُ الأولى	تكوين ٣
١٩ . الطَّرد	تكوين ٣
٢٠ . الأبناءُ الأوائل	تكوين ٤
٢١ . الخُطاةُ يَتَعَبَّدون	تكوين ٤

٢٢ •	شَريعةُ ذبيحةِ الخطيَّة	تكوين ٤
٢٣ •	مَقبولٌ ومَرفوضٌ	تكوين ٤
٢٤ •	جريمةُ القتلِ الأولى	تكوين ٤–٥
٢٥ •	الصَّبرُ والدَّينونة	تكوين ٦–٧
٢٦ •	بدايةٌ جديدة	تكوين ٨–٩
٢٧ •	بُرْجُ الكِبرياء	تكوين ١١
٢٨ •	**اللهُ** يدعو إبراهيم	تكوين ١٢
٢٩ •	حافِظُ العَهْد	تكوين ١٥
٣٠ •	الاختبارُ النِّهائيُّ	تكوين ٢٢
٣١ •	الابنُ المُدان	تكوين ٢٢
٣٢ •	صُوَرٌ ونُبوءات	تكوين ٢٢
٣٣ •	إلهٌ أمينٌ وقُدُّوسٌ	خروج ١٩–٢٠
٣٤ •	الوصايا العَشْر	خروج ٢٠
٣٥ •	مَزيدٌ مِن الصُّوَر	خروج ٢٠، ٢٤
٣٦ •	مَزيدٌ مِنَ النُّبوءات	المزامير والأنبياء

الفصل الثاني – المَلِك يُنَفِّذ خُطَّته ٨٧

٣٧ •	قصَّة المَلِك تستمر	مَتَّى ١
٣٨ •	قصَّةُ مريم	لوقا ١
٣٩ •	قصَّةُ يوسُف	مَتَّى ١
٤٠ •	وِلادةُ المُخلِّص	لوقا ٢
٤١ •	قِصَّةُ الرُّعاة	لوقا ٢
٤٢ •	قِصَّةُ المَجوس	مَتَّى ٢
٤٣ •	الطِّفلُ الكامِل	لوقا ٢
٤٤ •	حَمَلُ **الله**	يوحنَّا ١
٤٥ •	الابنُ الكامِل	مَتَّى ٣
٤٦ •	الرَّجُلُ الثَّاني	مَتَّى ٤
٤٧ •	المسيَّا–المَلِك	لوقا ٤
٤٨ •	سُلْطانُ يسوعَ على الشياطينِ والأمراض	لوقا ٤
٤٩ •	سُلْطانُ يسوعَ على الرِّياحِ والأمواج	مَرقُس ٤
٥٠ •	سُلْطانُ يسوعَ على الخطيَّة	مَرقُس ٢
٥١ •	سُلْطانُ يسوعَ على الموت	لوقا ٧؛ يوحنَّا ١١
٥٢ •	مُسَدِّدُ الاحتياجات	يوحنَّا ٦
٥٣ •	المُعَلِّم	مَتَّى ٥–٧
٥٤ •	عَظَمَتُهُ	مَتَّى ١٧
٥٥ •	إرساليَّتُه	مَتَّى ١٦، ٢٠
٥٦ •	المَلِكُ يَدخُلُ أورُشليم	مَرقُس ١١
٥٧ •	استجوابُ المَلِك	لوقا ٢٠
٥٨ •	اعتقالُ المَلِك	مَرقُس ١٤
٥٩ •	إدانَةُ المَلِك	يوحنَّا ١٨
٦٠ •	تَتويجُ المَلِك	مَتَّى ٢٧
٦١ •	صَلْبُ المَلِك	لوقا ٢٣
٦٢ •	المُخَلِّصُ–المَلِك	لوقا ٢٣
٦٣ •	الذَّبيحةُ الأخيرة	مَتَّى ٢٧
٦٤ •	دَفْنُ المَلِك	مَتَّى ٢٧
٦٥ •	القبرُ الفارغ	مَتَّى ٢٨
٦٦ •	رسالةُ الأنبياء	لوقا ٢٤
٦٧ •	جَسَدٌ مُخْتَلِف	يوحنَّا ٢٠
٦٨ •	صُعودُ يَسوع	أعمال ١
٦٩ •	الاحتفالُ بالنَّصر	المزمور ٢٤؛ رؤيا ٥
٧٠ •	المَلِكُ يَعودُ ثانيةً	رؤيا ١٩–٢٢

المشهدُ الخِتاميُّ ١٥٧

- الحياةُ السَّعيدة
- الخبرُ المُحْزِن
- الخبرُ المُفرِح
- تَجاوبُكَ مع المَلِك

مَلاحِقُ إضافيَّة ١٦٧

- أسئلةٌ للمُراجعة
- مُلاحظاتٌ خِتاميَّة
- مَزيدٌ مِنَ العُمق

وراءُ الكواليس

كانت أليسُ قد بدأت تَتعبُ جدًّا مِنَ الجلوسِ بجانبِ أختِها على المِقعدِ الخشبيِّ دونَ أن تَفعلَ شيئًا. وقد اخْتَلَسَتِ النَّظرَ مرَّةً أو مَرَّتينِ إلى الكتابِ الذي كانت أختُها تقرأُه، ولكنه كانَ يخلو مِن الصُّورِ والأحاديثِ المُتبادَلة. وعندها، فَكَّرت أليسُ قائلةً: «ما الفائدةُ مِن كِتابٍ يخلو مِنَ الصُّوَرِ والأحاديثِ المُتبادَلة؟»

(السُّطورُ الافتتاحيَّةُ مِن مُغامراتِ «أليسُ في بلادِ العجائب» للكاتب: لويس كارول، ١٨٦٥).

الكتابُ الذي أنتَ مُوشِكٌ على قراءتِه مليءٌ بالصُّورِ والأحاديثِ المُتبادَلة. ولكنه يَختلِفُ عن القصَّةِ الخياليَّةِ «أليسُ في بلادِ العجائب».[1] فالصُّورُ والأحاديثُ في «مَلِكِ المَجْدِ» مُستَمَدَّةٌ مِن قصَّةٍ حَدَثَتْ بالفِعْل.[2]

لقد تَرَدَّدتُ قليلاً في تأليف كتابٍ مُصَوَّرٍ عن أعظمِ قصَّةٍ عَرَفها الإنسان.

وقبلَ بضعِ سنواتٍ، كُنتُ قد حضرتُ دَورةً تدريبيَّةً في إنتاجِ البرامجِ الإذاعيَّة. وفي اليومِ الأوَّلِ، طَرَحَ الأستاذُ السُّؤالَ التالي: «ما هيَ إحدى السِّماتِ التي تُمَيِّزُ المِذياعَ (الرَّاديو) عنِ التلفاز؟» وقد كانت إجابتُه مُدهِشةً لنا جميعًا. فقد قال:

«المِذياعُ يَعْرِضُ صُوَرًا أفضل!»

وهذا صحيح!

فحتَّى أفضلُ الأفلامِ ذاتُ الميزانيَّةِ الضَّخمةِ، تُناضِلُ في سبيلِ مُضاهاةِ قُدرةِ العقلِ البشريِّ على ترجمةِ الكلماتِ البسيطةِ إلى صُوَرٍ ذِهنيَّةٍ حَيَّة. وقد نَجَحَتِ الأسفارُ الكتابيَّةُ القديمةُ التي كَتَبَها أنبياءُ الله في رَسْمِ مئاتِ الصُّوَرِ الكَلاميَّةِ التي لا يُمكنُ لأيِّ فيلمٍ أن يُظْهِرَها على نَحْوٍ مُرْضٍ، والتي لا يُمكن لأعظمِ فَنَّانٍ بَشريٍّ أن يَرسمها تمامًا.

لهذا، فأنا أعترفُ بتقصيري. فلا يُمكِنُ لأيِّ عَمَلٍ فَنِيٍّ أن يُصَوِّرَ أعظمَ قِصَةٍ سُرِدَت عَبْرَ التَّاريخ. مع ذلك، فقد كانتِ المُحاولةُ مُمتِعة.

وقد قامت رَسَّامَتُنا الموهوبةُ والمُبدعةُ «أرميندا سان مارتن» (Arminda San Martin)، مِن الأرجنتين، بجُهدٍ رائعٍ ودقيقٍ في ترجمةِ القصصِ الكِتابيَّةِ مِن كلماتٍ إلى رُسومات. وقد استخدمت قلمًا إلكترونيًّا وفُرشاةً إلكترونيَّةً لإنهاءِ الرُّسوماتِ المبدئيَّةِ والنهائيَّةِ في فترةٍ لم تتجاوز الأربعةَ عشرَ شهرًا. وما أرجوهُ هو أن تُعجِبَكَ رسوماتُها كما أُعْجِبْتُ أنا بها.

والآن، فَكِّر في ما يلي:

إذا أردنا أن نَقرأَ قِصَّةً ما، فمِنْ أينَ نبدأ؟ هل نبدأُ مِن المُنتَصَف؟ لا! بل نبدأُ مِن البداية. فحينئذٍ فقط، يُمكنُنا أنْ نَفهمَ القصَّةَ كما ينبغي. كذلكَ، لكي نَفهمَ الأسفارَ المُقدَّسةِ، يجبُ علينا أن نَبدأَ مِن البداية، وأن نَتبعَ خُيوطَ القصَّةِ إلى أن نَصِلَ إلى نهايتِها المنطقيَّةِ والمُقْنِعَة.

وتحتوي كتاباتُ الأنبياءِ على العديدِ مِن القِصصِ القصيرةِ التي تُشَكِّلُ معًا قصَّةً واحدةً. وأثناءَ كتابتي لقصَّةِ «مَلِكِ المَجْد»، شَعَرْتُ بأنِّي بُسْتانيٌّ طُلِبَ منه أن يَمشيَ في حديقةٍ كبيرةٍ مليئةٍ بالوردِ الرَّائعة، وأن يَنْتَقِيَ منها بِضعَ عشراتٍ لتنسيقِها في باقَةٍ واحدةٍ تَعْكِسُ رَوعةَ الحديقةِ بِرُمَّتِها. ولتأليفِ هذهِ القصَّة، اخْتَرْتُ بِضْعَ عشَراتٍ مِن القِصصِ الرئيسَةِ مِن الأسفارِ المُقدَّسة، وَأَعَدْتُ تَرتيبَها في ٧٠ مشهدًا دراميًّا، في مُحاولةٍ لإظهارِ رَوعةِ ومَجْدِ المَلِكِ السَّرمدي الذي أعلنَ عن ذاتِه في التَّاريخِ البشريِّ.

وصلاتي إلى الله هي أن تكونَ هذهِ القصَّةُ الحقيقيَّةُ وهذه الرُّسوماتُ مُلْهِمَةً للقُرَّاءِ مِن مُختلَفِ الأعمارِ لكي يستمتعوا بكتاباتِ الأنبياءِ، ولكي يَقَعوا في حُبِّ الإلهِ الذي يَتَحَدَّثُ عنه هؤلاءِ الأنبياء، ولكي يَنضمُّوا إلى الملكوتِ السَّعيدِ الذي لا نهايةَ له.

مِنْ أجل صورةٍ واضحةٍ،

ب. د. برامسِن

المشهد الافتتاحيُّ

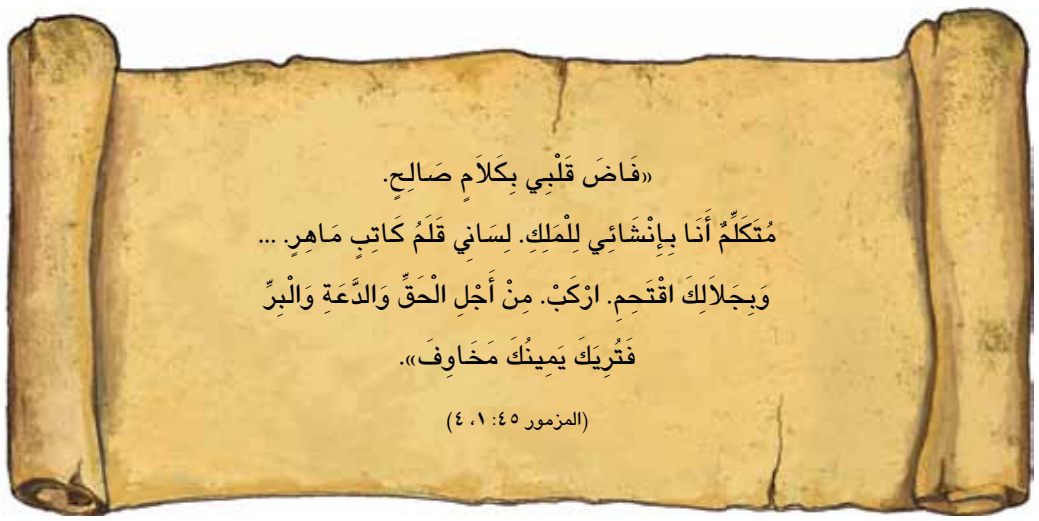

المشهد ١
المَلِكُ ومملكتُهُ

قبلَ أن يبدأَ العالمُ بوقتٍ طويلٍ، كانَ هُناكَ مَلِكٌ، مَلِكُ المَجْد. وكانَ هذا الملكُ أعلى وأسمى مِن كلِّ شخصٍ أو شيءٍ يُمكنُنا أنا وأنتَ أن نَتخيَّلَه. فمُنذُ الأزَلِ السَّحيقِ، كان هذا المَلِكُ هو المَلِكَ الوحيد. وكانت مَملكتُهُ هي المملكةَ الوحيدة. فهيَ عالمٌ مِن الحِكمةِ الكاملةِ، والمحبَّةِ الكاملةِ، والفَرَحِ الكاملِ، والسَّلامِ الكامل. ولم تَكُنْ هذهِ المملكةُ بحاجةٍ إلى شمسٍ أو نُجومٍ لأنَّ المَلِكَ نفسَهُ كان نُورَها.

ومع أنَّ المملكةَ كانت غيرَ محدودةٍ في حَجمِها، إلاَّ أنَّها كانت مَحدودةً في رعاياها أو سُكَّانِها. بل إنَّ البعضَ يقولُ إنَّ المَلِكَ لم يَكُنْ له رَعايا قَطّ.

أَم أنَّه كانت لديه رَعِيَّةٌ؟

إنَّ أحدَ الأسرارِ الأُولى لهذا المَلِكِ هيَ أنه حَتَّى عندما كانَ وَحْدَهُ، فهو لم يَكُن وَحيدًا في يومٍ مِن الأيَّام.

ومع ذلك، فقد أرادَ أن يُشارِكَ حياتَهُ مع كائناتٍ عاقلةٍ أُخرى.

لهذا، فقد قامَ هذا المَلِكُ الصَّالحُ والحكيمُ بِخَلْقِ عَالَم سَماويٍّ يَحتوي على ملايينِ الكائناتِ الروحيَّةِ البهيَّةِ والفائقةِ الذَّكاءِ تُدعى «ملائكة». وقد كانَ يَعرِفُهم جميعًا بأسمائهِم. كما أنه أرادَ لهذه الملائكةِ أن تَعرفَهُ أيضًا. وقد كانتِ الحياةُ مع المَلِكِ مُغامرةً لا تَنتهي.

ولكنَّ المَلِكَ أرادَ ما هو أكثرُ مِن عالَمِ الملائكة. لهذا، فقد خَلَقَ عالمًا يحتوي على زمانٍ، ومَكانٍ، ومادَّةٍ؛ وهو عالمٌ مُذهِلٌ يحتوي على كوكبٍ جَميلٍ سيُصبحُ موطِنًا لمجموعةٍ مِن الكائناتِ البديعةِ التي تُدعى «بَشَرًا». وخلافًا للملائكةِ، بدأتِ العائلةُ البشريَّةُ بشخصينِ فقط: رَجُلٌ وامرأة. وكما هو حالُ الملائكةِ، فقد أرادَ المَلِكُ أن يُشارِكَ حياتَهُ معهما أيضًا.

ثُمَّ حَدَثَ شيءٌ ما، شيءٌ مُريع! فقد حَدَثَ تَمَرُّدٌ في المملكةِ؛ في السَّماءِ أولاً، ثُمَّ على الأرض. فقد استولى ملاكٌ مُتمرِّدٌ على المملكةِ الأرضيَّةِ عن طريقِ الاستيلاءِ على ساكِنيها. ولكنَّ المَلِكَ لم يُصْدَمْ بما حَدَث. فقد كانت هناكَ، في أعماقِ قلبِ المَلِكِ، خُطَّةُ إنقاذٍ عظيمةٌ جدًّا، وعجيبةٌ جِدًّا، ورائعةٌ إلى أبعدِ الحدود، وبعيدةُ المدى بحيثُ يَستغرقُ تطبيقُها آلافَ السِّنين. وهل هناك شيءٌ آخرُ تَتوقَّعُه مِن هذا المَلِكِ السَّرمديِّ؟ إنه موجودٌ خارجَ نِطاقِ الزَّمَن!

المشهد ٢
المَلِكُ وأنبياؤُه

لكي تَعرفَ المَلِكَ وخُطَّته، يجبُ أن تَعرفَ كِتابَه. فعلى مَدى أكثرِ مِن ١٥ قَرْنًا، اختارَ المَلِكُ حوالى ٤٠ شخصًا لتدوينِ قِصَّتِه ورسالتِه؛ وقد دُعيَ هؤلاءِ بالأنبياء. وقد أعطاهمُ المَلِكُ كلماتِه التي دَوَّنوها في أسْفارٍ يُمكنُ نَسْخُها، وتوزيعُها، وحِفْظُها للأجيالِ القادمة. ومع أنَّ غالبيَّةَ الأنبياءِ لم يكونوا يَعرفونَ بعضُهم بعضًا، إلاَّ أنَّ كِتاباتِهم تُؤلِّفُ معًا قِصَّةً واحدةً ورسالةً مُنسَجِمَة.

وتُدعى كتاباتُ الأنبياءِ الأسفارَ المُقدَّسة. ولولا هذهِ الأسفارِ لَكانَ أفضلُ ما يُمكنُنا عَمَلُه هو تَخمينُ المكانِ الذي جِئنا منه، وسببُ وجودِنا هُنا، والمكانُ الذي نحن ذاهبون إليه. فلكي نَعرفَ الإجاباتِ الصحيحةَ، فإننا بحاجةٍ إلى كتابِ المَلِك.

وقَبلَ حوالى ٣٥٠٠ سنة، أوحى **اللهُ** إلى نَبيٍّ يُدعى مُوسى كي يَكْتُب:

«لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ» (تثنية ٨: ٣).

وفي وقتنا الحاضر، فإنَّ كلماتِ المَلِكِ مَجموعةٌ مَعًا في كتابٍ واحدٍ هو الكِتابُ المُقدَّس. وكلمةُ «مُقدَّس» تَعني: نَقِيٌّ، وطاهِرٌ، ومُنفصلٌ عن كلِّ شيءٍ آخَر. والكتابُ المُقدَّسُ هو مجموعةٌ مِن الكُتب. كما أنه أكثرُ الكُتبِ مبيعًا وترجمةً في العالم. وهناكَ آلافُ البرديَّاتِ والمخطوطاتِ الجلديَّةِ التي تُبرهنُ على أنه أفضلُ الكُتُبِ القديمةِ التي حُفِظَت على مَرِّ السِّنين.[٣]

ويُقْسَمُ الكتاب المُقدَّس إلى قِسمين:

الأوَّلُ هو العهدُ القديمُ (التوراة، والمزامير، الخ)؛ وهو الجُزءُ الذي تَحَدَّثَ فيه المَلِكُ عن خُطَّتِه.

والجُزءُ الثاني هو العهدُ الجديدُ (الأناجيل، وسِفْرُ أعمالِ الرُّسُل، الخ)؛ وهو الجُزءُ الذي نَفَّذَ فيه المَلِكُ خُطَّته.

وكلمةُ «عَهْد» تعني عَقْد، أو اتِّفاق. والعهدُ القديمُ يُخْبِرُنا عمَّا خَطَّطَ **اللهُ** للقيامِ به. أمَّا العهدُ الجديدُ فيُدوِّنُ لنا تَنفيذَ خُطَّتِه. و**اللهُ** هو الوحيدُ القادرُ على كتابةِ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ قبلَ حدوثِها.

والفَرقُ بينَ العهدِ القديمِ والعهدِ الجديدِ هو الفَرقُ بين مَلِكٍ عَظيمٍ يُرسلُ لكَ رسائلَ وصُوَرًا، وبينَ أنْ يأتيَ هذا المَلِكُ لزيارتِكَ شخصيًّا.

وقد جاءتِ الأسفارُ المُقدَّسةُ في بادئِ الأمرِ إلى الشَّرقِ الأوسطِ، وإفريقيا، وأسيَّا، وأوروبا، ثُمَّ إلى الأميركيّتين والبلادِ الأخرى. كما أنَّ الأنبياءَ جاؤوا مِن الشَّرقِ الأوسط. ومع ذلك، فإنَّ الرِّسالةَ التي دَوَّنوها هي لكُلِّ أُمَّةٍ، ولكُلِّ عائلةٍ، ولكُلِّ شخص.

ولَكَ أنْتَ شَخصيًّا!

المشهد ٣
المَلِكُ وكَوْنُه

لو كانَ باستطاعتِنا أن نَنتقلَ عبرَ الزَّمانِ والمكانِ
إلى الوراء،
إلى الوراء،
إلى الوراء،

قَبلَ أن يكونَ هناكَ أُناسٌ ونباتاتٌ ونجومٌ، لكانَ بمقدورِنا أن نَشْهَدَ القُوَّةَ والمجدَ الكامِنَيْنِ وراءَ الكلماتِ الأولى في الكتابِ المُقدَّس:

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» (تكوين ١: ١).

ففي وقتِنا الحاضرِ، يَعتقدُ كثيرونَ أنَّ العالمَ وكلَّ ما فيه مِن أشياءٍ عجيبةٍ قد وُجِدَت بدونِ خالقٍ حكيم. ولكنَّ نظريَّاتِهم لا تُفَسِّرُ على نحوٍ كافٍ التَّصميمَ المُعقَّدَ لهذا الكونِ والنِّظامِ المحسوبَيْنِ لكلِّ ما فيه.

ولكنَّ المَلِكَ يقولُ في كتابِه:

«اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ» (المزمور ١٩: ١).

وطالما أنَّنا نَتحدَّثُ عن الأيدي، انظُرْ إلى يديْك، وَحَرِّكْ إبهامَيْك، وحاوِلْ أن تَحملَ كتابًا، أو مِكنسةً، أو مِطرقةً بدونِهما. لاحِظْ أظافرَ اليديْن، والمفاصلَ، والجِلْد. فَكِّرْ في بعضِ الأشياءِ المُهمَّةِ التي تَفعلُها بيديْك. فَمَن غيرُ الخالِقِ المُبْدِعِ يُمكنُه أن يُصَمِّمَ أدواتٍ كهذه؟

وما هو نَوعُ الحِكمةِ والقُدرةِ المطلوبَتيْنِ لصُنعِ ألفِ مليونِ مَجَرَّة؟ أو لخَلْقِ خَلِيَّةٍ حَيَّةٍ بما تحتوي عليه مِن ملايينِ الأجزاءِ المُعقَّدة؟ أو لِنَسْجِ الخيوطِ المجهريَّةِ التي تَحملُ الجيناتِ الوراثيَّةَ التي تَجعلُكَ مُميَّزًا أو مُختلِفًا عن الآخرين؟

قَبلَ حوالى ثلاثةِ آلافِ سنة، كَتَبَ النبيُّ والمَلِكُ داود:

«لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا» (المزمور ١٣٩: ١٣–١٤).

فهل تُريدُ أن تَلتقيَ بالشَّخصِ الذي كَوَّنَك؟ وهل تُريدُ أن تَحيا إلى الأبدِ مع خالقِ المَجَرَّاتِ وصانِعِها؟ يُمكنُك ذلك. فقد أعلَنَ الخالقُ عن ذاتِه. وهو يُريدُكَ أن تَعرفَه. كما أنه يُريد لعائلتِك ومُجتمعِكَ أن يعرفوه أيضًا. وهو يَدعوك إلى فهمِ خُطَّتِه، وإلى اختبارِ مَحَبَّتِه، وإلى التأمُّلِ في جَلالِه، وإلى الخُضوعِ لسُلطانِه، وإلى العَيشِ مِن أجلِ تمجيدِه. ولكنه لن يُرغمَكَ على أن تكونَ أحدَ رعاياه.

وفي النِّهاية، فهو ليسَ مُجرَّد مَلِكٍ، بل هو المَلِك؛ إنه مَلِكُ المَجْد. وهذهِ هي قِصَّتُه.

الفصل الأوّل

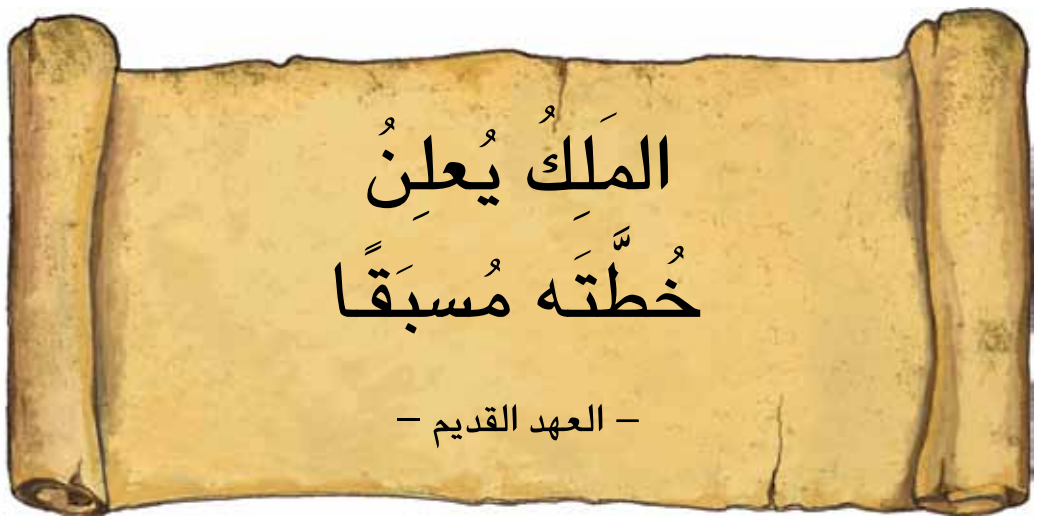
المَلِكُ يُعلِنُ
خُطَّتَه مُسبَقًا
– العهد القديم –

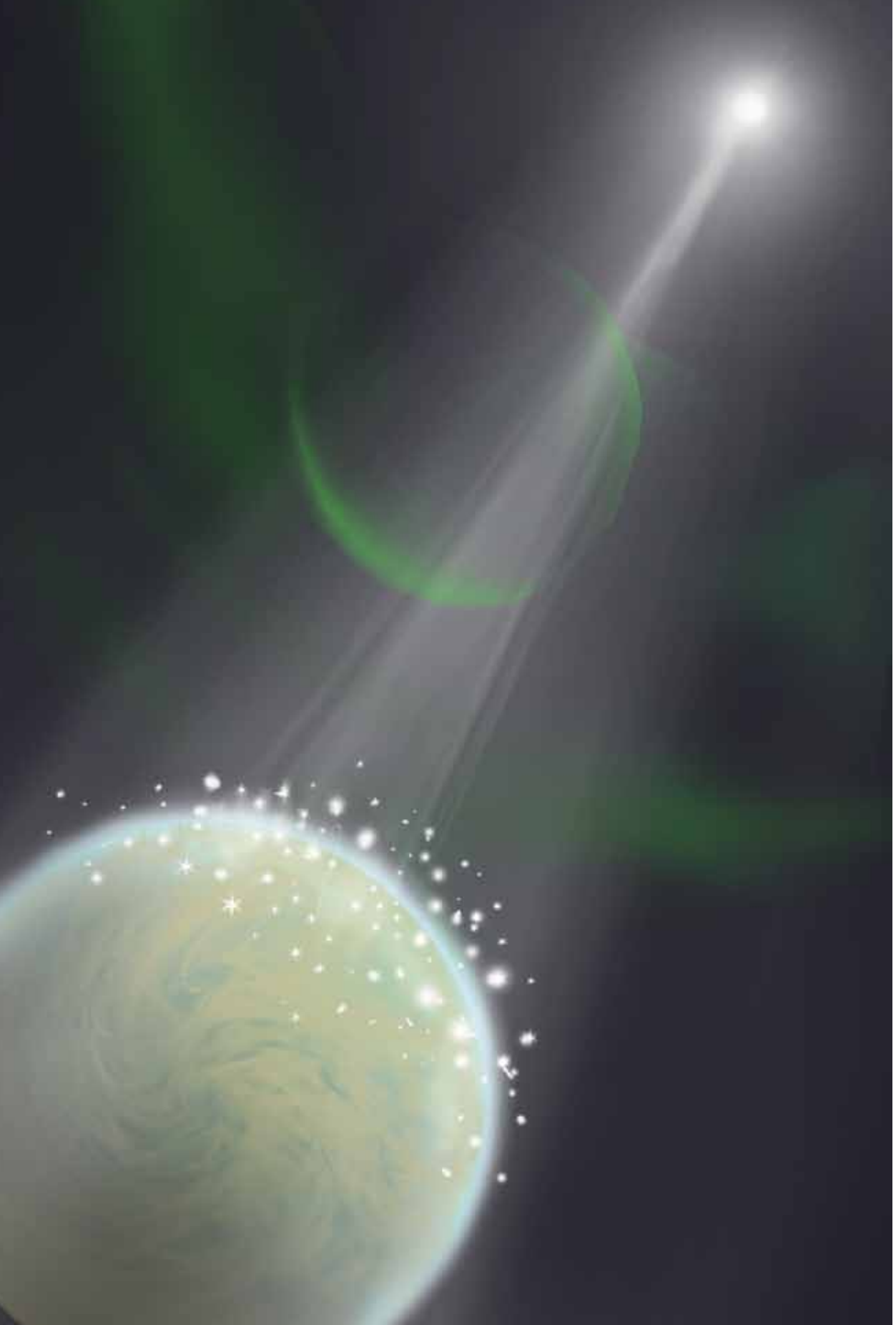

المشهد ٤
اليومُ الأوَّل

يبدأُ كتابُ **اللهِ** بدايةً تَليقُ بمَلِك. فهو يُخبرُنا بما ينبغي لنا أن نَعرفَه، وليسَ أكثر:

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ **اللهُ** السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» (تكوين ١: ١).

وهكذا، فإنَّ كلَّ ما يُمكنُنا رؤيتَه ولَمْسَه له بداية. ولكنَّ خالقَ الكونِ ومالكَه ليس له بدايةٌ ولا نهاية. وهو لا يُرى، وهو روحٌ أزليٌّ يستطيعُ أن يكونَ في كلِّ مكانٍ في الوقتِ نفسِه. وهو يرى ويعرفُ كلَّ شيء.

فهل تعرف اسمَه؟ إنَّ **للهِ** عِدَّةَ أسماءٍ، ولكنَّ أكثرَها شُهرةً هو: «الربُّ». وفي اللُّغاتِ الأصليَّةِ التي كُتِبَ بها كتابُ **اللهِ**، فإنَّ اسمَه هو: «يَهْوَه» والذي يَعني: «الكائِن»، أو ببساطة: «أنا هُوَ».

وتستمرُ قصَّةُ الخَلْقِ بوصفِ المَلِكِ للأرضِ الأصليَّة:

«وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ [المياه] ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ **اللهِ** يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ» (تكوين ١: ٢).

والآن، حانَ الوقتُ لإعدادِ كوكبِ الأرضِ لاستقبالِ البَشَر:

«وَقَالَ **اللهُ**: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى **اللهُ** النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ **اللهُ** بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا **اللهُ** النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا» (تكوين ١: ٣–٥).

إذًا، ما الذي فَعَلَهُ **اللهُ** في اليومِ الأوَّلِ للخَلْق؟ لقد أمَرَ النُّورَ أن يَخْتَرِقَ الظُّلمة. وفي وقتٍ لاحق، سوف تُشْرِقُ الشَّمسُ على الأرض، ولكِنْ ليسَ في اليومِ الأوَّل. فـ**اللهُ** يُريدُنا أن نَعرفَ أنه هو مَصْدَرُ النُّور:

«وَهذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ **اللهَ** نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ» (١ يوحنَّا ١: ٥).

إنَّ **اللهَ** طاهرٌ ونقيٌّ كالنُّور. وهو لا يُمكنُ أن يَتلوَّثَ أو أن يَفقِدَ طهارتَه. فحتَّى عندما يُشرقُ النُّورُ على القمامةِ والقاذوراتِ، فإنه لا يفقِدُ نقاوتَه وطهارتَه. وهكذا، فـ**اللهُ** كاملٌ وقُدُّوس.

هل لاحظتَ مَن كانَ هناكَ مع **اللهِ** في موقعِ الخَلْق؟ لقد كان رُوحُه القُدُّوسُ هناكَ يُرَفْرِفُ على سَطْحِ المِياه. كذلكَ، فقد كان كَلِمَتُهُ هناك أيضًا، يَتَحَدَّث:

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ **اللهِ**، وَكَانَ الْكَلِمَةُ **اللهَ**. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ **اللهِ**. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ ...» (إنجيل يُوحنَّا ١: ١–٣).

إذًا، فقد كان رُوحُ **اللهِ** وكلمتُه دائمًا مع **اللهِ** الواحدِ الحقيقيِّ. لهذا، فقد قُلنا عنِ المَلِك:

«حَتَّى عندما كان وَحْدَهُ، فهو لم يَكُن وَحيدًا في يومٍ مِن الأيَّام».

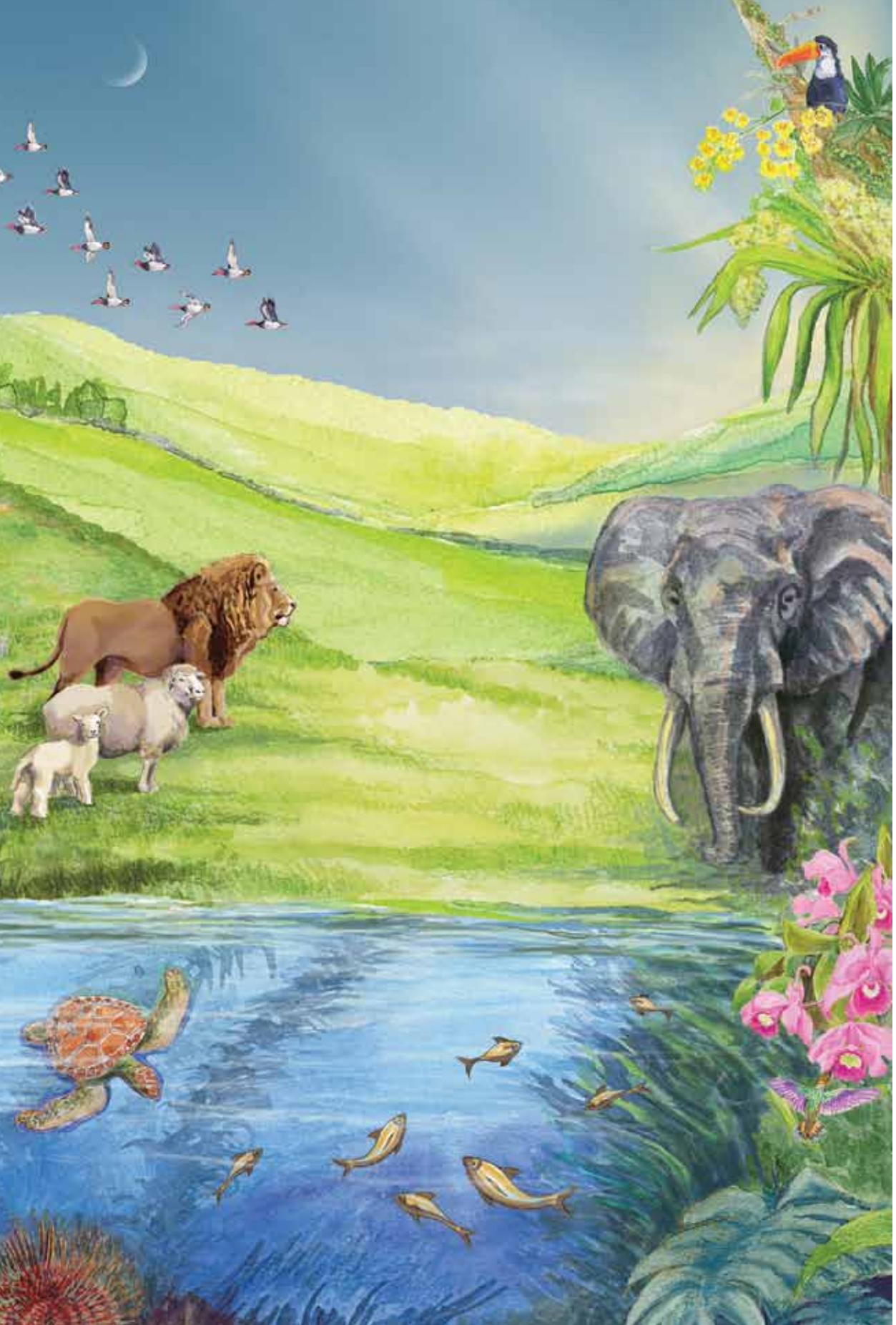

المشهد ٥
عالمٌ كامِلٌ

في سِتَّةِ أيَّامٍ مُنتظِمةٍ، خَلَق المَلِكُ عالمًا جميلاً ورائعًا. فقد تَكَلَّمَ **اللهُ** فظهرتِ الحياةُ الرائعةُ بجميعِ صُوَرِها وأشكالِها. ففي اليومِ الأوَّلِ، قالَ **اللهُ**: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. وفي اليومِ الثَّاني، خَلَق **اللهُ** الغِلافَ الجويَّ والسَّماءَ الزَّرقاءَ التي نراها، والهواءَ الذي نَتَنَفَّسُه. وقد خَلَقَ **اللهُ** السَّماءَ وأوجدَ فيها خليطًا كاملاً مِن الغازاتِ المُهمَّةِ والضروريَّةِ لحياتِنا (كالأوكسجين والنيتروجين). وفي اليومِ الثَّالثِ، قالَ **اللهُ**: «لِتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ»، فكَانَ كَذلِكَ. ثُمَّ قال **اللهُ**: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ»، فَكَانَ كَذلِكَ.

وفي اليومِ الرَّابعِ، أمَرَ **اللهُ** الشَّمسَ والقمرَ بالظُّهورِ ليتَحَكَّما بالسَّنواتِ والشهورِ والأيَّامِ على الأرض. كما أنه خلَقَ النُّجومَ أيضًا. وفي اليومِ الخامسِ، قالَ **اللهُ**: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ»، فكانَ كذلك. وفي اليومِ السَّادسِ، قالَ **اللهُ**: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا»، فكان كذلك. وبهذا، فقد أعطى **اللهُ** كلَّ كائنٍ حَيٍّ القُدرةَ على إنتاجِ نَسْلٍ مِن نفسِ نوعِه. كما أنه أعطاها القُدرةَ على العنايةِ بصغارِها.

«وَرَأَى **اللهُ** ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ» (تكوين ١: ٢٥).

وعَمَّ السَّلام. ففي البدءِ، كانت جميعُ الحيواناتِ أليفة. فهي لم تَكُنْ تَقتلُ بعضها بعضًا ولا تأكُلُ لحمَ بعضِها بعضًا. بمعنًى آخرَ، فقد كانت جميعُها تَتغذَّى على النَّباتات. كذلك، فقد عَمَّ النِّظام. فالشَّمسُ ستحتفظُ بِبُعْدِها المُناسبِ عن الأرض. والقمرُ سَيَتَغيَّر مِن مَرحلةٍ إلى أُخرى حَسَبَ التَّصميمِ الذي وَضَعَهُ الخالقُ له. والأرضُ سَتَدورُ بنظامٍ مُحَدَّدٍ ولن ينقصَها أيُّ شيءٍ مِن الخير. لذلك، سوف تكونُ الأرضُ هي مَوْطِنُ الإنسان.

ويُمكنُنا أن نرى أنَّ كلَّ يومٍ مِن أيَّامِ الخَلْقِ يُعطينا فِكرةً عن حقيقةِ **الله**:[٤]

فاليومُ الأوَّلُ يُرينا أنَّ **اللهَ** قُدُّوس. فهوَ كاملٌ وطاهرٌ كالنُّور.
واليومُ الثَّاني يُرينا أنَّ **اللهَ** كُليُّ القُدرة. فهو الذي خَلَقَ الغلافَ الجويَّ وحافظَ عليه.
واليومُ الثَّالثُ يُرينا أنَّ **اللهَ** صَالح. فهو الذي خَلَق آلافَ النباتاتِ والأطعمةِ مِن أجلِنا.
واليومُ الرَّابعُ يُرينا أنَّ **اللهَ** أمين. فالشَّمسُ والقمرُ يَبقيانِ في مدارِهما.
واليومُ الخامسُ يُرينا أنَّ **اللهَ** حَياة. فهو الذي خَلَقَ الكائناتِ البحريَّة والطُّيورَ في السَّماء.
واليومُ السَّادسُ يُرينا أنَّ **اللهَ** مَحَبَّة. فبعدَ أن خَلَقَ **اللهُ** الحيواناتِ، حانَ الوقتُ لخَلْقِ الكائناتِ التي سيَسْكُبُ فيها محبَّته.

أجل، لقد آنَ الأوانُ لخَلْقِ الكائناتِ الحيَّةِ التي يُمكنُها أن تَعكسَ قَداستَه، وقُدرتَه، وصَلاحَه، وأمانتَه، وحياتَه، ومحبَّتَه.

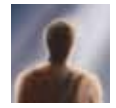

المشهد ٦

الرَّجُلُ الأوَّل

في اليوم السَّادسِ للخَلْق، تَكَلَّمَ المَلِكُ مَع نفسِه (**اللهُ**، وروحُه القُدُّوسُ، وكلمتُه) قائلاً:

نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا،[٥] فَيَتَسَلَّطُونَ ... عَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ .... فَخَلَقَ **اللهُ** الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ **اللهِ** خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ» (تكوين ١: ٢٦–٢٧).

وعندما يقولُ الكتابُ المُقدَّسُ إنَّ **اللهَ** خَلَقَ الناسَ على صورتِه، فهذا لا يعني أنَّ **اللهَ** مِثلُنا. بل المقصودُ هنا هو أنه ينبغي لنا أن نَعكسَ طبيعتَه وشخصيَّتَه. وكما أنَّ القِطَعَ النقديَّةَ الرومانيَّةَ تُختمُ بصورةِ الإمبراطورِ، فقد خُتِمَت صُورةُ **اللهِ** على البشريَّة. وكانَ أوَّلُ رَجُلٍ وأوَّلُ امرأةٍ خلقهما **اللهُ** يَمتلكانِ القُدرةَ أنْ يُفَكِّرا، وَأنْ يُحِبَّا، وأنْ يَتَحَدَّثا كَالخالِقِ لكي يَتَمَتَّعا بالشَّركةِ الحُلوةِ معه. فالنَّاسُ لم يُخْلَقوا – في الأصلِ – ليكونوا عبيدًا **للهِ**، بل أصدقاءَه وأحِبَّاءَه.

وعندما خَلَقَ **اللهُ** الإنسانَ على صورتِه، فقد أعطاهُ سُلطانًا. فقد كانَ ينبغي على النَّاسِ أن يَعتنوا بالأرضِ وأن يتسلَّطوا عليها نيابةً عن **اللهِ**، وأن يكتشفوا أسرارها، وأن يَستخدموا مواردَها بحكمة. وهذه القُدراتُ جَعَلَت البشرَ مُمَيَّزينَ عن مملكةِ الحيوان.

فـ**اللهُ** أعطى الحيواناتِ عُنصرَيْن: الجَسدَ، والنَّفس.

ولكنَّه أعطى الإنسانَ ثلاثةَ عناصر: الجسدَ، والنَّفسَ، والرُّوحَ:

«وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ،[٦] وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً» (تكوين ٢: ٧).

إذًا، لقد كانَ الجسدُ مُجَرَّدَ منزلٍ نَفَخَ **اللهُ** فيه فأعطاه نَفْسًا ورُوحًا. وعندما نَتحدَّثُ عن النَّفسِ فإننا نَعني بها الذكاءَ الشخصيَّ، والعواطفَ، والإرادة؛ وهي الأمورُ التي تُمَكِّنُ الإنسانَ مِن التفكيرِ، والشُّعورِ، والاختيار.

أمَّا الجانبُ الرُّوحيُّ فرَبَطَ الإنسانَ **بالله**. وفي حينِ أنَّ الجسدَ مَكَّنَ الإنسانَ مِن التَّواصُلِ مع العالمِ المرئي، فإنَّ الرُّوحَ مَكَّنَهُ مِن التَّواصُل مع **اللهِ** غيرِ المرئي. وهذا يُرينا أنَّ **اللهَ** أرادَ للبَشَر أن يَعرفوه. وقد كانَ البَشَرُ هُم خليقةُ **اللهِ** المُميَّزة. ومُنذ أن خَلَقَ **اللهُ** البَشَرَ، أصبح هو خالقَهُم ومالكَهُم أيضًا.

وقد أَطْلَقَ **اللهُ** اسمَ «آدم» على أوَّلِ رَجُل. وكلمةُ «آدم» تعني: «مِن الأرض»، أو ببساطة: «إنسان». وفي وقتٍ لاحقٍ، كان **اللهُ** قد عَقَدَ العَزْمَ على أن يَخلقَ المرأةَ الأولى. ولكن قبل القيامِ بذلك، كانت هناكَ بعضُ الاستعداداتِ اللازمةِ.

فقد كانَ آدمُ بحاجةٍ إلى بيتٍ وعمل.

المشهد ٧

بيتٌ كاملٌ

بعدَ أن خَلَقَ **اللهُ** أوَّلَ جَسَدٍ بشريٍّ مِن التُّرابِ[٦] ونفخَ فيه نَسَمَةَ الحياة، غَرَسَ الرَّبُّ الإلهُ جَنَّةً في عَدْنٍ شَرْقًا، في مكانٍ ما في الشَّرقِ الأوسط. وكانَ هناكَ نَهرٌ عَذْبٌ يَجري في الجنَّة:

«وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. ... وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا» (تكوين ٢: ٩، ١٥).

لم يسأل الربُ الإلهُ آدمَ عَمَّا إذا كانَ يُريدُ أن يَسكُنَ في عَدْن. فقد كانَ **اللهُ** هو خالقُ الإنسانِ ومالكُه. كما أنه كانَ يَعرفُ ما هو لمصلحتِه. وكانت جَنَّةُ آدمَ مليئةً بكلِّ ما تشتهيه النَّفس. فقد كانَ فيها أشياءٌ تُمَتِّعُ العينين، والأذنين، وحاسَّةَ الشمِّ، وحاسةَ اللَّمس، وحاسَّة الذَّوق. وكانت فيها جداولُ ماءٍ عذبٍ، وطيورٌ مُغَرِّدةٌ، وأزهارٌ فَوَّاحةٌ، وحيواناتٌ ذاتُ فراء، وفاكهةٌ مليئةٌ بالعُصارة، وخضرواتٌ يُمكنُ قَضْمُها، وتوتٌ حلوٌ، وغاباتٌ غامضةٌ، وصخورٌ مُلوَّنةٌ، وحشراتٌ مُذهِلةٌ، وملايينُ العجائبِ التي تنتظر مَن يكتشفها.

ولكنَّ الإنسانَ مَخلوقٌ لشيءٍ أسمى مِن الاستكشافِ والأكل. فـ**اللهُ** خَلَقَ آدمَ ليكونَ رأسًا للجنسِ البشريِّ. وقد أرادَ **اللهُ** مِن آدمَ وعائلتِه أن يَملكوا معه إلى الأبد. ولكنَّ الأشخاصَ الذين يُمكِنُ الاعتمادُ عليهم في المَهمَّاتِ الصغيرة، يُمكنُ إعطاؤهُمُ مَهَمَّاتٍ أكبر.

لذلك، فقد أعطى **اللهُ** آدمَ مَهَمَّته الأولى: الاهتمامُ بالجنَّة.

كانت هذه الجنَّةُ مكانًا رائعًا وكاملاً. فلم يَكُنْ هناكَ شوكٌ، ولا أعشابٌ ضارَّةٌ، ولا حشراتٌ مُؤذية. وكان المُناخُ نموذجيًّا، والتُّربةُ خِصبةً. ومع ذلك، لم تَكُنِ السَّماءُ قد أمطرت بعد، بل كان ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ.

كذلك، فقد أعطى **اللهُ** آدَمَ مَهَمَّةً أخرى: إطلاقُ الأسماءِ على الحيوانات.

فقد أحضرَ الربُّ المخلوقاتِ إلى آدم ليرى ماذا سيُسَمِّيها. ويُمكنُكَ أن تتخيَّلَ المشهد: فهناكَ حيوانٌ قويٌّ يعدو سريعًا ويقفزُ عاليًا. يَنظرُ آدمُ إلى هذا الحيوانِ ويُرَبِّتُ على ظهره ويُسمِّيه «حصانًا». وما إنْ يدعو **اللهُ** الحيوانَ الآخرَ حَتَّى يطيرَ طائرٌ ضخمٌ ذو منقارٍ معقوفٍ وأجنحةٍ عريضةٍ فيُسمِّيه آدمُ «نَسْرًا». ثُمَّ يأتي حيوانٌ قويٌّ بفروٍ بُرتقاليٍّ اللونِ وخطوطٍ سوداء. فماذا يُسَمِّيه آدمُ في رأيك؟

«فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ» (تكوين ٢: ٢٠).

وهكذا، فقد كانت جَنَّةُ عَدْنٍ هي المكانُ المناسبُ للإنسانِ للتعرُّفِ إلى خالقِه.

والآنَ، حانَ الوقتُ لإخضاعِ آدمَ إلى اختبار.

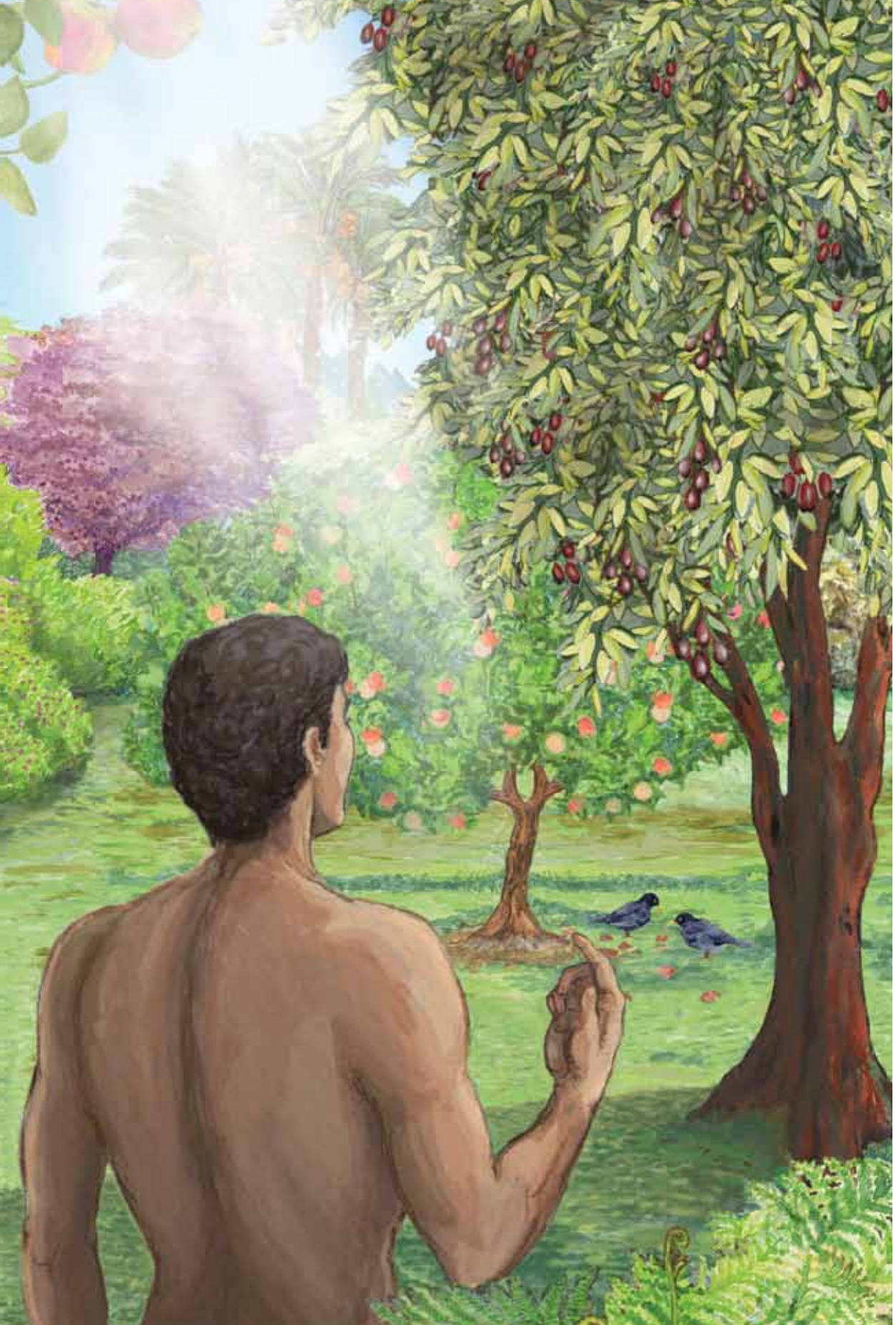

المشهد ٨

نَاموسُ الخطيَّةِ والموت

مُنذُ البدايةِ، كانَ **اللهُ** والإنسانُ صَديقَين. ولكنَّ تلك الصَّداقةَ كانت بحاجةٍ إلى الفحصِ والاختبار. فَمَلِكُ الكونِ لن يَملأَ مملكتَه برعايا مُجْبَرين على الخُضوع له. وفي الحقيقةِ أنَّ **اللهَ** أَحَبَّ آدمَ وكانت لديه خُطَطٌ رائعةٌ له ولعائلتِه المُستقبليَّة. ولأنَّ **اللهَ** أرادَ أُناسًا وليس دُميً مُتحرِّكةً، فقد أعطى آدمَ وَصيَّةً واحدةً ينبغي له أن يُطيعَها:

«وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٦–١٧).

لم تَكُنْ هذه الوصيَّةُ صعبة. فقد كان بِمَقْدورِ آدَمَ أن يأكلَ أيَّةَ فاكهةٍ يَشاءُ مِن الجنَّة، باستثناءِ واحدةٍ فقط. وبإطاعةِ هذه الوصيَّةِ البسيطة، كان بإمكانِ آدَمَ أن يُظْهِرَ أنه يَثِقُ بخالقِه، وأنه يُدرِكُ أنَّ هذا الخالقَ يَعرفُ ما هو لخيرِه. ولكِنْ ما الذي قالَ **اللهُ** إنه سيحدُثُ في حالِ كَسْرِ آدم لهذهِ الوصيَّة؟

هل قالَ **اللهُ** لآدمَ إنه إذا أَكَلَ مِن الفاكهةِ المُحَرَّمةِ فينبغي له أن يَبدأ بمُمارسةِ بعضِ الطُّقوسِ الدينيَّة، أو أن يَسْتَخْدِمَ السُّبحةَ (خَرَزاتٌ مَنظومةٌ في خيطٍ للتَّسبيح)، أو أن يَصومَ، أو أن يُعطيَ مِن أموالِه للفقراء، أو أن يَذهبَ إلى الكنيسةِ أو المَجْمَعِ أو المَسْجِد، أو أن يُحاولَ القيامَ بما يكفي مِن الأعمالِ الصَّالحةِ للتَّكفيرِ عن خَطَئِه؟ هل هذا هو ما قاله **اللهُ** لآدم؟

لا، فـ**اللهُ** لم يَقُلْ هذا.

بل إنه قالَ له: «يومَ تَأكُلُ مِنها مَوتًا تَموتُ».

إنَّ عِصيانَ وصايا **اللهِ** يُسَمَّى «خَطِيَّة». وعُقوبةُ كَسْرِ وصيَّةِ **اللهِ** هيَ «الموت». وفي كِتابه، أَطْلَقَ المَلِكُ على هذا القانونِ اسم: «ناموسُ الخطيَّةِ والمَوت» (رسالة رومية ٨: ٢).

فقانونُ **اللهِ** يَنُصُّ على وجوبِ مُعاقبةِ الخطيَّةِ بالموت. والموتُ يَعني الانفصال. فإذا عَصى آدَمُ هذه الوصيَّةَ الوحيدةَ فسوف يُصبحُ كغُصنٍ مَقطوعٍ ويبدأُ بالذُّبولِ والموتِ لحظةَ انفصالِه عن مَصْدَرِ الحياة.

وَهَكَذا، إذا قَرَّر آدَمُ القيامَ بما أرادَ أن يقومَ به عوضًا عمّا أوصاهُ مَلِكُ الكونِ أن يَفعلَه، فسوفَ يكونُ ذلكَ فِعْلَ عِصْيانٍ أو «خَطِيَّة».

والخطيَّةُ تُنهي صَداقةَ الإنسانِ معَ **اللهِ**.
كما أنَّ الخطيَّةَ تَجعل جَسَدَ الإنسانِ يَهْرَمُ ويموت.
وَالخطيَّةُ تَفْصلُ رُوحَ الإنسانِ ونفسَه وجسَده عن **اللهِ** إلى الأبد.

وباختصار، فإنَّ الخطيَّةَ مُميتة!

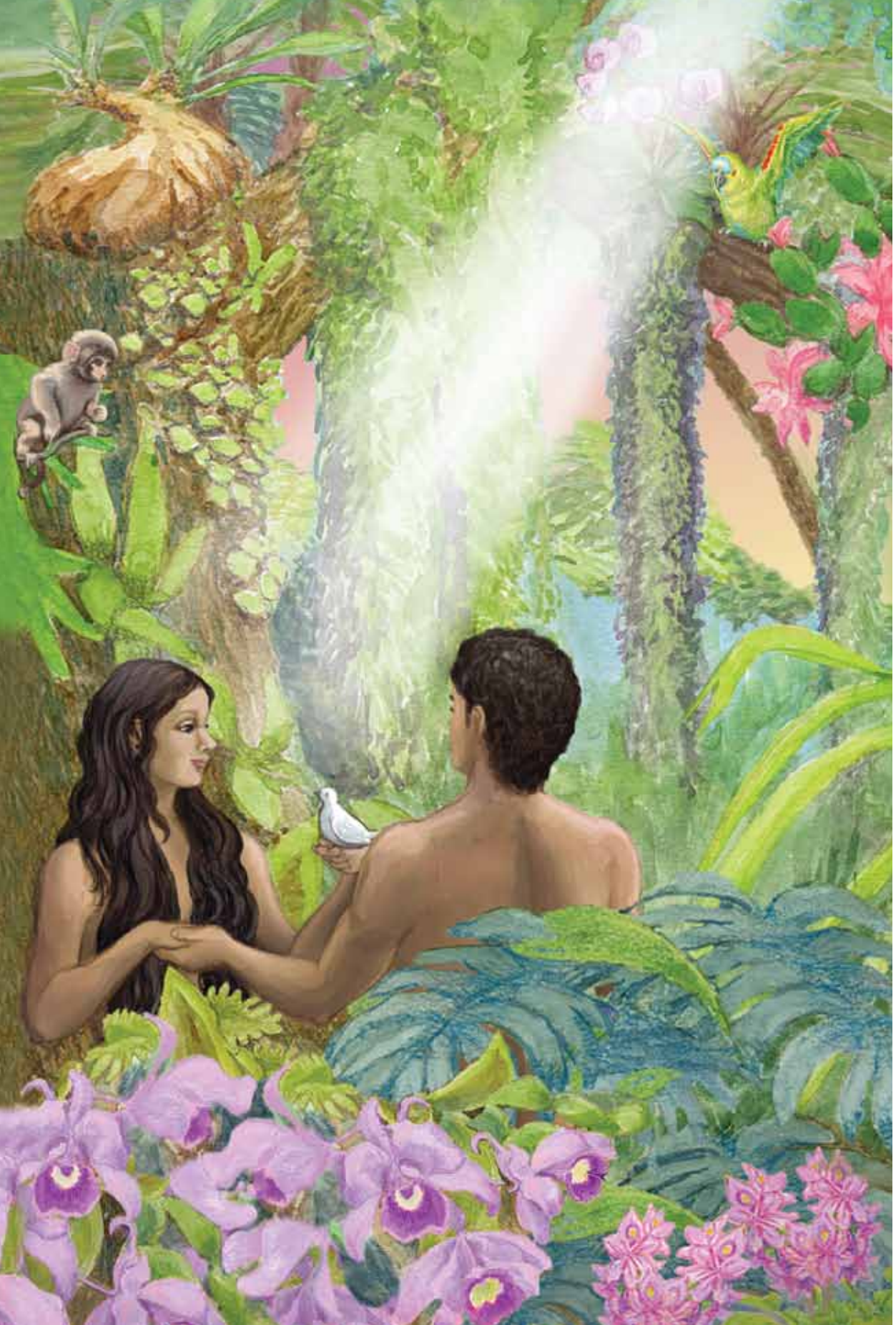

المشهد ٩
المرأةُ الأولى

بَعد أن أعطى **اللهُ** الإنسانَ عَمَلاً يقومُ به ووصيَّةً ليُطيعَها، حانَ الوقتُ لخَلْقِ المرأةِ الأولى. **فقد قالَ اللهُ:**

«لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ. ... فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ» (تكوين ٢: ١٨، ٢١–٢٣).

هل لاحَظْتَ مَنِ الذي قامَ بأوَّلِ عمليَّةٍ جراحيَّة؟ ومَنِ الذي أسَّسَ أوَّلَ زواجٍ؟ أجل، إنه اللهُ. وكلمةُ «امرأةٍ» تَعني: «مِنْ رَجُل». وفي وَقتٍ لاحقٍ، **أطلقَ آدمُ على زوجتِه اسمَ «حَوَّاء» وهو يَعني: «أُمُّ الجَميع». ومع أنَّ اللهَ أعطى آدمَ وحوَّاءَ أدوارًا مُختلفةً، إلاَّ أنه جَعَلَ الرَّجُلَ والمرأةَ مُتساويَين في القيمة.** فكما هي حالُ آدمَ، فإنَّ حَوَّاءَ أيضًا خُلِقَتْ على صُورةِ **اللهِ**. وقد خُلِقَت هيَ الأخرى لكي تَعرفَ خالقَها وصانعَها، ولكي تَعكسَ صِفاتِه، ولكي تَتمتَّعَ بشَرِكَةٍ عميقةٍ معهُ إلى الأبد.

«وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا. ... وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ» (تكوين ١: ٣١؛ ٢: ٢).

وهُنا، لا بُدَّ مِن التَّساؤل: **لماذا استراحَ اللهُ في اليوم السَّابع؟ لأنَّ عملَه قد اكتمَل. كذلك، عندما خَلَقَ اللهُ** عالمَنا في ستَّةِ أيَّامٍ واستراحَ في اليومِ السَّابعِ، فقد أسَّسَ الأسبوعَ المُؤلَّفَ مِن سبعةِ أيَّامٍ؛ وهيَ دورةُ الرَّاحةِ مِن العملِ المُتَّبَعةُ في جميعِ أنحاءِ العالم.

لقد اهتمَّ الربُّ بآدمَ وحوَّاءَ واعتنى بهما كما يعتني الأبُ المُحبُّ والحكيمُ بأبنائِه. وفي كلِّ مساءٍ، كانَ اللهُ يأتي إلى الجنَّةِ ليمشيَ معهما ويتحدَّثَ إليهما. وكان آدمُ وحوَّاءُ سعيدَينِ ومُرتاحَينِ في مَحْضَرِه.

«وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ» (تكوين ٢: ٢٥).

والآنَ، تَخَيَّلْ عالمًا كاملاً يَسكُنُه رَجُلٌ وامرأةٌ كاملانِ ويتمتَّعانِ بعلاقةٍ وَطيدةٍ مع خالقِهما الكامل. فقد كانتِ الأمورُ هكذا في البداية.

ولكِن ما هو الخطأُ الذي حَدَث؟

المشهد ١٠
مَملكةُ النُّور

قَبْلَ أن نَتحدَّثَ عن الخطأ الذي حَصَل، يجبُ علينا أن نَفهمَ بعضَ الأمورِ عن السَّماء. فهذا العالمُ الآخرُ – الذي يُدعى أيضًا: «الفِرْدَوْس» – هو مكانٌ كُلُّه نُورٌ، وألوانٌ بديعةٌ، وموسيقى عذبةٌ، وأحاديثُ مُمتعةٌ، وأسرارٌ عجيبة. فأبسطُ الأمورِ التي تَحْدُثُ في السَّماءِ تَفوقُ أعظمَ المَسَرَّاتِ التي تَحدُثُ على الأرض. بعبارةٍ أخرى، فالسَّماءُ هي بُعْدٌ آخَر!

إنها مَسْكِنُ الله.

وأبهى ما في هذا المكانِ السعيدِ هو المَلِكُ نفسُه. وكلُّ زاويةٍ مِن هذه المدينةِ البديعةِ تَعكسُ جَلالَه.

«وَالْمَدِينَةُ ذَهَبٌ نَقِيٌّ شِبْهُ زُجَاجٍ نَقِيٍّ» (رؤيا ٢١: ١٨).

وأكثرُ وَصْفٍ دقيقٍ للسَّماءِ مُدَوَّنٌ في السِّفْرِ الأخيرِ مِن الكتابِ المُقدَّسِ (سِفْرِ الرُّؤيا). فقد أعطى اللهُ للرَّسولِ يُوحَنَّا نَظرةً إلى السَّماء وأوصاهُ أن يُدَوِّنَ ما رآه:

«وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ. ... وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهُ الزُّمُرُّدِ. ... وَمِنَ الْعَرْشِ يَخْرُجُ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ. ... وَقُدَّامَ الْعَرْشِ بَحْرُ زُجَاجٍ شِبْهُ الْبَلُّورِ. ... وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، وَلاَ تَزَالُ نَهَارًا وَلَيْلاً قَائِلَةً: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي» (رؤيا ٤: ٢–٣، ٥–٦؛ ٥: ١١؛ ٤: ٨).

وكلمةُ «ملاك» تعني رَسولاً أو خادمًا. والملائكةُ كائناتٌ روحيَّة. وكما هو حالُ الخالقِ، فإنَّ الملائكةَ غيرُ مَنظورةٍ للإنسان – إلاَّ عندما تُرْسَلُ في مَهَمَّاتٍ تَقْتَضي أن تُرى فيها. وقد خَلَقَ مَلِكُ السَّماواتِ الملائكةَ قبلَ أن يَخلقَ البَشَر. وهو يُخبرُنا في كتابِه أنَّ جَميعَ الملائكةِ «هَتَفوا» (أيُّوب ٣٨: ٧) عندما رأوهُ يَخلقُ العالم.

وقد أعطى اللهُ ملائكتَه القُدرةَ على أن يَعرفوه، ويُطيعوه، ويُسَبِّحوه، ويَخدموه إلى الأبد. ولكنَّ الملائكةَ لم يكُونوا عَبيدًا عندَ الله. فَكَما هيَ الحالُ معَ الإنسانِ، فاللهُ لم يُرْغِمِ الملائكةَ على الخضوعِ له؛ بل أرادَ خُدَّامًا يَعبدونَه ويخدمونَه طَوعًا.

ولكنَّ الكتابَ المُقدَّسَ يُخبرُنا عن ملاكٍ ذي رُتْبَةٍ عاليةٍ أعْطاهُ اللهُ ذكاءً خارقًا، وجمالاً بديعًا، وقُدرةً هائلةً.

وإن عَرَفتَ قصَّةَ هذا الملاكِ فستَعرفُ مَصدرَ الشَّر.

المشهد ١١
مَملكةُ الظُّلمة

كانَ «لوسيفر» واحدًا مِن رؤساءِ ملائكةِ **الله**. واسمُه يَعني «المُنير». وتَصِفُ لنا الأسفارُ النبويَّةُ لوسيفرَ بأنه «خَاتَمُ الْكَمَالِ، مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ» (حزقيال ٢٨: ١٢).[٧]

ثُمَّ بدأ لوسيفرُ يَنظُرُ إلى نفسِه بدلاً مِن النَّظرِ إلى خالقِه ومَلِكِه العظيم. ولأوَّل مرَّةٍ، أصبَحَتْ إحدى الكائناتِ المخلوقةِ مُفتخِرةً بنفسِها! ولأنَّ لوسيفرَ انْخَدَعَ بجمالِه وذكائِه، ونسيَ مَنْ صَنَعَهُ، فقد قالَ في قلبِه:

«أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ **الله**، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ» (إشعياء ١٤: ١٣–١٤).

لقد أرادَ لوسيفرُ أن يصيرَ مَلِكًا. وقد أرادَ أن يَخضعَ الجميعُ لمشيئتِه هوَ وليس لمشيئةِ **الله**.

وبهذا، دَخَلَتِ الخطيَّةُ إلى العالم.

وقد نَجَح لوسيفرُ في إقناعِ ثُلْثِ الملائكةِ بالانضمامِ إليهِ في عِصْيانِه وَتَمَرُّدِه. ولكنَّ **الله** الذي لا يُطيقُ الخطيَّةَ طَرَدَهُم جميعًا مِن بيتِه السَّماويِّ. وقد تَغَيَّرَ اسمُ لوسيفرَ إلى «شيطان»، وهي كلمةٌ تَعني: «المُشْتَكي». كما أنه يُدعى «إبليس»، وهيَ تَعني: «المُضِلّ». أمَّا الملائكةُ الأشرارُ فيُدعَونَ «شياطين».

وفي مَكانٍ مُظلمٍ وسِرِّيٍّ، أعَدَّ **الله** سِجْنًا لإبليسَ وأعوانِه الشَّياطين. وهذا المكانُ يُدعى «الجَحيم» و «بُحيرةَ النَّار»؛ وهو مكانُ الانفصالِ الأبديِّ عنِ **الله**، ومكانُ تَقييدِ المُتمرِّدينَ إلى أبدِ الآبدينَ لكي لا يَتَسَبَّبوا في المزيدِ مِن المشاكل. وهكذا، في يومٍ ما، سوف يُسْجَنُ الشَّيطانُ وأعوانُه في ذلكَ السِّجن. ولكنهم ليسوا هُناك بَعْد. والسُّؤالُ الذي يَطْرَحُ نفسَه هُنا هو:

أين ذَهَبَتْ هذهِ الأرواحُ الشرِّيرةُ بعد أن طَرَدَها **الله**؟

لقد انتقلتْ إلى النِّطاقِ الأرضيِّ. وهناك، قام الشَّيطانُ بإعادةِ تنظيمِ صفوفِه وأعوانِه. فإن لم يَكُنْ باستطاعتِه أن يَحْكُمَ في السَّماءِ، فسوف يَحْكُمُ على الأرض! لهذا فإنه يُدعَى «رَئِيسُ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحُ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ» (أفسُس ٢: ٢).

ويجبُ علينا أنْ نَعرفَ أنَّ الشَّيطانَ وأعوانَه ليسوا مَرئِيِّينَ لنا، ومعَ ذلكَ فَهُم حقيقيُّون. ومعَ أننا لا نَعرفُ كيفَ هيَ أشكالُهم، إلاَّ أننا نَعرفُ قَصْدَهُم الشرِّيرَ والبغيض. فَهُم يَستخدِمونَ كلَّ أساليبِهم المُلتويةِ لِضَمِّ النَّاسِ إلى مملكةِ الظُّلمةِ الخاصَّةِ بهم. وليس هناكَ ما يَردعُهُم عن تدميرِك.

وفي بعضِ الأوقاتِ، قد يَتَخَفَّى الشَّيطانُ ويَظهرُ كملاكِ نُورٍ (٢كورنثوس ١١: ١٤).

لهذا فإننا نقرأُ في رسالةِ بُطرسَ الأولى ٥: ٨، «اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ».

والآنَ، لنَرجِعْ إلى قصَّةِ أبَوَيْنا الأوَّلَين.

المشهد ١٢
الحيَّة

كانتْ حياةُ آدمَ وحوَّاءَ مليئةً بالمُغامراتِ والمَقاصِد. وكان كلُّ يومٍ مُدهِشًا فيما كانا يَسْتَكشِفانِ جَنَّتهما الواسعةَ، ويَعتَنيانِ بمخلوقاتِها ونباتاتِها، ويتذوَّقانِ أطايبَها الكثيرة. وكانَ المساءُ جميلاً وبديعًا حيثُ كانَ خالقُهما ومالِكُهما يُشَرِّفُهما بزيارتِه الشخصيَّة. وكم كانا يُحِبَّانِ أنْ يَتَمَشَّيا معه وَيَتَحَدَّثا إليه! وهكذا، فقد كانَ آدمُ وحوَّاءُ سَعيدَينِ في بَيتِهما الأرضيِّ.

ولكنَّ الشَّيطانَ لم يَكُنْ سعيدًا. فقد كانَ يُبغِضُ **الله** ويُبغِضُ هذَينِ الكائِنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَعكُسا صُورةَ **الله**! لذلكَ، فقد بدأَ الشَّيطانُ – الذي أخفقَ في الهَيمنةِ على مَملكةِ السَّماءِ – بالتَّخطيطِ للهَيمنةِ على مملكةِ الأرض. وقد كانَ يَتَمَنَّى أن يَتَمَكَّنَ مِن إقناعِ آدمَ (رأسِ الجِنسِ البشريِّ) بِكَسْرِ ناموسِ **الله**. ولكنَّه لم يَكُنْ ليُغامِرُ بالمُحاولةِ مع آدمَ مُباشرةً.

وفي أحدِ الأيَّامِ، سَمِعَت حَوَّاءُ صَوتًا.

ولم يَكُنْ ذلكَ صَوتَ آدمَ، ولا صَوتَ **الله**.

لقد كانَ صَوتَ الحيَّة!

وبالنِّسبةِ إلى حَوَّاء، كانتِ الحيَّةُ النَّاطقةُ هي مُجَرَّدُ اكتشافٍ جديد. فهي لم تَكُنْ تَعلمُ أنَّ عَدُوَّ **اللهِ** يَستَخْدِمُ الحيَّة. كما أنها لم تَكُنْ تَعلم بأنَّ الشَّيطانَ يُريدُ أن يَستخدِمَها لإغواءِ آدمَ ودَفْعِهِ إلى كَسْرِ قانونِ **الله**.

انتظرتِ الحيَّةُ بصَبْرٍ، وكانت عَينا الشَّيطانِ مُثَبَّتَتَيْنِ على المرأةِ أينما ذَهَبَت. وفي اللَّحظةِ المُناسبةِ، هَمسَ الشَّيطانُ لحوَّاء:

«أَحَقًّا قَالَ **اللهُ** لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» (تكوين ٣: ١).

وهكذا، فقد أرادَ الشَّيطانُ أن يُشَكِّكَ المرأةَ في كلامِ **الله**. كما أنّهُ أرادها أن تَعتقدَ بأنَّ **اللهَ** يَمنعُ عنها وعن زوجِها خَيْرًا مَا.

«فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ **اللهُ**: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا. فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! بَلِ **اللهُ** عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تكوين ٣: ٢–٥).

والآن، ماذا سَتَفْعَلُ حَوَّاء؟

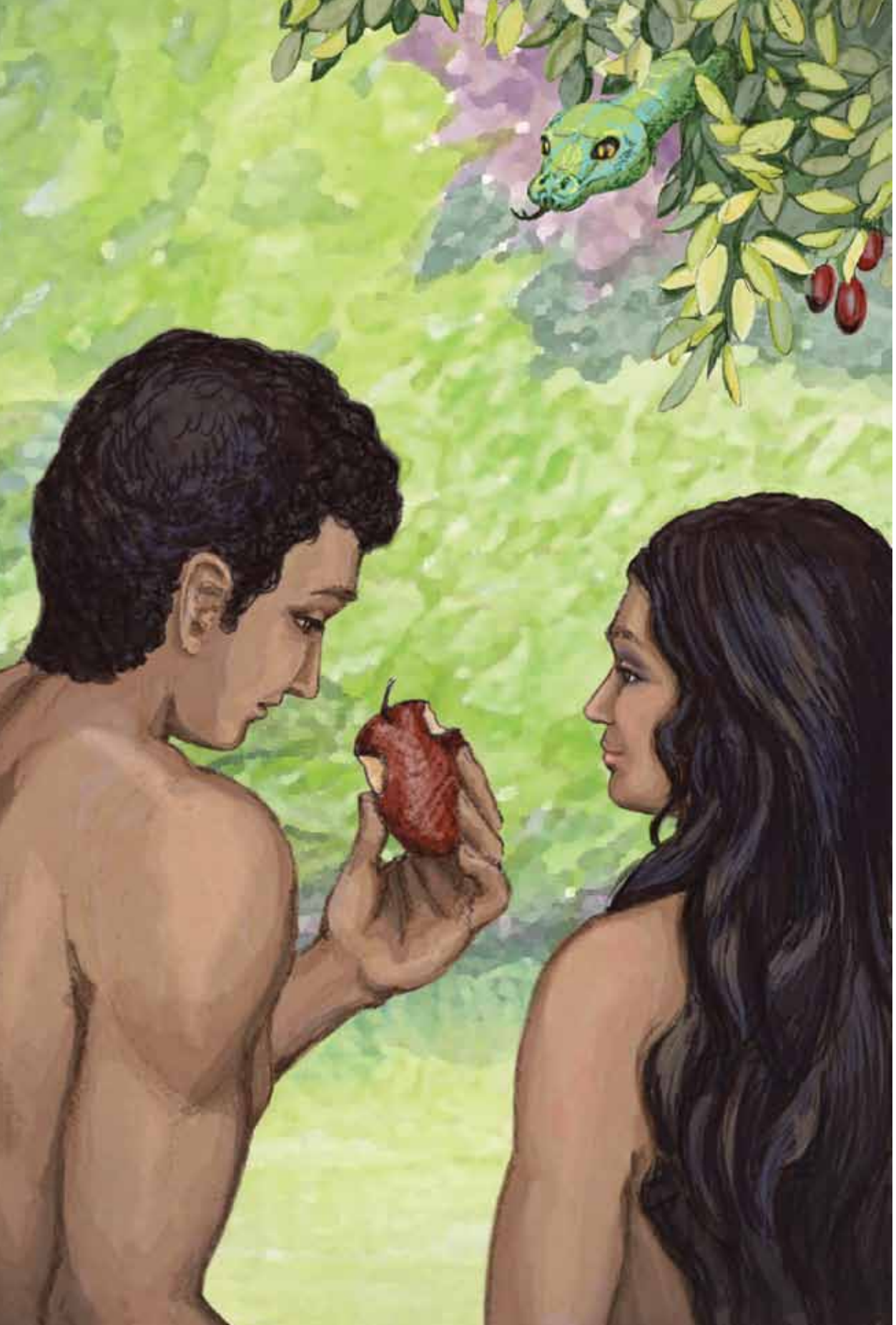

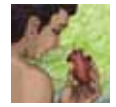

المشهد ١٣
الخَيار

لقد أعطى **اللهُ** آدمَ وحوَّاءَ حُريَّةَ الاختيارِ لكي يَفعلا إمَّا مشيئتَهُ أو مشيئتَهُما. وقد عَرَفَ الربُّ ما هوَ الأفضلُ لهذينِ المَخلوقينِ المُمَيَّزينِ اللَّذينِ خَلَقَهُما على صُورتِه. ولكنه أرادَ مِن آدمَ وحوَّاءَ أن يَثِقا به – حَتَّى عندما لا يفهمانِ الأسبابَ الكامنةَ وراءَ القوانينِ والوصايا التي يَضَعُها.

فاللهُ هوَ الوحيدُ الذي يُمكنُه أن يرى مُسبقًا العواقبَ الطويلةَ الأمدِ النَّاشئةَ عنِ الشرِّ. لهذا فقد قالَ لآدمَ:

«مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٦–١٧).

ولكنَّ الحيَّةَ قالت لحوَّاء:

«لَنْ تَمُوتَا» (تكوين ٣: ٤).

لهذا، هل ينبغي لحوَّاءَ أن تَثِقَ في الخالقِ أَم في المَخلوق؟

هذا هوَ ما حَدَث:

«فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ» (تكوين ٣: ٦).

لقد أكلتْ مِنها! وقد أكلَ هو مِنها أيضًا!

لقد أَكَلَت حوَّاءُ مِن الشَّجرةِ المُحَرَّمةِ لأنها أُغْوِيَتْ بِخِدَعِ الشَّيطان. أمَّا آدمُ فأكلَ منها لأنه اختارَ طَوْعًا أن يَسْلُكَ في طريقِه هو وليسَ في طريقِ **الله**.

وهكذا، بدلاً مِن الخضوعِ لخالقِهما القُدُّوسِ والمُحب، فقد استسلمَ الإنسانُ للعَدُوِّ.

وبهذا، فقد أخطأَ أَبَوانا الأوَّلان!

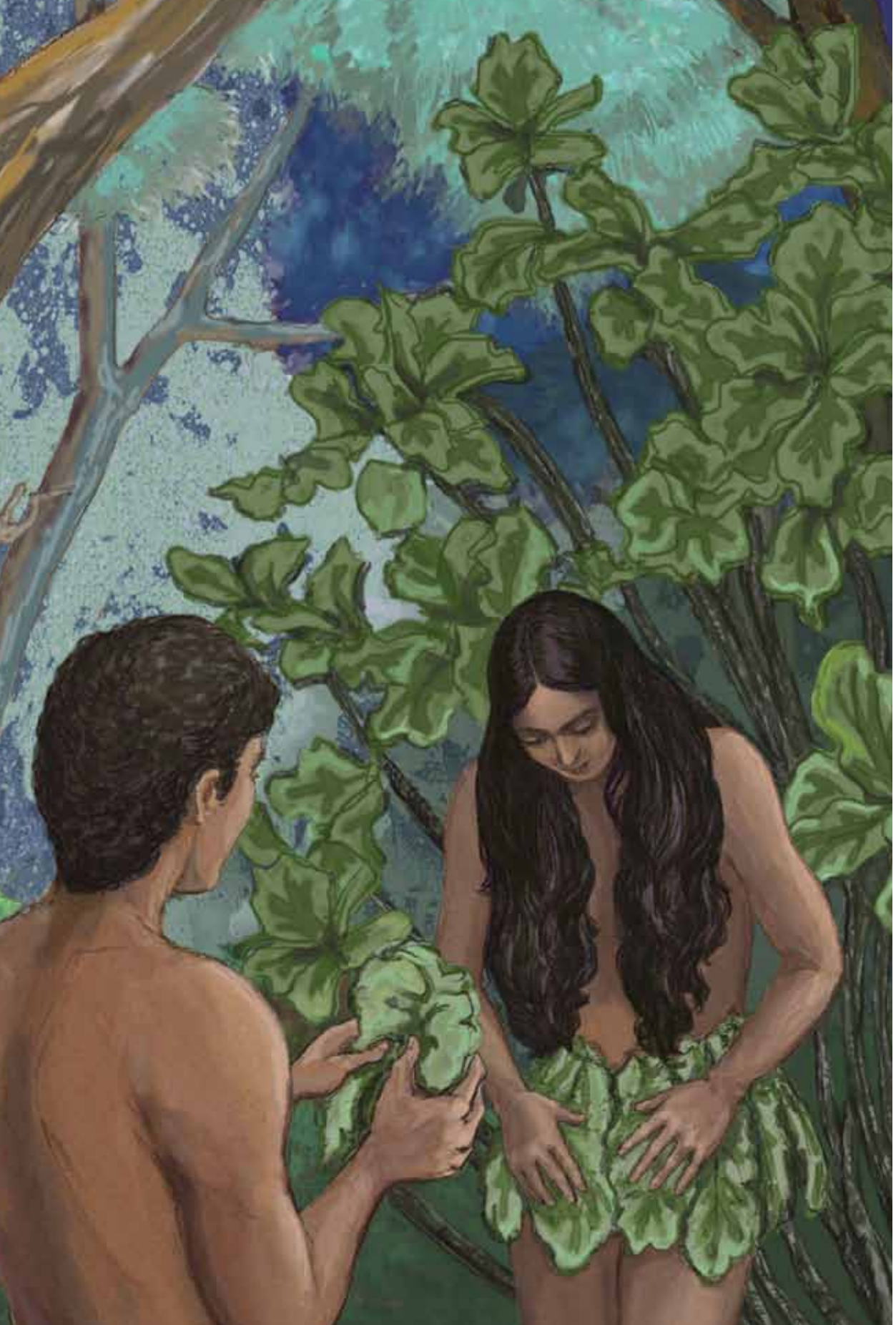

المشهد ١٤
الخطيَّةُ والعار

كانَ آدمُ هو رأسُ الجنسِ البشريِّ الذي عَيَّنهُ **الله**. وكانَ هو الذي أوصاهُ **اللهُ** بأن لا يأكُلَ مِن شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشرِّ. ولم يَكُنْ آدمُ وحوَّاءُ قد بدأاَ بالشُّعورِ بالعواقبِ المُريعةِ لاختيارِهما إلاَّ بعدَ أنْ قَضَم آدمُ تلكَ الفاكهةَ المُحَرَّمة:

«فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ» (تكوين ٣: ٧).

شَعَرَ آدمُ وحوَّاءُ بمشاعرِ الذَّنب، وراح النَّدمُ يأكُلُ قلبَيهما. كما أنهما شَعَرا بالنَّجاسةِ مِنَ الدَّاخلِ والخارج.

فالخطيَّةُ تَجْلِبُ العار.

فقَبلَ أن يَكْسِرَ آدمُ وحوَّاءُ ناموسَ **الله**، كانا يَشعُرانِ بحضورِ **الله** ولم يكونا يَشْعُرانِ بالخَجَلِ أو العارِ (تكوين ٢: ٢٥). فقد كانا يَشْعُرانِ بالشَّرَفِ لأنهما معَ الخالقِ، ولأنهما يَعكُسانِ صورتَه، ولأَنهما صَديقانِ له.

ولكِنْ عندما أكلا مِنْ شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشرِّ، أصبحا يُدركانِ الشرَّ الذي قاما بهِ وشَعَرا بالخَجَلِ مِن نَفْسَيْهِما.

وهكذا، حَلَّ العارُ مَحَلَّ الكَرامةِ وَالشَّرَف.

وحاوَل آدمُ وحوَّاءُ أن يُغَطِّيا عَوْرَتَيْهما بأوراقِ التِّين؛ ولكنَّ كلَّ جهودِهما الشخصيَّةِ لحلِّ مُشكلتِهما باءَت بالفشل. فقد كانا عاجِزَيْنِ تمامًا عن التخلُّصِ مِنَ الخطيَّةِ التي اجتاحَت نَفْسَيْهِما. كما أنهما كانا عاجِزَيْنِ عن استعادةِ الكرامةِ التي فَقَداها.

كانَ النَّهارُ قد انتصفَ.

وبعدَ قليلٍ، كانَ الخالقُ المُحبُّ سيأتي لزيارتِهما كما يَفعلُ دائمًا. وقد كانتْ فِكرةُ رؤيتِهما له تَبْعَثُ في نَفسَيْهِما مَشاعرَ الخوفِ وَالقُشَعْريرَة.

فماذا عَساهُ أن يقولَ لهما؟

وماذا عَساهُما أن يَقولا له؟

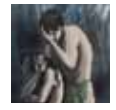

المشهد ١٥
الموتُ الرُّوحيُّ

قَبلَ أن يَعصى آدمُ وحوَّاءُ **اللهَ**، كانا يَتَمَتَّعانِ برؤيتِه في كُلِّ مرَّةٍ يأتي فيها لزيارتِهما لأنه خالقُهُما وصديقُهُما.

ولكنَّهما الآنَ يَشعُرانِ بالخوف:

«وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ» (تكوين ٣: ٨).

وكما هوَ حالُ الأطفالِ الذين يَعْصونَ أوامرَ أهلِهم ويَختبئونَ مِنهم، فقد حاولَ آدمُ وحوَّاءُ الاختباءَ مِن خالقِهما.

ولكنَّ **اللهَ** نادى آدم: «أَيْنَ أَنْتَ؟»

«فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ. فَقَالَ: مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟ فَقَالَ آدَمُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ. فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ» (تكوين ٣: ٩–١٣).

إذًا، لماذا أرادَ آدمُ وحوَّاءُ أن يَختبئا مِنَ **اللهِ**؟ لأنهما اقترَفا خَطِيَّةً. ولماذا حاولا أنْ يُلقيا اللَّومَ على الآخرينَ عن الخطيَّةِ التي اقترفاها؟ لأنهما كانا يَشْعُرانِ بالخجلِ والعار.

لم يَعُد آدمُ وحوَّاءُ يَعكسانِ صُورةَ **اللهِ** القُدُّوس. وبدلاً مِن أن يَعكُسا قداسةَ خالقِهما ومحبَّتَه، فَهُما يَعكُسان الآنَ تمَرُّدَ الشيطانِ وكبرياءَه.

وبهذا، أصبحَ أوَّلُ زَوْجَيْنِ كغُصْنٍ مَقطوعٍ مِن شَجرةٍ حَيَّةٍ. فخطيئتُهما أدَّت إلى انقطاعِ شَرِكَتِهما مع مَلِكِ الكون.

وبهذا، فقد أصبحا مَيِّتَيْنِ بالمعنى الرُّوحِيِّ للكلمة. فقد عَمِلَت خطيئتُهما على فَصْلِهما عن مَصْدَرِ الحياةِ الأبديَّة.

ومِنَ النَّاحيةِ الجسديَّة، فقد كانا ما يزالانِ على قَيْدِ الحياة، ولكنَّ عمليَّةَ الشَّيخوخةِ كانت قد بدأت. فقد غَزَت قُوَّةُ الموتِ جَسَدَيْهِما.

وماذا كانَ السَّببُ وراءَ كلِّ هذا الموتِ وكلِّ هذا الدَّمار؟

الخطيَّة!

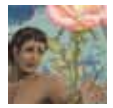

المشهد ١٦
اللَّعنة

في بدايةِ التَّاريخِ البشريِّ، كانَ **اللهُ** والإنسانُ معًا. وكانَ هناكَ سلامٌ وفَرَح. ولكنَّ الإنسانَ خَرَقَ قانونَ **الله**. وفي نفسِ اليومِ الذي أخطأَ فيه آدمُ وحوَّاء، أعلنَ **اللهُ** بعضَ العواقبِ البعيدةِ المدى لخطيئتِهما.

فقد قالَ للمرأة:

«تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ» (تكوين ٣: ١٦).

فقَبْلَ أن تَدْخُلَ الخطيَّةُ المَشهد، كانت حوَّاءُ تَتمتَّعُ بمحبَّةِ زوجِها وعنايتِه النَّابِعَيْنِ مِن عطاءٍ غيرِ مُتناهٍ. أمَّا الآنَ، فسوفَ تؤدِّي طبيعتُهُما المُلوَّثةُ بالخطيَّةِ إلى إضْفاءِ بعضِ التوتُّرِ والألمِ إلى مَسَرَّاتِ الزَّواج.

ثُمَّ قالَ **اللهُ** للرَّجُل:

«مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، ... بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تكوين ٣: ١٧–١٩).

وهكذا، بسببِ خطيئةِ آدمَ وحوَّاء، فَقَدْ فَقَدا هيمنتَهُما على الأرض. فالآنَ، سوفَ يَحتوي عالمُهُما على شَوْكٍ، وألمٍ، وحُزْنٍ، ومَرضٍ، وموت.

وربما كانَ البعضُ مِنَّا مُعتادًا جِدًّا على هذا الشَّقاءِ إلى دَرجةِ أنَّنا نَعتبرهُ أمرًا طبيعيًّا. ولكِنْ هل كانَ في خُطَّةِ **الله** الأصليَّةِ أن تُنْتِجَ شجرةُ الوردِ الجُوريِّ الفوَّاحةِ شَوْكًا قاسيًا؟ أو هل كانَ في خُطَّتِه أن تكونَ ولادةُ الأمِّ صَعبةً ومؤلمةً وشاقَّة؟ أو هل كانَ في خُطَّتِه أنَّ هؤلاءِ النَّاسِ الذين خَلَقَهُم على صورتِه سيَشيخونَ ويموتون؟ بالتَّأكيدِ لا! فـ**اللهُ** لم يَخْلقِ الخليقةَ لكي تتصارعَ مع ذاتِها. ولكِنْ بسببِ خطيئةِ الإنسانِ، أصبحَتِ الأرضُ تحتَ لَعنةِ **الله**.

لقد أخطأَ البَشَرُ وأصبحَ لِزامًا عليهم أن يموتوا. فهذا هو ما ينصُّ عليه ناموسُ الخطيَّةِ والموت.

الموتُ هو انفصال. والخطيَّةُ أَنْتَجَتْ ثلاثةَ أنواعٍ مِنَ الانفصال:

١) موتٌ رُوحيٌّ: انفصالُ روحِ الإنسانِ عنِ **الله**.
٢) موتٌ جسديٌّ: انفصالُ روحِ الإنسانِ ونَفسِه عن جسدِه (وعن أحِبَّائه).
٣) موتٌ أبديٌّ: انفصالُ روحِ الإنسانِ ونفسِه وجسدِه عنِ **الله** إلى الأبدِ في بُحيرةِ النار.[٨]

ولم يَكُنِ الإنسانُ يَمتلكُ أيَّةَ طريقةٍ لتخليصِ نفسِه مِن لعنةِ الخطيَّة.

فهل كانَ هناكَ أيُّ أمَلٍ أو رَجاء؟

المشهد ١٧
الوعد

لقد سَلَبَ الشيطانُ كَنزَ المَلِكِ الثَّمين. ولكنَّ **الله** كانت لديه خُطَّةٌ سِريَّةٌ لاستعادتِه. ولأنَّ الفِدْيَةَ التي كانَ المَلِكُ يُخَطِّطُ لدفعِها كانت باهظةً جدًّا، فلا يُمكنُ للشياطينِ أو البشرِ أن يستوعبوا هذهِ الخطَّةَ إلاَّ بعدَ إتمامِها.

ففي اليومِ الذي استولى فيهِ الشيطانُ على الجنسِ البشري، قالَ **اللهُ** للحيَّة:

«لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ» (تكوين ٣: ١٤).

فعندما خَلَقَ **اللهُ** الحيَّةَ، كانت تَمشي على أرْجُل. ولكِنْ لأنَّ الشَّيطانَ استخدمَ الحيَّةَ لإغواءِ البشرِ لاقترافِ الخطيَّة، فقد لَعَنَها **اللهُ** وجَعَلَها تَزْحَفُ على بَطْنِها (هل تَعلم أنَّ بعضَ أنواعِ الأفاعي لديها نُتوءاتٌ صغيرةٌ تحتَ جلدِها تُشيرُ إلى وجودِ أَرْجُلٍ لها في السَّابق؟) وبِجَعْلِ الحيَّةِ أدنى المخلوقات، أعطى **اللهُ** الجنسَ البشريَّ تذكارًا بَصريًّا بأنه في الوقتِ الذي يُعَيِّنُهُ هو، سوفَ يَسْحَقُ «الْحَيَّةَ الْقَدِيمَةَ الْمَدْعُوَّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ» (رؤيا ١٢: ٩).

ثُمَّ قالَ **اللهُ** للشَّيطانِ الذي استَخدَمَ الحيَّة:

«وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» (تكوين ٣: ١٥).

وكانت هذهِ أَوَّلَ نُبوءةٍ – مِن نبوءاتٍ عديدةٍ – يُعلنُ **اللهُ** مِن خِلالِها شيئًا فشيئًا عن خُطَّتِه السريَّةِ لإنقاذِ البشرِ مِن الشَّيطانِ، وَالخطيَّةِ، والموت. ولكِنْ لكي يُخفيَ المَلِكُ تلكَ الخُطَّةَ عن الشيطانِ وأعوانِه، فقد وَضَعَها في صيغةٍ رمزيَّةٍ سِريَّة.

وهكذا، فقد وَعَدَ **اللهُ** أن يُرسِلَ مُخلِّصًا إلى الأرض: نَسْلُ المرأة. وسوفَ يكونُ للمُخلِّصِ أُمٌّ بشريَّةٌ، ولكنه لن يكونَ له أبٌ بَشريّ. وسوفَ يُعْرَف المُخَلِّصُ باسم المسيَّا، وهيَ كلمةٌ تعني «المَمْسوحَ» أو «المُخْتار». وسوفَ يَلْدَغُ الشَّيطانُ عَقِبَ المسيَّا، ولكنَّ المسيَّا سَيَسْحَقُ رَأسَ الشَّيطان. ولكِنْ ما معنى هذا الكلام؟ سوف يُوَضِّحُ المَلِكُ قَصْدَهُ في وقتٍ لاحقٍ. أمَّا الآن، فقد أعطى **اللهُ** آدمَ وحوَّاءَ بَصيصًا مِنَ الأمَل.

وبعدَ آلافِ السِّنين، سوفَ يَكْتُبُ أحدُ أنبياءِ **الله**:

«اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا ... هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ – **اللهُ** مَعَنا. » (إشعياء ٩: ١؛ ٧: ١٤).

إذًا، سوف يَفتدي[٩] **اللهُ** كَنزَه الثَّمينَ. ولكِنْ كَم سيُكَلِّفهُ ذلك؟

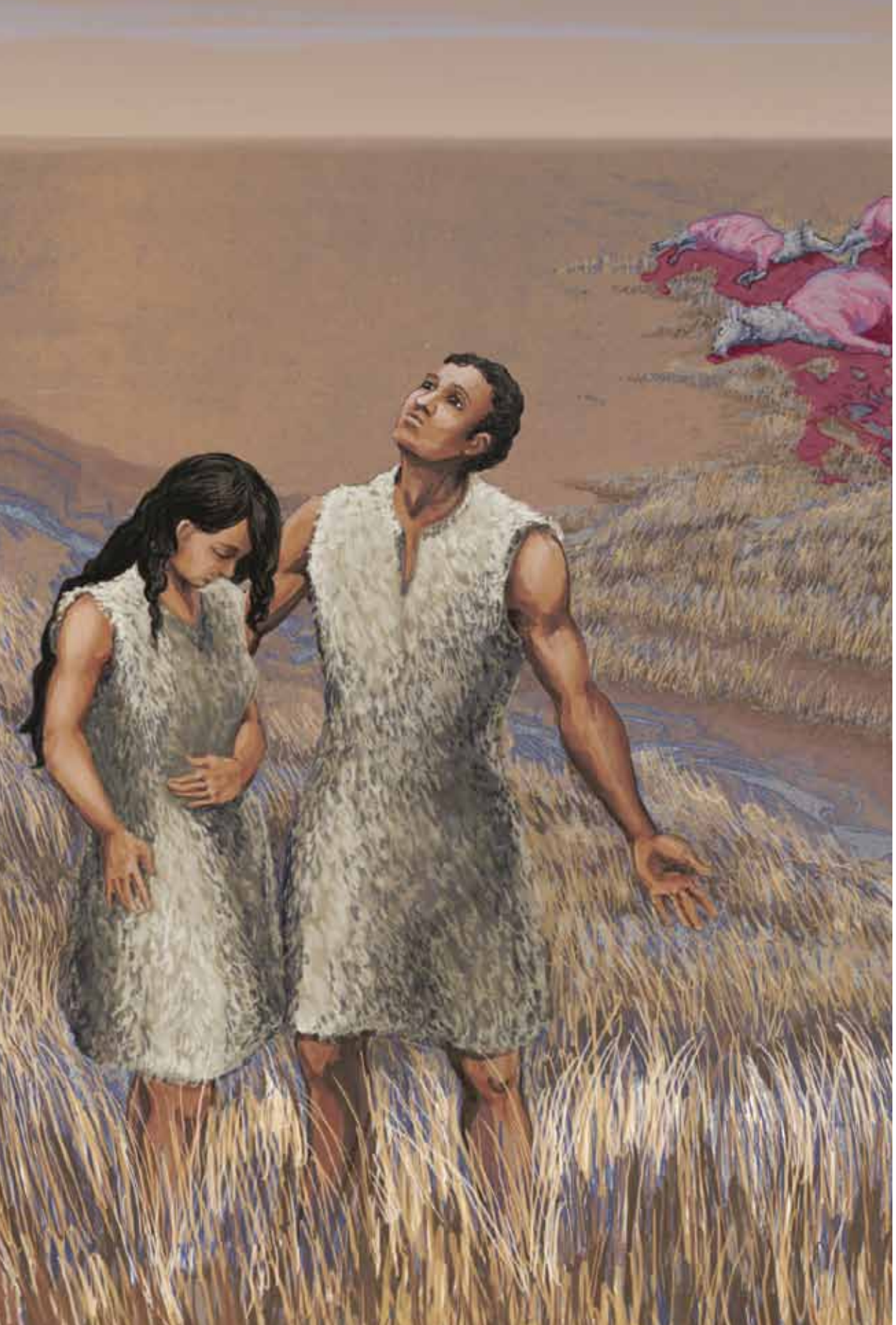

المشهد ١٨
الذَّبيحةُ الأولى

هل تَذْكُرُ ما فَعَلَهُ آدمُ وحوَّاءُ بعدَ أن أكلا مِنَ الشَّجرةِ المُحَرَّمة؟ لقد صَنَعا لَهُما ملابس مِن أوراقِ شجرِ التِّين. وَلَكِنْ هل جَعَلَتْهُما هذهِ الملابسُ يَشعرانِ بالرَّاحةِ في مَحْضَرِ الخالقِ والديَّان؟ لا! فقد شَعَرا بالخِزْي وَالذَّنب. فلم تَكُنْ هناكَ طريقةٌ يُمكنُهما مِن خلالِها أن يَتَصالَحا مع **الله**.

لذلك، فقد أَوجدَ **اللهُ** الحلَّ لهما:

«وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا» (تكوين ٣: ٢١).

وهكذا، مَنِ الذي قَدَّمَ أَوَّلَ ذبيحةٍ في التَّاريخ؟ إنه **الله**.

فقد قَتَلَ **اللهُ** بضعةَ حيواناتٍ، وأخذَ جلودَها، وصَنعَ منها ملابسَ لآدمَ وحوَّاء. وبقيامِ **اللهِ** بذلك، فقد كانَ يُعَلِّمُهما بعضَ الدروسِ الأوليَّةِ عن العدالةِ، والرَّحمةِ، والنِّعمة.

والآن، لنتأمَّلْ قليلاً في هذهِ الكلماتِ الثلاثِ المُهِمَّة:

العدالة: أُنظرْ إلى الحيواناتِ الميِّتَةِ هُنا. لماذا ضَحَّى **اللهُ** بها؟ لقد فَعَلَ ذلك لكي يُبَيِّنَ لآدمَ وحوَّاءَ أَنَّ ناموسَ الخطيَّةِ والموتِ يجبُ أن يُطَبَّق. فيجبُ معاقبةُ خطيئتِهما بالموت. هذهِ هيَ العدالة.

الرَّحمة: أُنظرْ إلى آدمَ وحوَّاء. هل حَكَمَ **اللهُ** عليهما بالموت؟ لا. بل إنه أماتَ حيواناتٍ بدلاً عنهما. وقد كانت هذهِ هيَ طريقةُ **اللهِ** لمعاقبةِ خطيئتِهما دونَ مُعاقبتِهما. هذه هيَ الرَّحمة.

النِّعمة: الآن أُنظرْ إلى ملابسِ آدمَ وحوَّاءَ الجميلة. هل كانَ هذانِ الخارجانِ على القانونِ يستحقَّانِ هذهِ العطيَّة؟ لا، ولكنَّ **اللهَ** أظهرَ لهما لُطْفًا بأنْ ألبسَهما تلكَ الملابسَ المصنوعةَ مِن جلودِ الحيوانات. هذه هيَ النِّعمة.

وبسببِ ما فعله الربُّ لهما، كان آدمُ وحوَّاءُ سعيدَينِ بأن يكونا معَ **اللهِ** ثانيةً!

فقد غَطَّت دماءُ الحيواناتِ خطيئتَهُما. فمَع أنهما كانا يستحقَّانِ الموتَ في ذلكَ اليوم، إلاَّ أنَّ حيواناتٍ بريئةً ماتت بدلاً عنهما. فقد غَطَّت الملابسُ الجِلديَّةُ عَوْرَتَيْهِما. ومرَّة أخرى، شعر آدمُ وحوَّاءُ بالرَّاحةِ في مَحْضَرِ **الله**.

وبعدَ آلافِ السَّنين، سوفَ يَكْتُبُ أحدُ أنبياءِ **الله**:

«فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ» (إشعياء ٦١: ١٠).

ولكنَّ **اللهَ** هوَ الوحيدُ القادرُ على تصويبِ وضعِ الخُطاةِ مِنْ جَديد!

المشهد ١٩
الطَّرد

عندما طَرَدَ **اللهُ** الملائكةَ المُتمرِّدةَ مِنَ السَّماء، كانَ مَصيرُها مؤكَّدًا ونهائيًّا. فتلكَ الكائناتُ الروحيَّةُ التي عاشت في نُورِ السَّماوات لم يَكُن لديها عُذْرٌ لخطيئتِها. أمَّا فيما يَخْتَصُّ بالبشرِ الذين تَلَوَّثوا بالخطيَّة، فقد وضعَ **اللهُ** خُطَّةً لاستعادتِهم إنْ هُمْ وَثقوا بهِ واتَّكلوا عليه.

ومعَ ذلك، فقد كانت هناكَ عواقبُ للخطيَّة. فكما أنَّ **اللهَ** طَرَدَ لوسيفرَ وملائكتَه الأشرارَ مِن الفِردوسِ السماويِّ، فقد طَرَد آدمَ وحوَّاءَ مِن الجنَّةِ الأرضيَّة:

«وَهَكَذَا طَرَدَ **اللهُ** الإِنْسَانَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، وَأَقَامَ مَلاَئِكَةَ الْكَرُوبِيمِ وَسَيْفًا نَارِيًّا مُتَقَلِّبًا شَرْقِيَّ الْجَنَّةِ لِحِرَاسَةِ الطَّرِيقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ» (تكوين ٣: ٢٤).

وكانت شجرةُ الحياةِ هي الشجرةُ المُميَّزةُ الأخرى في مُنتصف الجنَّة. ولا يجوزُ إلاَّ للبَشَرِ الكاملينَ أن يأكلوا منها. ولكنَّ آدمَ وحوَّاءَ لم يعودا كاملين. وبسبب الخطيئةِ التي اقترفاها، سوفَ يَشيخانِ وَيموتان في نهايةِ المطاف.

إنَّ إلهَنا قُدُّوس. وهذا يعني أنه طَاهِرٌ، ونقيٌّ، وكاملٌ، وبارٌّ. وبسببِ طبيعتِه وشرائعِه المُقدَّسة، يجبُ عليه أن يُعاقبَ الخطيَّةَ بالموت – أي بالانفصالِ عن مَصْدَرِ الحياة. ويَعتقدُ البعضُ أنَّ **اللهَ** «عَظيمٌ» جِدًّا إلى حَدِّ التَّغاضي عنِ القوانينِ التي وضعَها هوَ نفسُهُ. ولكِنْ تَخَيَّلْ محكمةً يَرفضُ فيها القاضي أن يُطَبِّقَ قوانينَ البلاد! فهل يُمكنُكَ أن تقولَ عن هذا القاضي إنه «عظيم»؟ أو تَخَيَّل مُباراةً لكُرة القدم يَتجاهل فيها الحَكَمُ قوانين اللُّعبة. فهل ستَدعوه حَكَمًا عظيمًا أَم حَكَمًا سيِّئًا؟

لقد أرادَ الشَّيطانُ مِن حوَّاءَ أن تؤمنَ أنَّ خالقَها لن يُطَبِّق قوانينَه، وأنه لن يُعاقبَ الخارجينَ على القوانينِ بالموت. ولكنَّ المَلِكَ البارَّ والديَّانَ العادلَ لهذا الكونِ يَحْفظُ كلمتَه دائمًا.

وهذا يعني أنَّ **اللهَ** عظيمٌ وأنَّك تَستطيعُ أن تَثِقَ بهِ وأن تَتَّكِلَ عليه:

«الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ» (المزمور ٨٩: ١٤).

والآنَ حاولْ أن تُجيبَ عن هذا السُّؤالِ المُحَيِّر: ما هوَ الشيءُ الذي يُمكِنُ للشَّيطانِ والبَشَرِ أن يَفعلوهُ ولكنَّ **اللهَ** لا يَستطيعُ أنْ يَفعلَه؟

إليكَ جوابُ **اللهِ** نفسِه:

«لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ. مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَنِّي لاَ أَكْذِبُ» (المزمور ٨٩: ٣٤–٣٥).

وهكذا، فإنَّ مَلِكَ هذا الكَونِ لا يَرْجِعُ عن كلامِه.

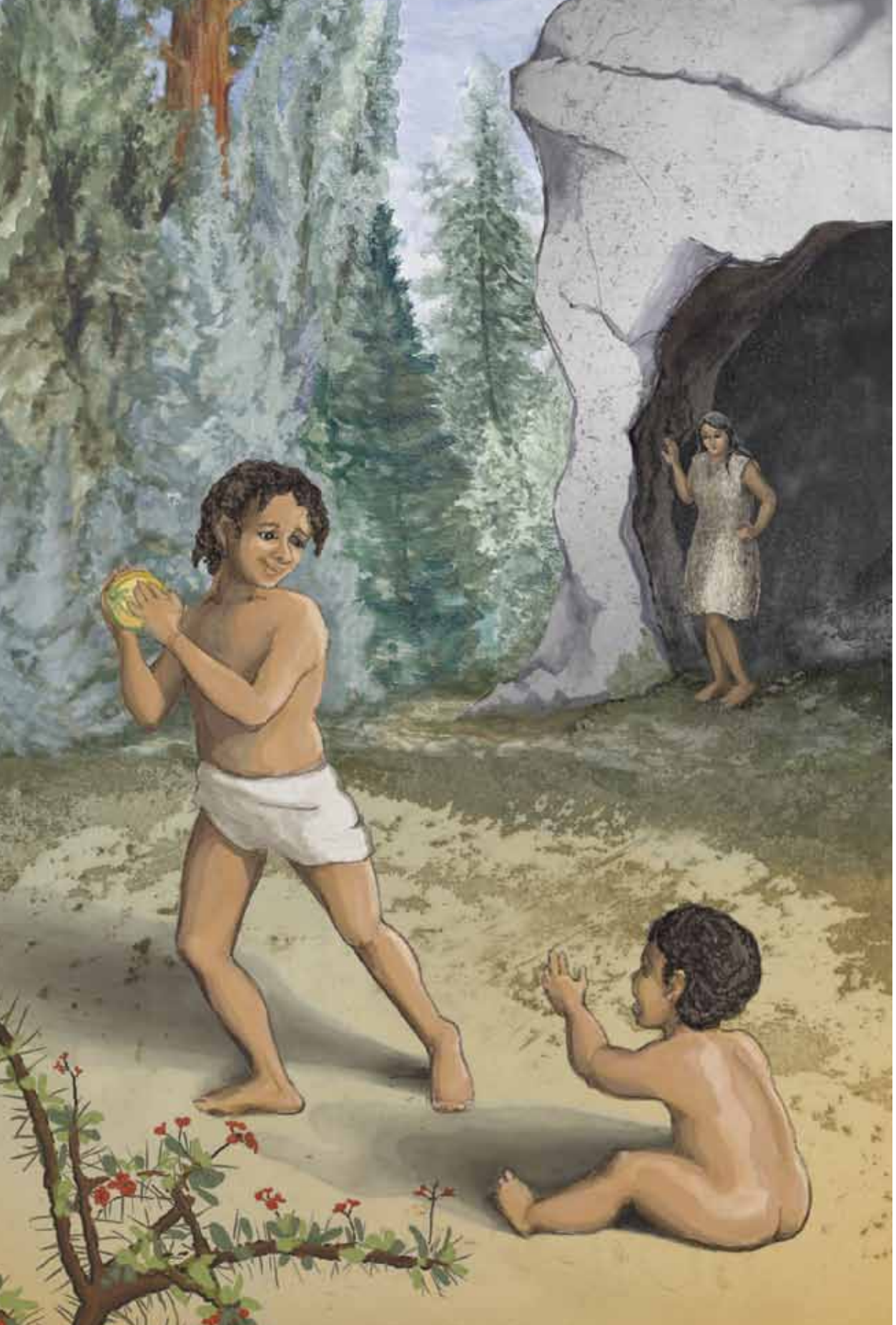

المشهد ٢٠
الأبناءُ الأوائل

كانَ العالَمُ ما يزالُ جميلاً خارجَ جَنَّةِ عَدْن، ولكنَّه كان يحتوي على أشياءٍ سيِّئةٍ كالشَّوكِ الجارِحِ، والحشراتِ اللاَّسِعَةِ، والرُّكَبِ المُتَشَقِّقةِ، والأنوفِ المَزكومة. ولم يَعُدْ الكثيرُ مِن الحيواناتِ أليفةً. فلم يَكُن مِنَ السَّهلِ العثورُ على الطَّعام. وقد كانَ ينبغي لآدمَ وحوَّاءَ أن يَعملا بجِدٍّ لإطعامِ نفسَيهِما.

ولكِنْ كانت هناكَ لحظاتٌ مِنَ الفرحِ والمُتعةِ أيضًا:

«وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتِ: اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ» (تكوين ٤: ١).

أطْلَقَتْ حَوَّاءُ على مولودِها الأوَّلِ اسمَ «قايين» (وهو يَعني: «اقتناء»). فيا لهُ مِن كَنْزٍ ثمينٍ مِن عندِ الله! وربما ظَنَّت حوَّاءُ أنَّ ابنَها سيكونُ المُخلِّصَ الموعود. ولكنها سُرعانَ ما اكتشفت أنَّ ابنَها الصغيرَ كان عنيدًا وأنانيًّا – كوالِدَيه تمامًا!

وفي وقتٍ لاحقٍ، ولدت حوَّاءُ ابنَها الثَّاني فأسْمَتْهُ «هابيل» (وهو يعني: «نَسَمَة» أو «بُخار» أو «لا شيء»). فقد أصبحَ مِنَ الواضحِ لهما أنهما لن يَتَمَكَّنا مِن إنجابِ نَسْلِ المرأةِ الذي بلا خطيَّةٍ والذي سيُخلِّصُ الناسَ مِن خطاياهم. فبَدَلاً مِن أنْ يَعكُسَ نَسْلُهُما صورةَ اللهِ القُدُّوسِ، فقد عَكَسَ طبيعتَهما الخاطئة:

«وَوَلَدَ [آدم] بَنِينَ وَبَنَاتٍ ... عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ» (تكوين ٥: ٤، ٣).

انْظُر إلى الصُّورة. هل ترى قايينَ وهو يأخُذُ البطِّيخةَ مِن أخيه الأصغر؟ إنه يَتصرَّف مِثلَ والدِيَه اللَّذانِ أخذا الفاكِهَةَ التي لم تَكُن لَهُما. وهكذا، فقد انتقلت خطيئةُ آدمَ وحوَّاءَ إلى أبنائِهما كَما يَنتقلُ المرضُ المُعدي:

«وَلِهَذَا، فَكَمَا دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ عَلَى يَدِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ [آدَم]، وَبِدُخُولِ الْخَطِيئَةِ دَخَلَ الْمَوْتُ، هَكَذَا جَازَ الْمَوْتُ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ، لأَنَّهُمْ جَمِيعًا أَخْطَأُوا» (رومية ٥: ١٢).

وهناك مَثَلٌ إفريقيٌّ يقول إنَّ الجُرْذَ يُنجِبُ جرذانًا صغيرةً ماهرةً في حَفْرِ الجُحور. وهناكَ مَثَلٌ عربيٌّ مُشابِهٌ يقول: «فَرْخُ البَطِّ عَوَّامٌ». فعندما أخطأ أبوانا الأوَّلان، أصبحا كالغُصنِ المكسورِ والمقطوعِ مِن شَجرة. وكما أنَّ كُلَّ فَرْعٍ صغيرٍ وورقةٍ في هذا الغُصن تتأثَّر، فإنَّ جميعَ أفرادِ الجنسِ البشريِّ تأثَّروا بخطيئةِ آدَم.

وبعدَ وقتٍ طويلٍ مِن موتِ آدم، كَتَبَ المَلِكُ والنبيُّ داود:

«هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي» (المزمور ٥١: ٥).

ومع أنَّنا قد لا نُحِبُّ أنْ نَسمعَ مِثلَ هذا الكلام، إلاَّ أننا نَعرفُ أنه صحيح!

المشهد ٢١
الخُطاةُ يَتَعَبَّدون

أنجبَ آدمُ وحوَّاءُ العديدَ مِن الأولادِ والبنات، ولكنَّ الكتابَ المُقدَّسَ يُرَكِّزُ على قِصَّةِ الولدَينِ الأوَّلين:

«وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلاً فِي الأَرْضِ» (تكوين ٤: ٢).

نرى هُنا أنَّ قايينَ وهابيلَ كانا يَعملانِ بِجِدٍّ.
ونرى أنهما كانا يَعرفانِ عن خالِقِهما.
ونرى أنهما كانا يُريدانِ مِنَ **اللهِ** أن يَقْبَلَهما وأن يَقْبَلَ عبادتَهما.
ونرى أيضًا أنَّهما كانا يُعانيانِ مِنَ المشكلةِ ذاتِها: **الخطيَّة**.

ولم يَقْتَصِرِ الأمرُ على أنَّهما وُلِدا في الخطيَّةِ، بل إنَّهما كانا يَعيشانِ كالخُطاة. ففي كلِّ يومٍ، كانا يُفَكِّرانِ، ويتحدَّثانِ، ويتصرَّفانِ بطُرُقٍ لا تَعكسُ طبيعةَ **اللهِ** الطَّاهرةَ والمُحِبَّة. وفي الكتابِ المُقدَّسِ، يَقولُ مَلِكُ الكَوْنِ إنَّ مِثلَ هذهِ الأشياءِ هيَ خطيَّة.

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ» (رومية ٣: ٢٣).

ولكِنْ هل كانت هناكَ طريقةٌ لدى **اللهِ** لكي يَغفرَ لقايينَ وهابيلَ ويُعلنُهما بارَّينِ أمامه؟ أجل، ولكِنَّ الثَّمنَ سيكونُ باهظًا جدًّا:

«بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ» (عبرانيِّين ٩: ٢٢).

وهكذا، كان يَنبغي تطبيقُ ذلكَ القانونِ الذي لا يُمكنُ كَسْرُه: ناموسُ الخطيَّةِ والموت. فينبغي مُعاقبةُ الخطيَّةِ بالموت. لذلكَ فإنَّ طريقةَ المَلِكِ في المَغفرةِ تَتَطلَّبُ موتًا. ومعَ أنَّ الخُطاةَ يَستحقُّونَ الموت، إلاَّ أنَّ **اللهَ** مُستعدٌّ لقبولِ دمِ بعضِ الحيواناتِ مثلِ الحَمَل (الخَروف).

ولكِن يجبُ أنْ لا يكونَ الحَمَلُ مريضًا أو مُصابًا أو وَسِخًا. بل يجبُ أن يكونَ بصحَّةٍ جيِّدةٍ ونظيفًا. بمعنىً آخر، يجبُ أن يكونَ حَمَلاً كاملاً. ويجب ذَبْحُ الحَمَلِ وَحَرْقُه. وهوَ يموتُ بَدَلاً عن الخاطئِ المُذنِب؛ أي أنه يكونُ بديلاً عنه.

وفي أحدِ الأيَّام، أحضَر الأخوانِ تَقْدِماتٍ إلى **الله**، ولكنَّ واحدًا منهما فقط أحضرَ التَّقدمةَ الصَّحيحَة:

«وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا» (تكوين ٤: ٣–٤).

في رأيك، مَا هيَ التَّقدمةُ التي قَبِلَها **الله**؟

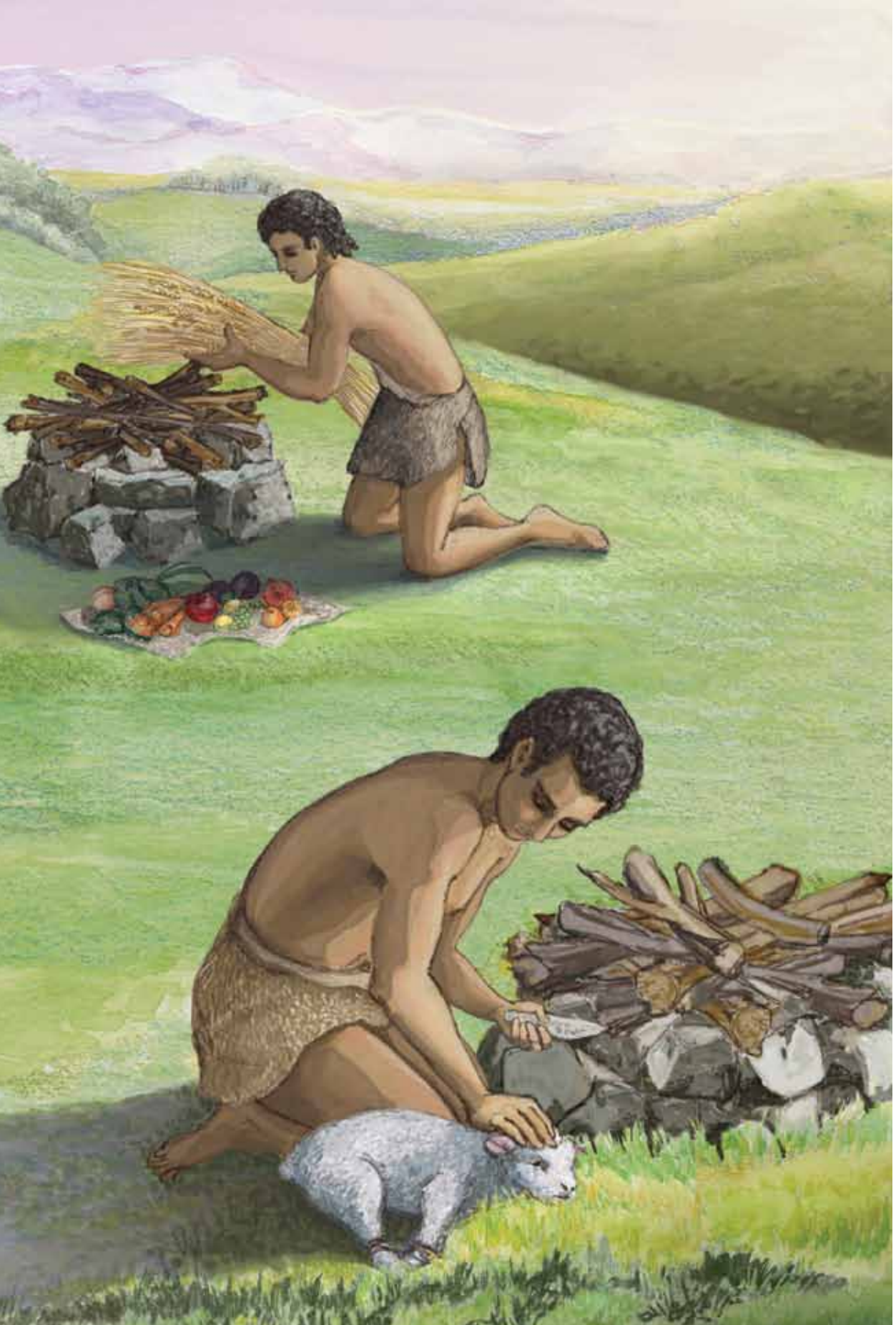

المشهد ٢٢
شَريعةُ ذبيحةِ الخطيَّة

اُنظُرْ إلى الأخَوَيْن. اُنظُرْ إلى ما سيُقدِّمَانِهِ إلى **الله**. انْظُر إلى المَذْبَحَيْن. كانَ المَذْبَحُ يتألَّفُ مِن مِنَصَّةٍ مُرتفعةٍ مصنوعةٍ مِنَ الحجارةِ أو التُّراب. وكان المذبحُ مكانًا للموت. فقد كان يَحملُ القُربانَ ما بينَ السَّماءِ والأرض، أو ما بينَ **اللهِ** والإنسان. وقد كانَ ينبغي إضرامُ النَّارِ بالأشياءِ التي تُوضَعُ على المذبحِ وحَرْقِها. ومعَ أنَّ **اللهَ** يُقيمُ العَدْلَ دائمًا، إلاَّ أنه يُريدُ أن يُظهِرَ رَحْمَةً أيضًا. ولكِنْ كيفَ يُمكنُه أن يَفعلَ كِلا الأمرينِ في آنٍ واحدٍ؟ أو كيف يُمكنُه أن يُدينَ الخطيَّةَ دونَ أنْ يُعاقبَ الخاطئ؟

بعدَ وقتٍ طويلٍ مِن زَمَنِ قايينَ وهابيل، قالَ **اللهُ** للنبيِّ مُوسى:

«لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ» (لاويِّين ١٧: ١١).

كما أنَّه قالَ له في لاويِّين ١: ٤: «وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْمُحْرَقَةِ، فَيُرْضَى عَلَيْهِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْهُ».

وَلَكِنْ ما معنى الكفَّارة؟ المَقصودُ بالكفَّارةِ هوَ دَفْعُ الفديةِ المَطلوبةِ لتغطيةِ الخطايا المُقْتَرَفَة، وتطهيرِها، وغُفرانِها. وفي أزمنةِ العهدِ القديم، قالَ **اللهُ** للناسِ إنه يَقْبَلُ سَفْكَ دَمِ بَعضِ الحيواناتِ السَّليمةِ والمُعافاةِ (كالحِملانِ، والكِباشِ، والثُّيوسِ، والثِّيرانِ، والحَمام) للتَّكفيرِ عنْ خطاياهم. فقد كانَ دَمُ هذهِ الحيواناتِ يُكَفِّرُ عنِ الخطايا، ولكِنْ ليسَ إلى الأبد؛ بل إلى الوقتِ الذي يُدَبِّرُ **اللهُ** فيه ذبيحةً كاملةً لدفعِ الثَّمنِ الحقيقيِّ الذي يَتَطَلَّبُه ناموسُ الخطيَّةِ والموت.

والآن، انْظُرْ إلى قايينَ وإلى ما سيُقدِّمُه إلى **الله**. فيا لها مِنْ مجموعةٍ رائعةٍ مِن الفاكهةِ والخضروات! وكم تَعِبَ لإحضارِ هذهِ التَّقدمة! ولكنها لم تَكُن تَكفي للتَّكفيرِ عن خطاياه لأنها لا تحتوي على دماءٍ ولا تَشتملُ على موتِ أيِّ حَيوان.

بالمُقابِل، اُنظُرْ إلى هابيلَ وتَقدمتِه. فيا له مِن مَشهدٍ حزينٍ وتَقْشَعِرُّ له الأبدان! فالحَمَلُ الصَّغيرُ مَربوطٌ وعلى وَشْكِ أن يُذبَح. وهل ترى هابيلَ وهو يَضَعُ يَدَه على رأسِ الحَمَل؟ فلأنَّ هابيلَ آمَنَ بخُطَّةِ **الله**، فقد رَفَعَ **اللهُ** جميعَ خطاياه ووضَعها على الحَمَل. وقد شَكَرَ هابيلُ **اللهَ** لأنه بالرَّغم مِن أنه (أيْ: هابيل) يستحقُّ عقوبةَ الموتِ، إلاَّ أنَّ **اللهَ** سيَقبَلُ دَمَ الحَمَلِ للتَّكفيرِ عن خطاياه.

وقد كانَ ناموسُ **اللهِ** يَقتضي مُعاقبةَ جميعِ الخُطاةِ بالموت؛ ولكنَّ **اللهَ** – بعَدْلِهِ ورَحمَتِهِ – رَضِيَ بموتِ حَمَلٍ بدلاً عنهم. وقد دَعا **اللهُ** هذا القانون: «شَرِيعَةَ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ» (لاويِّين ٦: ٢٥).

وهكذا، فقد كانت شريعةُ ذبيحةِ الخطيَّةِ تُحَرِّرُ هابيلَ مِن ناموسِ الخطيَّةِ والموت.

ولكِنْ ماذا عن قايين؟

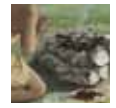

المشهد ٢٣
مَقبولٌ ومَرفوضٌ

هل ترى مَذْبَحَ قايين؟ ماذا يُوجدُ عليه؟ بعضُ المحاصيلِ الزراعيَّة. والآن، اُنظُر إلى مَذبحِ هابيل، ماذا يُوجدُ عليه؟ دماءٌ ورمادٌ.

وما هو رأيُ **اللهِ** في هذينِ الأخَوَيْنِ وفي عبادتِهما؟

«فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ» (تكوين ٤: ٤–٥).

ومع أنَّ الكتابَ المُقدَّسَ لا يُخبرُنا كيفَ أظهرَ **اللهُ** قبولَه لتقدمةِ هابيلَ ورَفضَه لتقدمةِ قايين[١٠]، إلاَّ أنَّه يقول:

«بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ **للهِ** ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ **اللهُ** لِقَرَابِينِهِ» (عبرانيِّين ١١: ٤).

وهكذا، لأنَّ هابيلَ آمنَ بالربِّ وبخُطَّتِه، فقد غُفِرَتْ خطاياهُ وأُعلِنَ بأنَّه بارٌّ أمامَ **الله**. وقد كانت هذه هيَ عَطِيَّةُ **اللهِ** لهابيل. فقد وَضَعَ **اللهُ** خطايا هابيلَ على الحَمَل. فقد ماتَ الحَمَلُ بدلاً عن هابيل. وقد سُفِكَ دَمُ الحَمَلِ وَأُحْرِقَ لَحْمُهُ وَعِظامُهُ إلى أنْ صارَت رَمادًا. وبهذا، فقد وَقَعَ غَضَبُ **اللهِ** البارِ على الخطيَّةِ على الحمَلَ بدلاً مِن أن يَقَعَ على هابيل. إذًا، لماذا سُرَّ **اللهُ** بتَقْدِمَةِ هابيل؟ لأنَّها كانت تُشيرُ إلى المُخَلِّصِ الذي سيأتي والذي سيَدفعُ أُجرةَ الخطيَّةِ عن كُلِّ البَشَر.

وبسبب إيمانِ هابيلَ بخُطَّةِ **اللهِ**، فقد أصبحَ الآنَ يَتمتَّعُ بعلاقةٍ سليمةٍ معه. وعندما ماتَ هابيلُ (لاحقًا)، لم يَكُن مُنفصلاً عنِ **اللهِ** إلى الأبد، بل إنه ذَهَبَ ليكونَ في مَحضرِهِ لأنَّهما أصدقاء. وبهذا، فقد انتصرت شريعةُ ذبيحةِ الخطيَّةِ على ناموسِ الخطيَّةِ والموت.

أمَّا قايينُ فحاوَلَ أن يَتَقرَّبَ إلى **اللهِ** من خلالِ صلواتِه، ولكنه تَجاهَلَ شريعةَ **اللهِ** التي تقولُ بأنَّه ينبغي للخطيَّةِ أن تُعاقَبَ بالموت. فقد كانَ قايينُ مُتديِّنًا، ولكنه لم يَكُنْ يَتمتَّعُ بعلاقةٍ سليمةٍ معَ **اللهِ**. لهذا، فقد كانَ ناموسُ الخطيَّةِ والموتِ يَحومُ حولَه كسَحابةٍ سَوداء. وإنْ لم يَكُنْ يَتَّكِلُ على **اللهِ** وخُطَّتِه، فهوَ لن يَعرفَه كصديق؛ بل سيواجهُهُ كدَيَّان.

ومِنَ المؤسفِ أنَّ البعضَ يحاولون أن يُدافعوا عن قايينَ بالقولِ إنه كانَ مُزارعًا وإنه قَدَّمَ ما لديه. ولكنَّ **اللهَ** لم يَكُنْ يُريدُ ما لديه. فقد كانَ بإمكانِ قايينَ أن يُقايِضَ بعضَ محاصيلِه الزراعيَّةِ بِحَمَلٍ مِن حِملانِ هابيل، أو أنْ يَضَعَ يدَه على رأسِ حَمَلِ هابيل وأن يَتَعَبَّدَ معه على نفسِ المَذبح.

إذًا، ماذا سَيَفْعَلُ قايينُ بعدَ ذلك؟

هل سيتوبُ ويأتي إلى **اللهِ** بالذَّبيحةِ المُناسبة؟

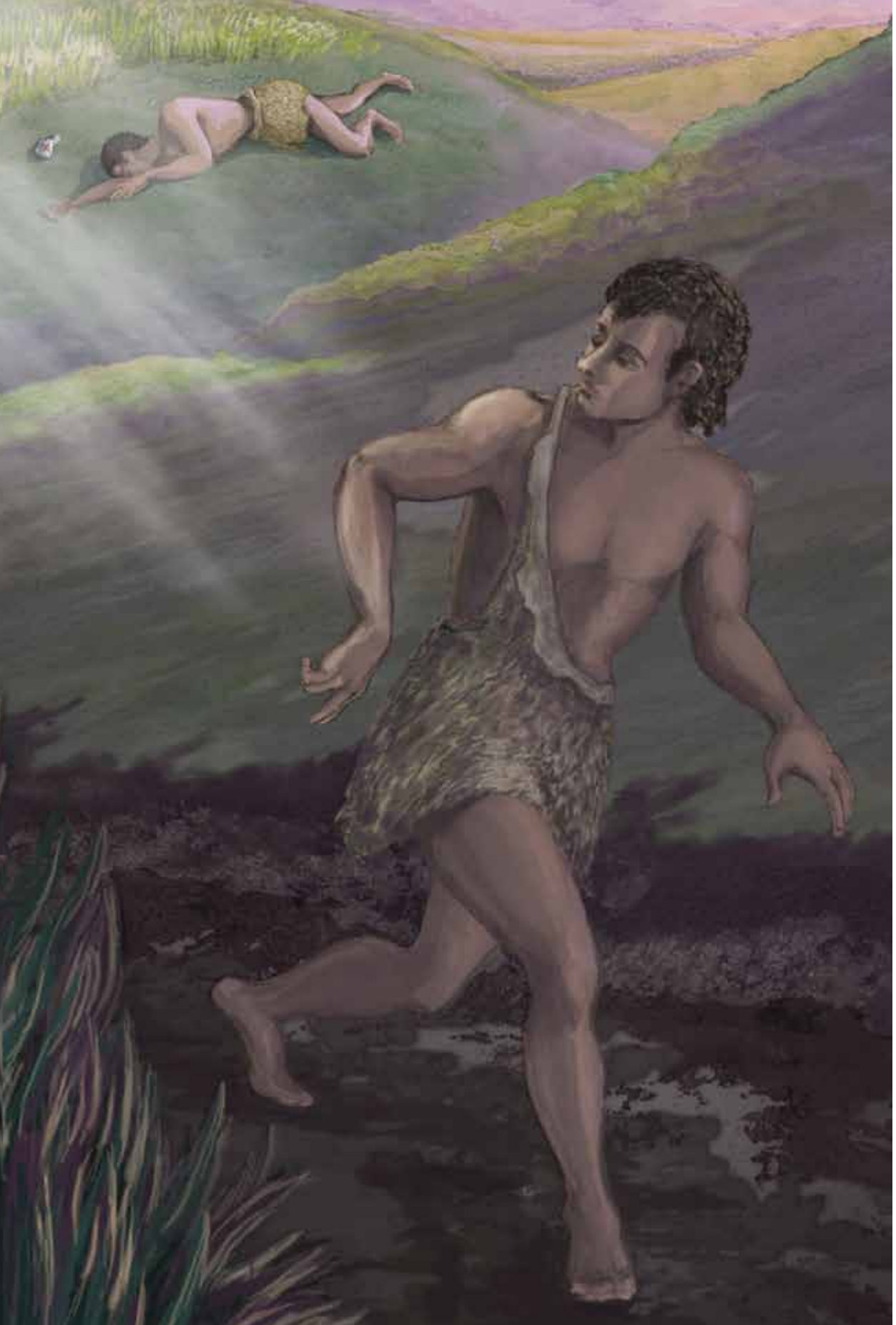

المشهد ٢٤
جريمةُ القتلِ الأولى

مـعَ أنَّ **الله** رَفَضَ تَقدمَةَ قـايين، إلاَّ أنهُ استمرَّ في حُبِّهِ لهُ ودعوتِه إلى التَّوبة.

ولكِنْ ما مَعنى التَّوبة؟

افتَرِضْ أنكَ تريدُ أنْ تُسافِرَ إلى مدينةٍ ما. وبعدَ أن رَكِبْتَ القِطارَ أدركتَ أنه ذاهبٌ إلى مدينةٍ أخرى. فما الذي ستَفعلُه؟ سوفَ تَعترفُ بخطئِكَ، وتتركُ ذلكَ القطارَ قَبْلَ انطلاقه، ثُمَّ تَنطلقُ في القطارِ الصَّحيح. هذا هو المعنى الحقيقيُّ للتوبة.

فالتَّوبةُ تعني تَغييرَ الفِكْرِ، أو أن تَتركَ ما هو خطأٌ وتَفعلُ ما هو صواب. والتَّوبةُ أمامَ الله لا تَعني أنه ينبغي لي أن أعاقِبَ نفسي على خطاياي، بل أن أرى خطاياي كما يَراها الله.

لقد أرادَ اللهُ مِن قـايينَ أن يَتوب؛ أي أن يَتوقَّفَ عن الاتِّكالِ على طَريقِه وأن يبدأَ في الاتِّكالِ على طريقِ الله.

«فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَتَجَهَّمَ وَجْهُهُ كَمَدًا. فَسَأَلَ الرَّبُّ قَايِينَ: لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ لِمَاذَا تَجَهَّمَ وَجْهُكَ؟ لَوْ أَحْسَنْتَ فِي تَصَرُّفِكَ أَلاَ يُشْرِقُ وَجْهُكَ فَرَحًا؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنِ التَّصَرُّفَ، فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ تَنْتَظِرُكَ، تَتَشَوَّقُ أَنْ تَتَسَلَّطَ عَلَيْكَ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَتَحَكَّمَ فِيهَا» (تكوين ٤: ٥–٧؛ ترجمة الحياة).

كانَ قـايينُ فَخورًا جِدًّا بنفسِه إلى دَرَجَةٍ مَنَعَتْهُ مِن أن يَتوب. فقد كانَ يَشعُرُ بالخَجَلِ مِن أخيه! وكانَ عازِمًا على التخلُّصِ مِن هذا العارِ، وَعلى استعادةِ كَرامتِه بطريقتِه الخاصَّة!

«وَعَادَ قَايِينُ يَتَظَاهَرُ بِالْوُدِّ لأَخِيهِ هَابِيلَ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا مَعًا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ هَجَمَ عَلَى أَخِيهِ هَابِيلَ وَقَتَلَهُ. وَسَأَلَ الرَّبُّ قَايِينَ: أَيْنَ أَخُوكَ هَابِيلُ؟ فَأَجَابَ: لاَ أَعْرِفُ. هَلْ أَنَا حَارِسٌ لأَخِي؟ فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: مَاذَا فَعَلْتَ؟ إِنَّ صَوْتَ دَمِ أَخِيكَ يَصْرُخُ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ» (تكوين ٤: ٨–١٠؛ ترجمة الحياة).

لقد ذَهَبَت نَفسُ هـابيلَ ورُوحُه ليكونا مَعَ الربِّ، ولكنَّ جَسَدَهُ سيعودُ إلى التُّرابِ إلى أن يُغَيِّرَ اللهُ ذلكَ التُّرابَ إلى جَسَدٍ مُمَجَّدٍ يَليقُ بالحياةِ الأبديَّة.

أمَّا قـايين، فقد أعطاهُ اللهُ فُرصةً أُخرى للتَّوبة، ولكنه رَفَضَها:

«وَهَكَذَا خَرَجَ قَايِينُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ ...» (تكوين ٤: ١٦ ١٠؛ ترجمة الحياة).

وبهذهِ الرُّوحِ المُتمرِّدة، انتقل قـايينُ شَرقًا وبَنى مدينةً. وأنجبَ قـايينُ وزوجتُه عددًا مِنَ الأبناء. وكانَ أبناؤُه الأوائلُ هُمُ الذينَ صَنَعوا أولى الأدواتِ المَعدنيَّةِ والآلاتِ المُوسيقيَّة.

وهكذا، فقد كانَ نَسْلُ قـايينَ ذكيًّا جِدًّا، ولكنَّه لم يَكُنْ يَعرفُ الربَّ.

المشهد ٢٥
الصَّبرُ والدَّينونة

بعدَ عشَرَة أجيالٍ مِن خطيئةِ آدمَ الأولى، أعطى **اللهُ** التَّقريرَ التَّاليَ عن حالةِ الجنسِ البشريِّ:

«وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ» (تكوين ٦: ٥).

ولكِنْ كانت هُناكَ عائلةٌ واحدةٌ على الأرض تَثِقُ في **الله**:

«وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. ... فَقَالَ **اللهُ** لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ [أي: السَّرو]. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. وَهكَذَا تَصْنَعُهُ ...» (تكوين ٦: ٨، ١٣–١٥).

كانت هذه السَّفينةُ الضَّخمةُ المؤلَّفةُ مِن ثلاثِ طَبَقاتٍ (والتي يَبلُغ طُولُها طُولَ مَلعبٍ ونِصفٍ لكُرةِ القدم) واسِعَةٍ بما فيهِ الكِفايةُ لإيواءِ اثنينِ مِن كُلِّ نَوعٍ مِن أنواعِ الحيوانات، وسَبعةِ ذكورٍ وسبعِ إناثٍ مِنَ الحيواناتِ التي تُستَخدَمُ كذبائحَ خطيَّة. وكانت السَّفينةُ تحتوي على نِظامٍ للتَّهويةِ وبابٍ كَبيرٍ واحدٍ فقط.

استمرَّ نُوحٌ في بناءِ السَّفينةِ لمُدَّةِ مئةِ سنةٍ كاملةٍ (مع زوجتِه وأبنائِه الثلاثةِ وزوجاتِهم). وبينما كانَ نُوحٌ يَبني السَّفينة، كانَ يُحَذِّرُ العالَمَ مِن مَجيءِ دينونةِ **الله**؛ ولكنَّ الناسَ كانوا يَسْخَرونَ منه ويَهزأون به. وأخيرًا، أصبحتِ السَّفينةُ جاهزة. وقد وضعَ فيها نوحٌ وعائلتُه ما يكفي مِن المُؤنِ والطَّعام. وقامَ **اللهُ** بِجَلْبِ الحيواناتِ وَالزَّواحفِ وَالحشراتِ وَالطُّيور. ويا له مِن مَنظرٍ بديعٍ وَهيَ تَدخُلُ جميعُها إلى السَّفينةِ وتسكنُ في آلافِ الحُجراتِ التي فيها!

ثُمَّ دَخَلَ نُوحٌ وعائلتُه في السَّفينةِ أيضًا. ولكِنْ هل دَخَلَ أيُّ شخصٍ في ذلكَ المكانِ الآمِن؟ لا! حينئذٍ، أغلقَ **اللهُ** الباب. بعدئذٍ، تَراكَمَتِ الغُيومُ في السَّماء، وبدأَ البَرقُ والرَّعد:

«فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (تكوين ٧: ١١–١٢).

كانت تلكَ أكبرَ كارثةٍ طبيعيَّةٍ في التَّاريخ. فقد هَلَكَ جميعُ البَشَر – باستثناءِ الأنفسِ الثَّماني التي احْتَمَت في السَّفينة. أمَّا النَّاسُ المُتَكَبِّرونَ وغيرُ المُؤمنينَ فعَرفوا الحقيقةَ في وقتٍ مُتأَخِّرٍ جِدًّا. وفي الحقيقةِ أنَّ الأبحاثَ الجيولوجيَّةَ وعِلْمَ المُستحاثَّاتِ (عِلْمُ النباتاتِ والحيواناتِ القديمة) تُبَرهِنُ جميعُها على صِدْقِ هذهِ القصَّة. فقد عَثَرَ العُلماءُ على كائناتٍ مَيِّتةٍ غَرَقًا في جميعِ الأراضي المُمتدَّةِ مِن الصَّحراءِ الكُبرى إلى جبال الهملايا.

وهذا يُرينا أنَّ رَحْمَةَ **الله** تَجْعَلُهُ يَنتظرُ طويلاً، ولكنَّ دينونَته تَجْعَلُهُ يُدِين الخطيَّةَ في النِّهاية.

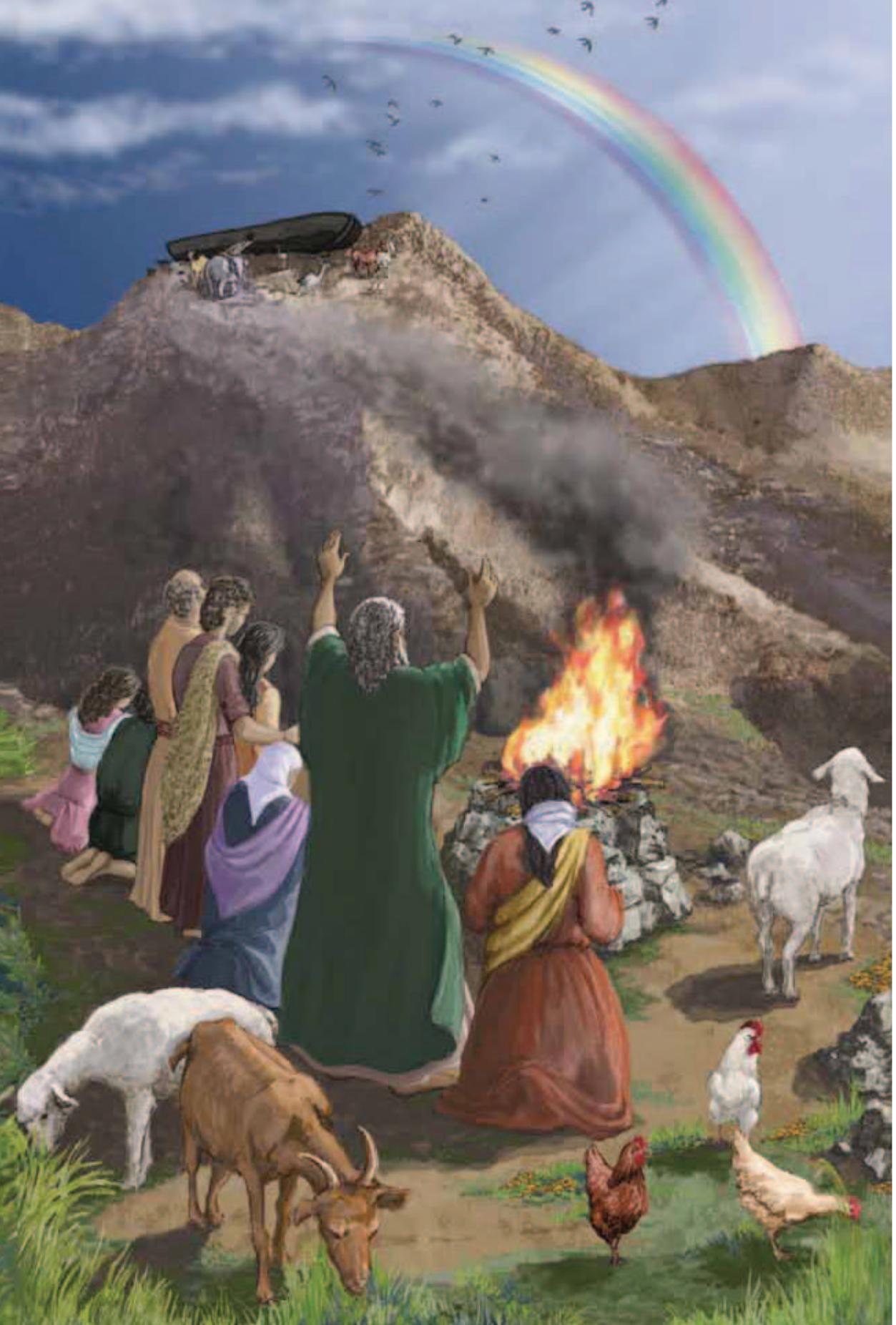

المشهد ٢٦
بدايةٌ جديدة

إذًا، ما الذي حَدَثَ لنوحٍ وعائلتِه والحيواناتِ التي كانت معهم في السَّفينة؟ لقد نَجَت مِنْ دينونةِ **الله**:

«ثُمَّ ذَكَرَ **اللهُ** نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ **اللهُ** رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ» (تكوين ٨: ١).

وهكذا، فَقَدْ حَطَّتِ السَّفينةُ أخيرًا على الأرضِ واستقرَّتْ على جِبالِ أَرَارَاط (وهو جَبَلٌ ذو قِمَّتينِ في الجُزءِ الشرقيِّ مِن تُركيَّا الحاليَّة).

أرسلَ نُوحٌ – ثلاثَ مَرَّاتٍ – حمامةً ليرى ما إذا كانت ستَجِدُ أرضًا جافَّةً تَستقرُّ عليها. في المرَّة الأولى، عادت الحمامة. وفي المرَّةِ الثانيةِ عادتِ الحمامةُ أيضًا إلى نوحٍ وهيَ تَحملُ بمُنقارِها ورقةَ زيتونٍ خضراء. وفي المرَّة الثَّالثة، لم تَعُد الحمامة. فقد وَجَدت مُستقرًّا لها! حينئذٍ، عَرَفَ نوحٌ أنَّ الوقتَ قد حانَ لمُغادرةِ السَّفينة. وكانت قد انقَضَت سنةٌ كاملةٌ مُنذُ أن حَدَثَ الطُّوفان.

هل تَعرفُ ما هو أوَّلُ عَمَلٍ قام به نوحٌ بعد أن غادرت عائلتُه والحيواناتُ السَّفينة؟

«وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا ...» (تكوين ٨: ٢٠–٢١).

لم تَتَغَيَّرْ عدالةُ **الله** أو رَحمتُه. فالخطيَّةُ ما زالَت تَستوجبُ عقوبةَ الموت. لهذا، فقد سَفَكَ نُوحٌ دَمَ حيواناتٍ بريئةٍ وأحرقَ جُثَثَها على مَذْبَحٍ بَناه لِهَذا الغَرَض ما بين السَّماء وَالأرض (أيْ: ما بَيْن **الله** والإنسان). وقد كانت مِثلُ هذهِ الذَّبائحِ تُشيرُ إلى المسيَّا الذي بلا خَطِيَّةٍ والذي سيأتي إلى الأرضِ في يومٍ ما ليُقدِّمَ الذَّبيحةَ الحقيقيَّةَ عنِ الخطيَّة.

بعدَ ذلك، أوصى **اللهُ** نُوحًا وعائلتَه قائلاً:

«أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ» (تكوين ٩: ١).

كما أنَّ **اللهَ** قَطَعَ عَهْدًا مع كوكبِ الأرض:

«وَضَعْتُ قَوْسِي [قَوْس قُزَح] فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاق بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. ... فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ» (تكوين ٩: ١٣، ١٥).

وهكذا، فقد وَضَعَ **اللهُ** في السَّماءِ قَوسَ قُزَح كعلامةٍ للعهد (أي أنه لن يُرسلَ مَرَّةً أُخرى طُوفانًا يُهْلِك جَميعَ البَشَر). لهذا فإنَّ قَوس قُزَح تُذَكِّرُنا بأنَّ **اللهَ** يَحفظُ وعودَه (سواءً في مُعاقبتِنا أو حِمايتِنا) دائمًا.

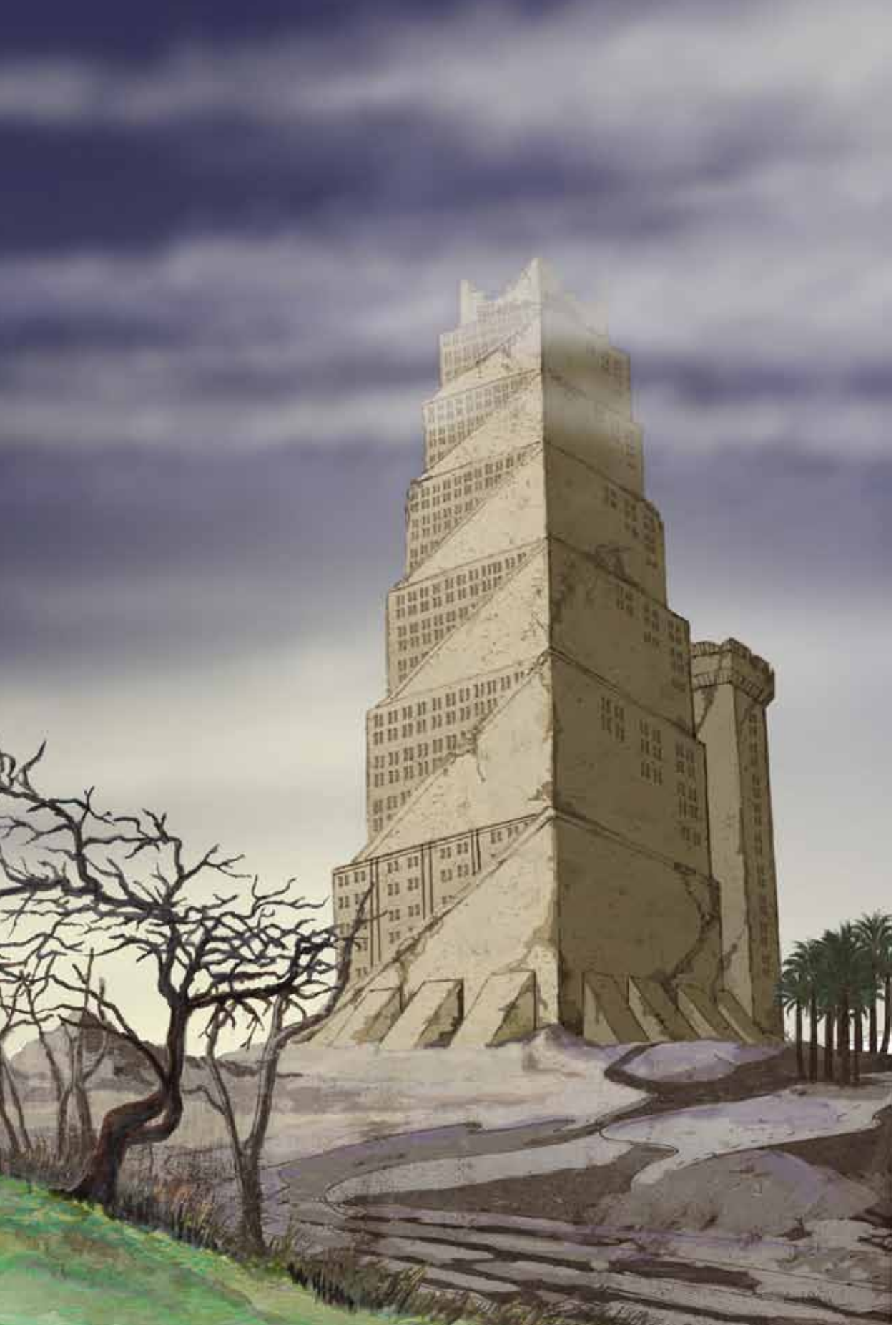

المشهد ٢٧
بُرْجُ الكِبرياء

حَتَّى بعدَ أن بَارَكَ **اللهُ** النَّاسَ ببدايةٍ جديدة، فقد عادوا – بعدَ بضعةِ أجيالٍ – إلى الابتعادِ عن الربِ والسَّيرِ في طريقِهم. فعلى سبيلِ المثال، كان **اللهُ** قد أوصى النَّاسَ بأن ينتشروا وأن «يملأوا الأرض» (تكوين ١: ٢٨؛ ٩: ١). ولكِنْ ما الذي فَعَله الإنسان؟

يُخبرُنا الكتابُ المُقدَّسُ بما يلي:

«وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ [العِراق حاليًّا] وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا. فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ [الزِّفْت] مَكَانَ الطِّينِ. وَقَالُوا: هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ» (تكوين ١١: ١–٤).

وهكذا، بَدَلاً مِن أن يُسَبِّحوا اسمَ الربِّ العظيم، أراد بَنَّاؤوا المدينةِ أن يَصنعوا لأنفسِهم اسمًا أمامَ سُكَّانِ المدينة. وكما هوَ حالُ الشَّيطان، فقد كانَ يُسيطرُ عليهم رُوحُ الكبرياءِ والتمرُّد. ومِن خلالِ رغبتِهم في بناءِ بُرْجٍ يَصِلُ إلى السَّماء، فقد كانوا مِثلَ الناسِ المُتديِّنينَ الذينَ يُحاولونَ الوصولَ إلى السَّماءِ بجهدِهم. وكما هو حالُ قايين، فقد كانَ هؤلاء النَّاس مُتديِّنين، ولكنهم كانوا يَتَغاضَونَ عن طريقةِ **اللهِ** للغُفرانِ والتَّبرير. بعبارةٍ أخرى، فَهُمْ لم يَثِقوا في **اللهِ** ولا في خُطَّتِه.

لذلك، قال الربُّ:

«هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ. فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا بَابِلَ لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ» (تكوين ١١: ٧–٩).

إذًا، عَن طريقِ إعطاءِ كلِّ عَشيرةٍ أو قبيلةٍ لُغةً مُختلفةً، نَجَح الربُّ في إيقافِ مشروعِ البِناء. ولم يَجِدِ الناسُ بديلاً عن تركِ بابلَ وملءِ الأرضِ كما أوصاهُم **الله**.

ولم يُكمِلِ النَّاسُ البُرج،

ولكنَّ خُطَّةَ **اللهِ** كانت تسيرُ على ما يُرام ووفقًا للجدول.

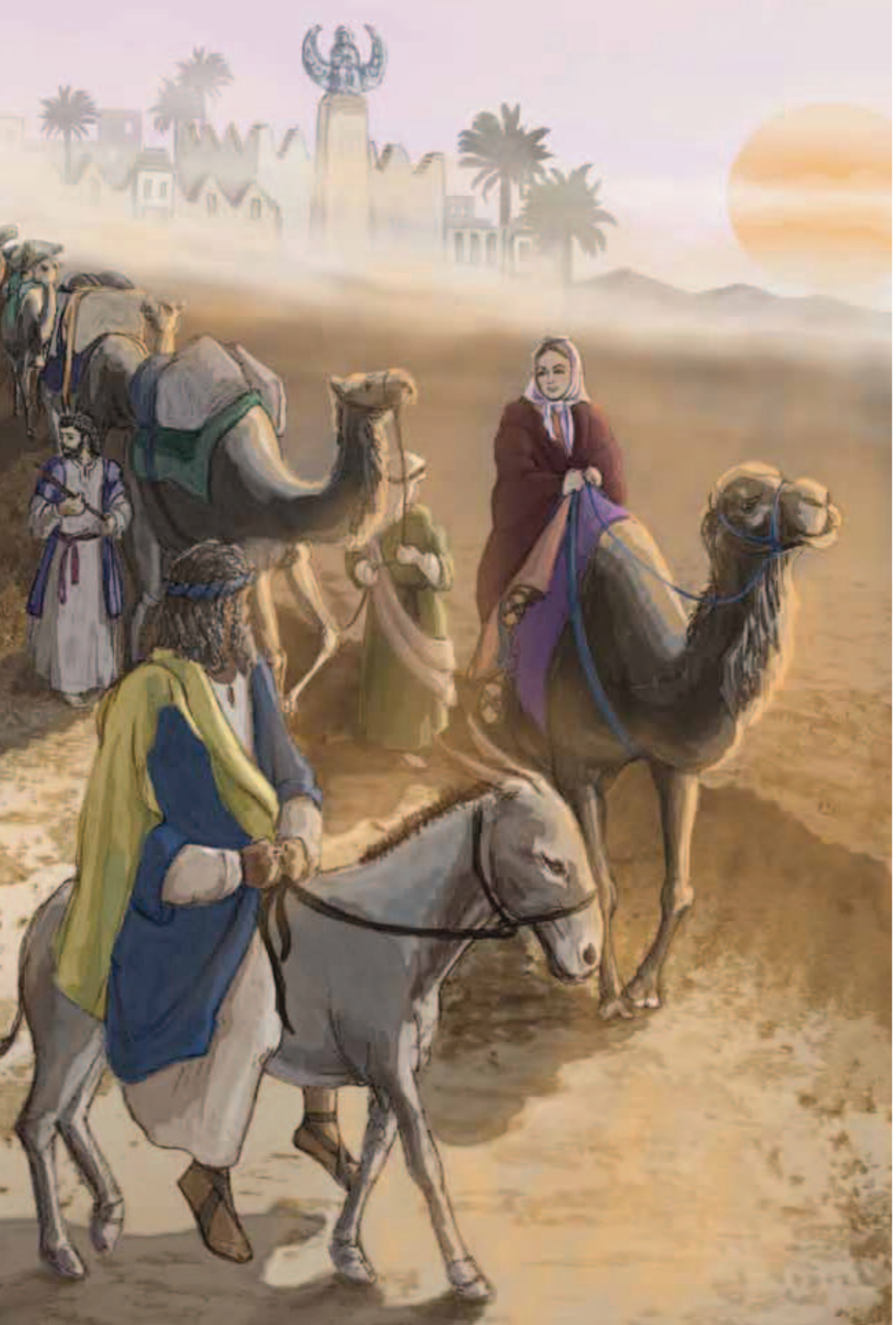

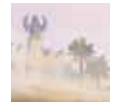

المشهد ٢٨
اللهُ يَدعو إبراهيم

لقد انْقَضَتْ عشَرَةُ أجيالٍ مُنذُ زمنِ النبيِّ نُوح. وكانَ الشَّيطانُ يُحْكِمُ قَبضتَهُ على الأُمَم؛ أو هكذا كانَ الأمرُ يبدو في الظَّاهر. فبدلاً مِنْ أنْ يَتَّكِلَ الناسُ على الرب، كانوا يَتَّكلونَ على دياناتِهم. فبعضُ الأممِ عَبَدَتِ الشَّمسَ بدلاً مِن أن تَعبدَ خالقَ الشَّمس. وبعضُ الأُممِ سَجَدَت للقَمَر.

وفي حوالى سنة ١٩٢٥ قبلَ الميلاد.

كانَ هناكَ رَجُلٌ اسمُه «أبرام» يعيشُ في أرضٍ واقعةٍ إلى الشَّمال الشرقيِّ مِن الجزيرة العربيَّة. وفيما بعد غَيَّر اللهُ اسمَه إلى «إبراهيم» (ومعناه: أبٌ لجمهورٍ مِن الأُمَم).

كان عُمرُ إبراهيمَ ٧٥ سنة، وكان عُمرُ زوجتِه «سارة» ٦٥ سنة، وكانت عاقرًا (لا تُنْجب أبناءً). وكان الأهلُ والأقرباءُ والجيرانُ يَعْبدونَ الأوثانَ حيثُ كانوا يَعبدونَ المخلوقاتِ بدلاً من الخالق.

وفي يومٍ مِنَ الأيَّام، قال الربُّ لإبراهيم:

«اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تكوين ١٢: ١–٣).

لقد أرادَ اللهُ أن يَقطعَ عهدًا معَ إبراهيم. فإنْ تَرَكَ عائلةَ أبيهِ وذهبَ إلى المكانِ المجهولِ الذي سيُخبرُهُ اللهُ عنه، فسوفَ يَفعلُ اللهُ شيئينِ عظيمينِ معه:

١) سوفَ يَجعلُه أبًا لأُمَّةٍ عظيمة.
٢) مِن خلالِ تلكَ الأُمَّةِ الجديدةِ، سوفَ يُبارِكُ اللهُ النَّاسَ مِن كُلِّ أُمَّة.

وهكذا، إذا اتَّكَلَ إبراهيمُ على الربِ وتَبِعَهُ، فسوفَ يُصبِحُ أبًا لأُمَّةٍ سيأتي منها الأنبياءُ، والأسفارُ المُقدَّسة، ومُخلِّصُ العالم.

فماذا فعلَ إبراهيم؟

«بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي» (عبرانيِّين ١١: ٨).

لم يَكُن مِنَ السَّهلِ على إبراهيمَ وزوجتِه أن يتركا أقاربَهما وأن يَتَخَلَّيا عن ديانةِ العائلة. ومع ذلك، فقد اختارا أن يَحْتَمِلا النَّقد مِن مُجتمعِهما في سبيلِ السَّيرِ معَ اللهِ الواحدِ الحقيقي.

وهذا يُرينا أنَّ الاتِّكالَ على اللهِ وإطاعتَه ليسَ بالأمرِ السَّهلِ دائمًا، ولكنه الشيءُ الأفضلُ دَوْمًا.

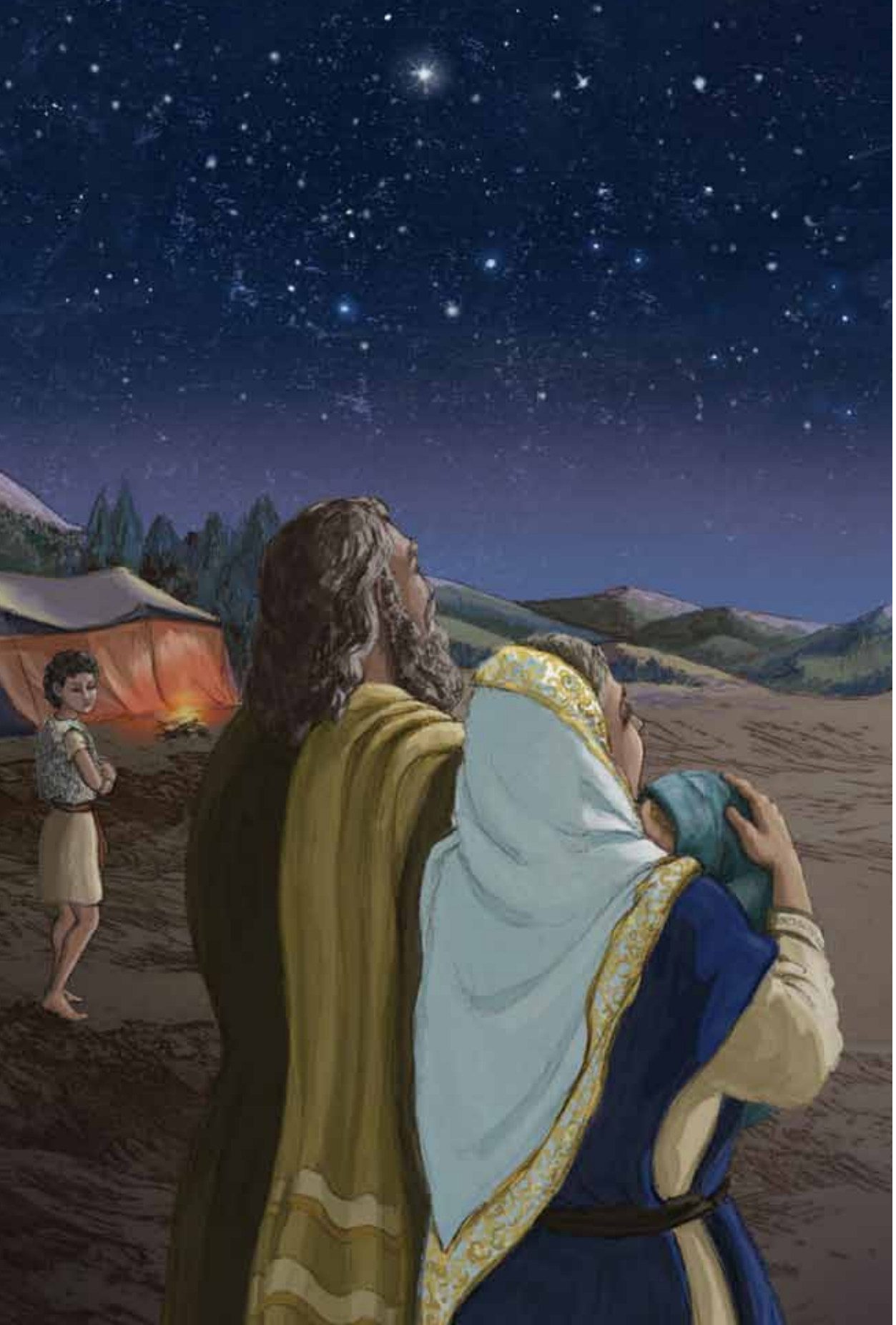

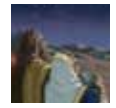

المشهد ٢٩
حافِظُ العَهْد

كان إبراهيمُ وزوجتُه مُسِنَّينِ ولا أولادَ لهما. ومع ذلكَ، فقد وَعَدَ الربُّ بأن يَجعلَ إبراهيمَ أبًا لأُمَّةٍ عظيمة.

فكيفَ تعاملَ إبراهيمُ معَ وعدِ الله «المُستحيل»؟

«فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا، وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ» (يعقوب ٢: ٢٣؛ تكوين ١٥: ٦).

كما هوَ الحالُ معَ كلِّ نَسْلِ آدم، كانَ إبراهيمُ خاطئًا. ولكِن كما هو حالُ هابيلَ ونوح، فقد قَدَّم إبراهيمُ ذبائحَ خطيَّةٍ لله. ولأنَّ إبراهيمَ آمنَ بالربِّ وبوعودِه، فقد حَسِبَ اللهُ ذلكَ بِرًّا لإبراهيمَ في سِجِلِّهِ في السَّماء، وأعطاهُ هِبَةَ الحياةِ الأبديَّة. كما أنَّ سارةَ وَثَقَت في الربِّ فحسبَ لها ذلك بِرًّا أيضًا.

ولكنَّ الانتظارَ صَعبٌ!

فبعد أن مَكَثا في أرض فلسطينَ لعشْرِ سنواتٍ وهُما يَتَرَجَّيانِ ويُصَلِّيانِ مِن أجلِ حَمْلِ سارة، قَرَّر إبراهيم وسارة أن يُساعِدا اللهَ في تحقيق وَعْدِهِ في إعطائهما ابنًا. ووَفقًا للعاداتِ السَّائدةِ آنذاك، أعْطَت سارة جارِيَتَها المصريَّةَ «هاجر» إلى إبراهيم، فاضطجعَ إبراهيمُ مع هاجرَ فَحَبِلَت وأنجبت ابنًا أَسموه إسماعيل.

وبعدَ حوالى ١٣ سنةٍ، عندما أصبحَ عُمرُ إبراهيمَ ٩٩ سنة وعُمر سارةَ ٨٩ سنة، ظَهَرَ اللهُ لهما مَرَّةً أخرى وقال لهما إنه سيُعطيهما ابنًا. وأوصاهُما أن يُسَمِّياه إسحاق. كذلك، قال الربُّ لإبراهيم:

«وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ ... هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. ... وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ» (تكوين ١٧: ٢٠–٢١).

وبعد سنة، أَنْجَبَت سارة إسحاق، ابن الموعِد.

والآن، انظُرْ إلى الصُّورة: هل تَرى إبراهيمَ وزوجتَهُ يَنظرانِ إلى السَّماءِ في اللَّيل؟ إنهما يَشْكُرانِ الربَّ على أمانتِه. وفي وقتٍ لاحقٍ، قام إبراهيمُ بِصَرْفِ هاجَرَ وابنِها، ولكنَّ اللهَ اعتنى بهما أيضًا:

«وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» (تكوين ٢١: ٢٠–٢١).

وأصبحَ إسماعيلُ أبًا للعَربِ العُظماءِ الذين بارَكَهُم اللهُ بطُرُقٍ كثيرةٍ جدًّا.

أمَّا في ما يَتعلَّقُ بإسحاق، فقد بقيَ مع أبيه وأُمِّه، وراحَ يَعتني بمواشي أبيه وقُطعانه. وفي إحدى المرَّات، ساعدَ إسحاقُ أباه في اختيارِ حَمَلٍ مُعافى، وذَبْحِه، وإحراقه على المذبح عن خطاياهما. ولكنَّ إسحاق وأباه لم يَتَخيَّلا الذبيحةَ التي سيَطلبُها اللهُ مِن إبراهيم!

المشهد ٣٠
الاختبارُ النِّهائيُّ

كانَ **اللهُ** يُخَطِّطُ لاستخدامِ إبراهيمَ وابنِه ليَضَعَ أمامَ العالمِ بعضَ النُّبوءاتِ والصُّوَرِ عن خُطَّتِه لإنقاذِ الخُطاةِ مِن الخطيَّةِ والموت. كما أنَّ **اللهَ** كانَ يُخَطِّطُ لاختبارِ إيمانِ إبراهيمَ إلى أقصى حَدٍّ مُمكنٍ بأن يَطلبَ مِنهُ القيامَ بشيءٍ مُريعٍ؛ وهو شيءٌ لن يبدو معقولاً إلاَّ بانتهاءِ الاختبار.

كانَ إبراهيمُ، في هذهِ المرحلةِ مِن حياتِه، يَتَّكلُ على **اللهِ** اتِّكالاً تامًّا ويَثِقُ به ثقةً مُطلقة. فقد كانَ يَعرفُ **اللهَ** حَقَّ المعرفة، وكانَ يَعرفُ أنه إلهٌ صالحٌ وعادِلٌ. ولكِنْ هل سيتمكَّنُ إبراهيمُ مِن وضعِ ثقتِه بهِ وإطاعتِه حتَّى وإنْ بدا أنَّ الشيءَ الذي يَطلبُه منه خطأً؟

إليكَ ما حدث، حسبَ ما يُخبرنا الكتاب المُقدَّس:

«وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ **اللهَ** امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ،

فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ!

فَقَالَ: هأَنَذَا.

فَقَالَ: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا[11]، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ.

فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ **اللهُ**.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا.

فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: يَا أَبِي!

فَقَالَ: هأَنَذَا يَا ابْنِي.

فَقَالَ: هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: **اللهُ** يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي.

فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا» (تكوين ٢٢: ١–٨).

المشهد ٣١
الابنُ المُدان

هل سَمِعْتَ ما قالَه إبراهيمُ للخادِمَيْنِ قبلَ أن يَصْعَدَ هوَ وابنُه إسحاقُ إلى جَبلِ المُحرقة؟

«اجْلِسَا أَنْتُمَا هٰهُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا».

ولكِنْ كيفَ سيرجعُ إسحاقُ إن كانَ سيُذبَحُ ويُقَدَّمُ كمُحرقة؟ يقول الكتابُ المُقدَّسُ:

«إِذْ حَسِبَ [إبراهيمُ] أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا» (عبرانيِّين ١١: ١٩).

فقد وَعَدَ اللهُ بأنْ يَجعلَ إسحاقَ أبًا لأُمَّةٍ جديدةٍ (يأتي مِنها المُخلِّصُ المَوعود). ولا يُمكِنُ للهِ أن يَكذب. وقد كانت هذهِ الحقيقةُ كافِيَةً لإبراهيم.

في الوقتِ نفسِه، ما الذي كانَ يدورُ في ذِهْنِ إسحاق؟ فقد كانَ يَعرفُ أنه خاطئٌ وأنه يَستحقُ الموتَ عن خطاياه. ولكنَّهُ كانَ يَعرفُ أيضًا أنَّ اللهَ يَقبلُ بديلاً عنه. ولكنهما ذاهبانِ اليومَ إلى مكانٍ ما لتقديمِ ذَبيحةٍ، لكنَّهما لم يأخذا معهما كَبْشًا أو حَمَلاً! إذًا، فالأمرُ غيرُ مَنطقيٍّ! لهذا، قالَ إسحاقُ لأبيه:

«هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟»

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي».

والآن، لِنُتابعِ القِصَّة:

«فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ! فَقَالَ: هأَنَذَا. فَقَالَ: لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي» (تكوين ٢٢: ٩–١٢).

فَرِحَ إبراهيمُ وإسحاقُ! ولكِن ماذا عنِ الذَّبيحةِ المَطلوبة؟

«فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ» (تكوين ٢٢: ١٣).

وهكذا، فقد نَجا ابنُ إبراهيمَ مِن عقوبةِ الموت.

فقد دَبَّر اللهُ بَديلاً!

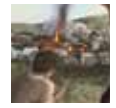

المشهد ٣٢
صُوَرٌ ونُبوءاتٌ

كيفَ أنْقَذَ **اللهُ** ابنَ إبراهيمَ المحكوم عليه؟ لقد دَبَّر حَيوانًا بريئًا وسليمًا عوضًا عنه:

«فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ» (تكوين ٢٢: ١٣).

وهذهِ الأحداثُ جميعُها تُصَوِّرُ خُطَّةَ **اللهِ** في أن يُرسِلَ إلى الأرضِ مُخَلِّصًا قُدُّوسًا يَفي بِمَطالِبِ ناموسِ الخطيَّةِ والموت، ويُنقذُ الخُطاةَ مِن كُلِّ أُمَّةٍ على الأرض.

«فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ يَهْوَهْ يِرْأَهْ [وَمَعْنَاهُ: الرَّبُّ يُدَبِّرُ]. حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى» (تكوين ٢٢: ١٤).

لكِنْ لماذا دَعا إبراهيمُ المكانَ «الربُّ يُدَبِّر» وليس «**اللهُ** دَبَّرَ»؟

أَلَمْ يُدَبِّر اللهُ فِديةً؟

عندما سَمَّى النبيُّ إبراهيمُ ذلكَ الموضعَ مِنَ الجَبَلِ «**اللهُ يُدَبِّر**»، فقد كَان يُنْبِئُ عَنِ اليوم الذي سيقومُ **اللهُ** فيه، وعلى نفسِ الجبل، بتدبيرِ ذبيحةٍ غاليةِ الثَّمنِ جِدًّا ومَقبولةٍ لدى **اللهِ** عن خطايا العالم. وكُلُّ مَن يُؤمنُ بتلكَ الذَّبيحةِ لن يَهْلك، بل تكونُ له الحياةُ الأبديَّة.

وبعد ١٩٠٠ سنةٍ مِن تقديمِ إبراهيمَ لذلكَ الكبشِ على المَذبح، سوفَ يَنظُرُ المُخَلِّصُ الموعودُ إلى الوراءِ إلى ذلكَ الحدثِ التَّاريخيِّ ويقول:

«أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (إنجيل يوحنَّا ٨: ٥٦).

بينما كانَ دُخانُ المُحرقةِ يَتصاعَدُ إلى السَّماء، أعطى **اللهُ** إبراهيمَ لَمحةً عن ذبيحةِ المُحرقةِ التي ستُقَدَّمُ على نفسِ هذا الجبل. وفجأةً، أصبحَ لجوابِ إبراهيمَ عن سؤالِ ابنِه «أين الخروف» معنىً أعمق:

«**اللهُ** يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي» (تكوين ٢٢: ٨).

بالنسبةِ إلى إبراهيمَ وابنِه، لم يَكُن **اللهُ** قد دَبَّرَ الخروفَ بَعْد، بل دَبَّرَ كَبْشًا.

إذًا، أينَ هو الخروف؟

في الوقتِ المُناسبِ، سوفَ يُقَدِّمُ **اللهُ** نفسُه الجواب.

المشهد ٣٣
إلهٌ أمينٌ وقُدُّوسٌ

هل تَذْكُرُ الوَعْدَيْنِ الكبيرينِ اللَّذينِ قَطَعَهُما الربُّ لإبراهيم؟ فقد قالَ **اللهُ** له:

«فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً» (تكوين ١٢: ٢).

وقد حَفِظَ **اللهُ** وَعْدَه إذ ولدَ إبراهيمُ إسحاق، وولدَ إسحاقُ يعقوب، وولدَ يعقوبُ اثني عشر ابنًا أصبحوا – في ما بعد – أسباطَ (قبائل) إسرائيلَ الاثني عشر. كما أنَّ **اللهَ** قالَ لإبراهيم:

«وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تكوين ١٢: ٣).

وقد كانَ **اللهُ** مُزمِعًا أن يَحفظَ هذا الجُزءَ مِن وعدِه أيضًا. فمِن خلالِ تعامُلِه مع هذا الشَّعبِ الخاص – والمُتمرِّد في أغلبِ الأحيان – أرادَ **اللهُ** أن يُبَيِّنَ لجميعِ النَّاسِ على الأرض حقيقتَهُ وكيفيَّةَ مجيءِ الخُطاةِ إليه. وعندما كانَ **اللهُ** يَحمي هذا الشَّعب، فقد كانَ يَحمي خُطَطَهُ لمباركتِنا أنا وأنت. فَمِنْ هذهِ الأُمَّةِ جاءَ الأنبياءُ، والأسفارُ المُقدَّسةُ، والمُخَلِّصُ الموعود.

وهكذا، فقد كانت خُطَّةُ **اللهِ** السريَّةُ تَمضي قُدُمًا.

وفي نحو سنة ١٥٠٠ قبلَ الميلاد، دَعا **اللهُ** مُوسى، وهو مِن نَسلِ إبراهيمَ، ليكون نبيًّا له. وقد كَتَبَ موسى أوَّلَ خمسةِ أسفارٍ مِن الكتابِ المُقدَّس. كما أنَّ **اللهَ** استَخدَمَ موسى لتحريرِ نسلِ إبراهيمَ (البالغ عددهم ثلاثة ملايين نَسَمة) مِن عُبوديَّةٍ استمرَّت أربعة قرونٍ في أرضِ مِصْر. وقد قادَهُمُ **اللهُ** عبرَ الصَّحراءِ القاسيةِ بسحابةٍ في النَّهارِ لتوفيرِ الظِّل، وبعمودِ نارٍ في اللَّيلِ لتوفيرِ النُّور. وبذراعِه القديرة، فتح **اللهُ** أمامَهم طريقًا للنَّجاةِ عَبْرَ البحرِ الأحمر، وأعطاهُم الخُبزَ مِن السَّماء، والماءَ مِن صَخرة، وجاءَ بهم إلى جبلِ سيناء.

وعند سِفْحِ الجَبَل، قال **اللهُ** لشعبه:

«وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً» (خروج ١٩: ٦).

لقد أرادَ **اللهُ** لهذهِ الأُمَّةِ أن تكونَ مُقدَّسةً: أيْ أنْ تُفْرَزَ لَهُ وتكونَ مُتميِّزةً ومُنفصلةً عن الأُمم المحيطةِ بها. ولكنَّ الشَّعبَ لم يَفهمْ معنى القداسة. كما أنهم لم يَروا أنفسَهُم كخُطاةٍ لا حَوْلَ لَهُم ولا قُوَّة. فقد ظَنُّوا أنهم يستطيعونَ أن يَحْظَوا برضى **اللهِ** بطريقةٍ ما. ولكي يُعلِّمهُمُ الربُّ دَرْسًا عن نارِهِ الآكلةِ بسبب الخطيَّة، فقد جاءهم بدُخانٍ، وزلزلةٍ، وصوت بوقٍ:

«وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا. فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جِدًّا، وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ» (خروج ١٩: ١٨–١٩).

ومع أنَّ **اللهَ** أعطى آدمَ وَصيَّةً واحدةً،

إلاَّ أنه كانَ مُزمعًا أن يُعطيَ هذه الأُمَّةَ عشْر وصايا.

المشهد ٣٤

الوصايا العَشْر

كانَ غالبيَّةُ الشَّعبِ يَعتقدونَ أنهم يَصْلُحونَ لأن يكونوا شعبَ **الله**. لذلكَ، فقد أعطاهُمُ **اللهُ** عشْرَ وصايا: في البدايةِ مِن خلالِ صوتِه وكلماتِه مِن على جبلِ سيناء؛ ومِن ثمَّ على لوحينِ حَجَرِيَّين.

والآن، لنقرأ الوصايا العشْر (انظر إلى اليسارِ لقراءةِ مُلخَّصٍ عن هذه الوصايا من سِفرِ الخروج ٢٠).

وقد أوصى **اللهُ** مُوسى بوجوبِ طاعتهم التَّامَّةِ لجميعِ هذه الوصايا. كما أنه حَذَّره قائلاً:

«مَلْعُونٌ مَنْ لاَ يُقِيمُ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا» (تثنية ٢٧: ٢٦).

والآن، كيف كانَ شُعورُ الشَّعبِ عندما سمعوا هذه الوصايا العشْر؟ هل تَعتقدُ أنهم ظَلُّوا واثقينَ بأنفسِهم وبأنَّهم مَرضِيِّينَ أمامَ **الله**؟ وماذا عنكَ أنتَ؟ هل تَعتقدُ أنك صَالحٌ بما يكفي للعيشِ في مملكةِ **اللهِ** الكاملة؟

اقرأ مَرَّةً أُخرى الوصيَّةَ الأولى. هل تَضَعُ **اللهَ** في المقامِ الأوَّلِ دائمًا؟ إذا كانت إجابتُكَ هي «لا»، فهذا يعني أنك فَشِلْتَ في تطبيقِ هذهِ الوصيَّة. والآن، اقرأ الوصيَّةَ الخامسة. إذا عَصَيْتَ أحد والِديك في يوم ما فأنت مُذنِبٌ أمام **الله**. والآن، اقرأ الوصيَّةَ الثَّامنة. إذا سَبَقَ لك أن أخذتَ شيئًا ليس لك، أو غَشَشْتَ في الامتحان، فقد كَسَرْتَ هذه الوصيَّة. وهل سَبَقَ لك أن كَذَبْتَ؟ إذًا، فأنت لم تُطِع الوصيَّة التَّاسعة. والوصيَّةُ الأخيرةُ تُخبرُنا أنه مِن الخطأ أن نَرغبَ في الحصولِ على أيِّ شيءٍ يَخُصُّ الآخرين. وَ**اللهُ** يرى الخطيَّةَ في قلوبِنا.

والسُّؤالُ الذي يَطرحُ نَفسَه هنا هو: كم عددُ الخطايا التي لَزِمَتْ لإفسادِ علاقةِ آدمَ وحوَّاءَ بـ**الله**؟ خطيَّةٌ واحدةٌ فقط. وما زالَ معيارُ **اللهِ** الكاملُ كما هو ولم يَتَغَيَّرَ بمرور السِّنين:

«لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ» (يعقوب ٢: ١٠).

إنَّ **اللهَ** قُدُّوسٌ ولا يُمكنُه أن يَتغاضى عن الخطيَّة. ولتوضيحِ الأمر، هل يُمكنُك أن تُشارِكَ غرفتَكَ مع جُثَّةٍ مُتعفِّنةٍ أو حيوانٍ نافقٍ (مَيتٍ)؟ هكذا هوَ حالُ خطايانا أمامَ **الله**. فكما أنَّ رَشَّ العُطورِ على جُثَّةٍ مُتعفِّنةٍ لا يُطَهِّرُ الغُرفة، فإنَّ أعمالَنا الدينيَّة – مهما كَثُرَت – لا تستطيعُ أن تُطَهِّرَ قلوبَنا. وكما أنَّ المرآةَ تُريني الأوساخَ التي على وجهي، فإنَّ شريعةَ **اللهِ** تُريني الخطايا التي في قلبي. وكما أنَّ المرآةَ لا يُمكنُها أن تُنَظِّفَ وجهي، فلا يُمكِنُ للوصايا العشْرِ أن تُطَهِّر قلبي.

«لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ» (رومية ٣: ٢٠).

لذلك، مهما اعتقدنا بصلاحِنا فلن يكونَ صلاحُنا كافيًا للعيشِ مع **اللهِ** في السَّماء.

فنحن بحاجةٍ إلى مُخَلِّص.

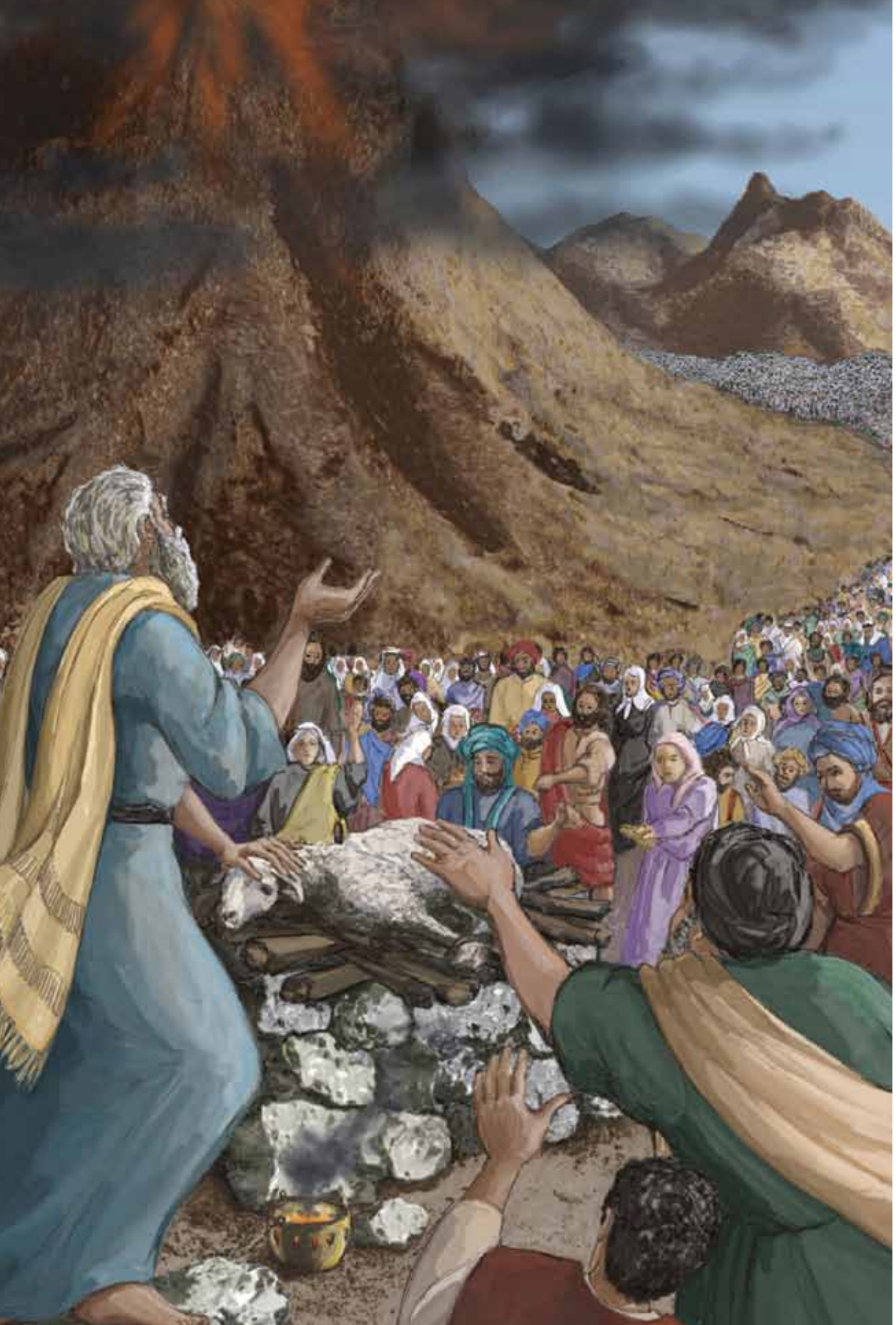

المشهد ٣٥
مَزيدٌ مِن الصُّوَر

أعْطَت الوصايا العشرُ للأُمَّةِ الجديدةِ معيارًا واضحًا للصَّواب والخطأ. وقد كان هذا في حَدِّ ذاته شيئًا جيِّدًا. ولكنَّ شريعة **الله** جَلَبَت معها خبرًا سيِّئًا أيضًا. فقد أظْهَرَت للنَّاس أنهم يُعانونَ مِن مُشكلةٍ خطيرة. فبسببِ خطاياهم، يجبُ عليهم أن يموتوا وأن يَنفصلوا عنِ **الله**. ولكنَّ الخبرَ السَّارَ كانَ هو أنَّ **الله** يَقبلُ دماءَ الحِملانِ، والثيرانِ، والتُّيوسِ، والحمامِ لتغطيةِ خطاياهم. لهذا، في نفسِ اليومِ الذي أرْعَدَ فيه صوتُ **اللهِ** بالوصايا العشرِ، قال (**الله**) لموسى:

«مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ ...» (خروج ٢٠: ٢٤).

هل تَرى مُوسى وهو يَضَعُ يدَهُ على رأسِ الحَمَل؟ وهل ترى النَّاسَ يَمُدُّونَ أيديَهُم باتِّجاه الحَمَل؟ فلأنهم كانوا يُؤمنونَ بـ**الله** وبطريقتِه لغُفرانِ خطاياهم، فقد كانت خطاياهُم تُوضَعُ على الحَمَلِ البريء. ثُمَّ كانَ الحَمَلُ يُذبَحُ على المَذبح. وكانَ الدمُ المَسفوكُ يُغَطِّي خطايا الشَّعب. بعدَ ذلكَ، كانَ الحَمَلُ المذبوحُ يُحْرَقُ إلى أن يُصبحَ رمادًا. وكان الرَّمادُ يُبَيِّنُ للشعبِ ما فعلَه **اللهُ** بخطاياهم؛ فقد غُفِرَت!

ولكنَّ هذا النِّظامَ القائمَ على تقديمِ دماءِ الحيواناتِ لمغفرةِ الخطايا كانَ مُجَرَّدَ صُورةٍ أو ظِلٍّ لما يُريدُه **اللهُ** بالفعل:

«فَقَدْ كَانَتْ شَرِيعَةُ مُوسَى تَتَضَمَّنُ ظِلاً وَاهِيًا لِلْخَيْرَاتِ الَّتِي سَيَأْتِي بِهَا الْمَسِيحُ، وَلَمْ تَكُنْ لِتُصَوِّرَ الْحَقِيقَةَ كَمَا هِيَ. وَلِذَلِكَ، لَمْ تَكُنْ قَادِرَةً أَنْ تُوصِلَ إِلَى الْكَمَالِ أُولئِكَ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى **الله**، مُقَدِّمِينَ دَائِمًا الذَّبَائِحَ السَّنَوِيَّةَ عَيْنَهَا، وَإِلاَّ، لَمَا كَانَ هُنَالِكَ دَاعٍ لِلاسْتِمْرَارِ فِي تَقْدِيمِهَا! لأَنَّ ضَمَائِرَ الْعَابِدِينَ، مَتَى تَطَهَّرَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى التَّمَامِ، لاَ تَعُودُ بِحَاجَةٍ إِلَى التَّطْهِيرِ مَرَّةً ثَانِيَةً: إِذْ يَكُونُ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ قَدْ زَالَ. وَلَكِنَّ فِي عَمَلِيَّةِ تَقْدِيمِ الذَّبَائِحِ الْمُتَكَرِّرَةِ كُلَّ سَنَةٍ، تَذْكِيرًا لِلْعَابِدِينَ بِخَطَايَاهُمْ. فَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يُزِيلَ دَمُ الثِّيرَانِ وَالتُّيُوسِ خَطَايَا النَّاسِ» (عبرانيِّين ١٠: ١–٤؛ ترجمة الحياة).

فالحيواناتُ لم تَكُن مَخلوقةً على صُورةِ **الله**.

كما أنَّ قيمةَ الحَمَلِ لا تُساوي قيمةَ الإنسان. فكما أنَّك لا تستطيعُ أن تأخذَ نموذجًا مُصَغَّرًا لسيارةٍ إلى تاجرِ سيَّاراتٍ وأن تُقدِّمَها كدُفعةٍ مُقَدَّمةٍ عن سيَّارةٍ حقيقيَّة، فإنَّ دماءَ الحيواناتِ لا يُمكنُ أن تَدفعَ الثَّمنَ الكبيرَ الذي يُطالِبُ به ناموسُ الخطيَّةِ والموت.

فقد كانتِ الحاجةُ تدعو إلى ذبيحةٍ أفضل.

ومع أنَّ الذبائحَ الحيوانيَّةَ لم تَكُنْ قادرةً على تسديدِ دَيْنِ الخطيَّةِ عن جميعِ العالمِ، إلاَّ أنها كانت تُعطي الخُطاةَ صُورةً عن الشخصِ الذي يستطيعُ القيامَ بذلك.

المشهد ٣٦
مَزيدٌ مِنَ النُّبوءات

مَعَ اقترابِ موعدِ مجيءِ المُخلِّصِ أكثرَ فأكثر، أوصى **اللهُ** أنبياءَه بأن يَكتبوا العديدَ مِن النُّبوءاتِ[١٢] عن هذا المسيَّا–المَلِك. وفي ما يلي بعضٌ مِن هذه الوعود القديمة:

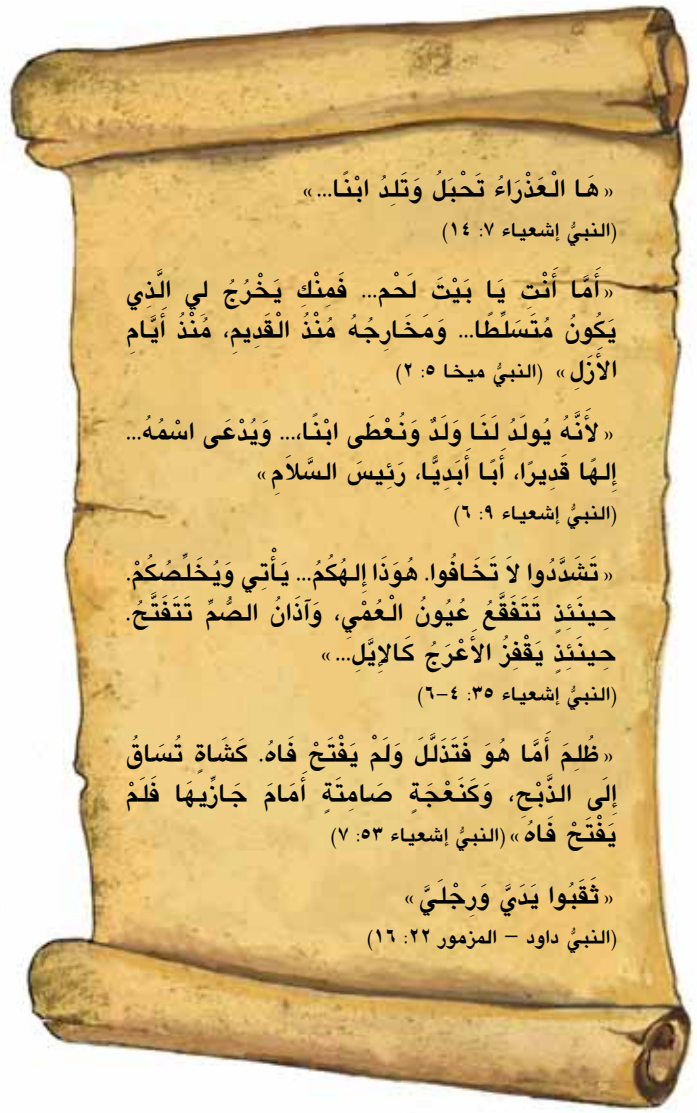

«هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا...»
(النبيُ إشعياء ٧: ١٤)

«أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ... فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا... وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (النبيُ ميخا ٥: ٢)

«لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا... وَيُدْعَى اسْمُهُ... إِلهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ»
(النبيُ إشعياء ٩: ٦)

«تَشَدَّدُوا لاَ تَخَافُوا. هُوَذَا إِلهُكُمْ... يَأْتِي وَيُخَلِّصُكُمْ. حِينَئِذٍ تَتَفَقَّعُ عُيُونُ الْعُمْيِ، وَآذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ...»
(النبيُ إشعياء ٣٥: ٤–٦)

«ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ» (النبيُ إشعياء ٥٣: ٧)

«ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ»
(النبيُ داود – المزمور ٢٢: ١٦)

إذًا، فالمُخلِّص الموعود آتٍ!
ولكِنْ متى؟ ومَن يكون؟
وكيف ستَتَحَقَّق هذه النُّبوءات؟

الفصل الثّاني

المَلِكُ
يُنَفِّذ خُطَّتَه

– العهدُ الجديد –

المشهد ٣٧
قصَّة المَلِك تستمر

ما رأيْكَ في الفصلِ الأوَّلِ مِن كتابِ المَلِك؟ وما الذي تَعَلَّمتَهُ مِنَ العهدِ القديم؟ إنَّ كلمةَ «عَهْد» تَعني اتِّفاقيَّة. وقَبلَ أن يُعطيَ **اللهُ** العهدَ الجديد، قال:

«هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ ... عَهْدًا جَدِيدًا» (إرْميا ٣١: ٣١).

وفي العهدِ الأوَّلِ معَ شَعبِه، أعطاهمُ **اللهُ** قوانينَ وشرائعَ كثيرةً لكي يُبَيِّنَ لهم قداستَهُ وخطاياهم. كما أنه أعطاهمُ العديدَ مِن الصُّوَرِ (الرُّموز) والنُّبوءاتِ عن المُخلِّص الذي سيأتي. وفي العهدِ القديم، قال الأنبياء: سوفَ يأتي المسيَّا–المَلِك. أمَّا في العهدِ الجديدِ فنقرأُ أنَّ المسيَّا–الملكَ قد جاء!

ويحتوي العهدُ الجديدُ على الإنجيل؛ وهيَ كلمةٌ تعني «الخبرَ السَّار» (أو «البُشرى»). ويبدأُ الإنجيلُ بالكلماتِ التَّالية:

«كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ: إِبْراهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ ...» (مَتَّى ١: ١–٢).

وهكذا، فالكتابُ المُقدَّسُ يُدَوِّنُ النَّسَبَ المُتسلسلَ مِن إبراهيمَ إلى يسوع. وسوفَ يَحفظُ **اللهُ** وَعدَه بمُباركةِ جميعِ الأُمم عن طريقِ إرسالِ المُخلِّص مِن نَسْلِ إبراهيم.

ويحتوي العهدُ الجديدُ على أربعِ رواياتٍ للإنجيل. لكِنْ لماذا أربعةُ أناجيل؟ لماذا ليسَ واحدًا فقط؟ لقد قالَ **اللهُ** لموسى في العهدِ القديم:

«... عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَقُومُ الأَمْرُ» (تثنية ١٩: ١٥).

لذلك، ولكي يُثَبِّتَ قصَّتهُ ورسالتَهُ، اختارَ **اللهُ** ليسَ شخصينِ أو ثلاثةَ أشخاص، بل أربعةَ أشخاصٍ ليكتبوا أربعةَ تقاريرَ مُنفصلةٍ عن حياةِ المسيَّا. أمَّا أسماءُ هؤلاءِ الأشخاصِ الأربعةِ فهي: مَتَّى، مَرْقُس، لُوقا، يُوحَنَّا. ويُمكِنُ تشبيهُ الأمرِ بأربعةِ مُراسلينَ إخباريِّينَ يُغَطُّونَ نفسَ الحَدَث؛ وكُلٌّ يروي نفسَ القصَّة، لكِنْ مِن وجهةِ نظرٍ مُختلفة.

ويحتوي العهدُ الجديدُ على ٢٧ كتابًا بمُجمله. وبعدَ الأناجيلِ يأتي سِفْرُ أعمالِ الرُّسُل، وهوَ كتابٌ كَتَبَه الطَّبيبُ لوقا ليُخبرنا عمّا حدثَ بعدَ أنْ أكملَ المسيَّا إرساليَّتَه. فقد ألهمَ **اللهُ** بولُسَ (وهو إرهابيٌّ سابقٌ)، ويعقوبَ ويهوذا (الأخوانِ غيرُ الشقيقين ليسوع)، وبُطرس ويوحنَّا (وهما صَيَّادان) لكتابةِ بقيَّةِ أسفارِ العهدِ الجديد. وكلُّ سِفْرٍ (أو كتاب) يَكشفُ المزيدَ والمزيدَ عن المَلِكِ وخُطَطِه لجميعِ الذين يُحِبُّونَه.

والآنَ، إليك بقيَّةُ قصَّتِه.

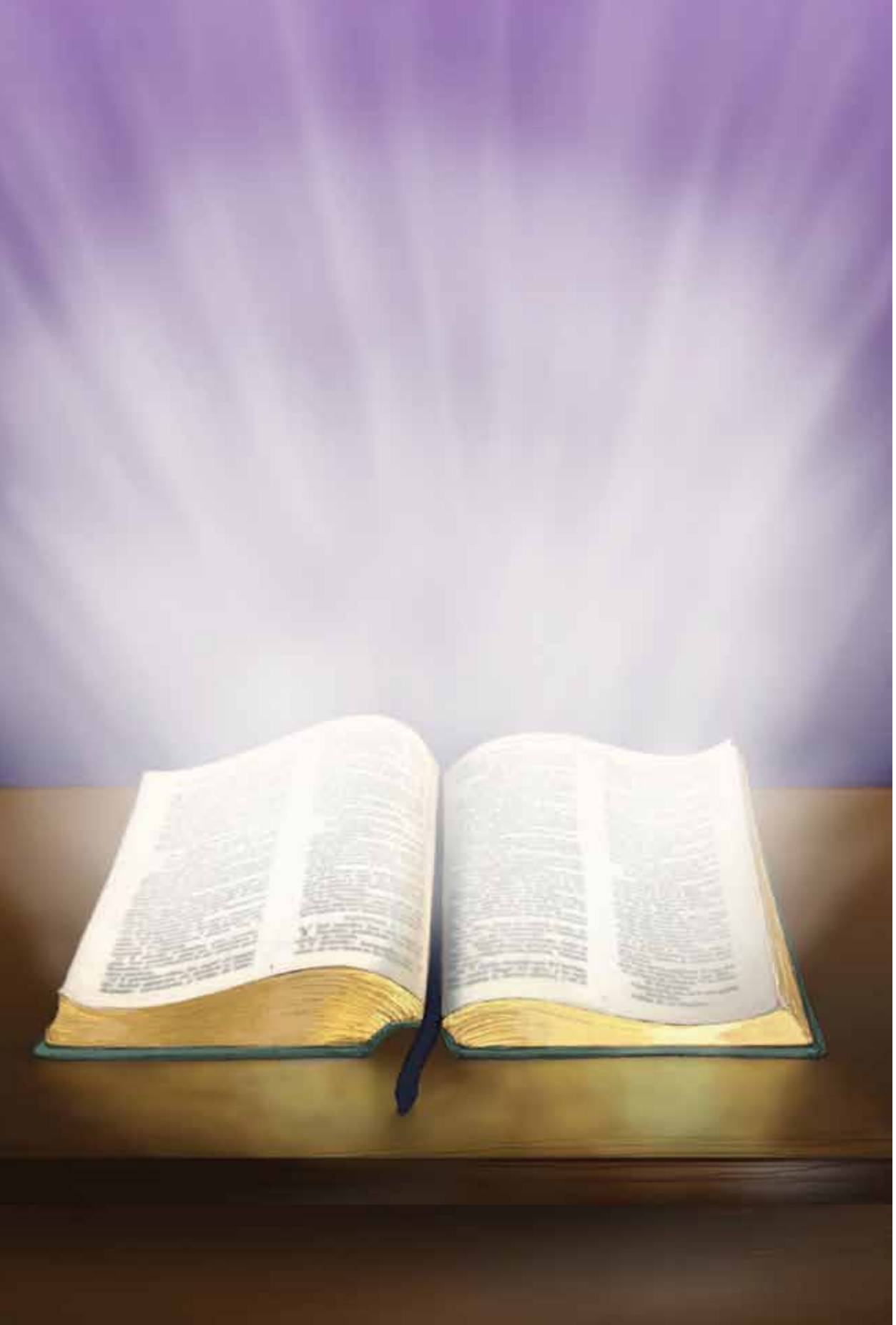

المشهد ٣٨
قصَّةُ مريم

لقد حانَ الوقت. وبعدَ آلافِ السِّنينِ مِنَ الإعْدادِ والتَّحضير، كان **اللهُ** مُوشِكًا على إرسالِ الملكِ–المسيَّا–المُخلِّصِ إلى العالم. ولكِنْ مَن عَساهُ يكون؟ وكيفَ سيأتي؟

«كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ ... أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ **اللهِ** إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ **اللهِ**. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، ... وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ. فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ **اللهِ**» (لوقا ١: ٥، ٢٦–٢٧، ٣٠–٣٥).

ولكِنْ لماذا دَعا جبرائيلُ يسوعَ «**ابنَ اللهِ**»؟

يَظُنُّ البعضُ أنَّ هذا يعني أنَّ **اللهَ** تَزَوَّجَ وأنجبَ ابنًا. لكنَّ هذا ليس المعنى المقصودَ هنا. فإذا كُنتَ مولودًا في مِصْرَ مثلاً فقد يدعوكَ البعضُ ابنَ مِصْر (أو ابنَ النِّيل). فهل هذا يعني أنَّ البَلَدَ (أو النِّيل) قد تَزَوَّجَ وأنجبك؟ بالتأكيدِ لا! بل هذا يعني أنكَ قد جئتَ مِن مِصرَ (أو مِن أرضِ النِّيل).

وعلى نَحْوٍ مُشابهٍ، فإنَّ المسيَّا يُدعى ابنَ **اللهِ** لأنه جاءَ مِنَ **اللهِ**. فقد جاءَ إلى نَسْلِ آدمَ الخاطئ، ولكنه لم يَنشأْ منه. فهوَ كلمةُ **اللهِ**، وروحُه، وابنُه.

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ **اللهِ**، وَكَانَ الْكَلِمَةُ **اللهَ**. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ **اللهِ**. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ» (يوحنَّا ١: ١–٣، ١٤).

هل تَذْكُرُ الوعدَ الذي قَطَعهُ **اللهُ** في اليومِ الذي أكلَ فيه آدمُ مِن الشَّجرةِ المُحرَّمة؟ لقد أعلنَ **اللهُ** أنَّ نَسْلَ المرأةِ سيَسحقُ رأسَ الحيَّة.

وقد كانَ هذا النَّسلُ الموعودُ الآنَ في رَحِمِ فتاةٍ عذراء.

ولكن كيفَ سيَسحقُ رأسَ الحيَّة؟ هذا هو ما سنعرفُه لاحقًا!

المشهد ٣٩
قصَّةُ يوسف

كانت مَريمُ مخطوبةً ليوسفَ (وهو نَجَّارٌ يعيشُ في النَّاصرةِ: قريةٌ في شمالِ فلسطين). وكانَ كُلٌّ مِنْ يوسفَ ومريمَ مِنَ اليهودِ مِنْ نَسْلِ الملكِ داودَ ومِنْ نَسلِ إبراهيم. ولولا حُكْمُ الرُّومانِ لكانَ يُوسُفُ وَلِيَّ العَهْد. ولكنَّ الجنودَ الرُّومانَ كانوا يَجوبونَ الشَّوارع. وكانَ اليهودُ الذين يُقبَضُ عليهم بتُهمةِ الخيانةِ يُعاقَبونَ بالموتِ صَلْبًا. وكانَ جُباةُ الضَّرائبِ يَنْهَبونَ النَّاس. وهكذا، فقد كانتِ الحياةُ مُرَّةً وقاسية.

ولكنَّ يُوسفَ كانَ مُتشوِّقًا جِدًّا لما سيأتي. فبَعْدَ وقتٍ قصيرٍ، سوفَ يَتَّخِذُ مريمَ زوجةً له. وكانَ يَعملُ جاهدًا لتوفيرِ مكانٍ يعيشانِ فيه معًا بعدَ زواجِهما. وفي أحدِ الأيَّامِ، جاءَه الخَبَرُ الصَّاعِق: مريمُ حامِل!

في رأيكَ، كيفَ شَعَرَ يوسُفُ؟

يبدو أنَّ مريمَ لم تَكُنْ وَفِيَّةً له.

انفطَرَ قلبُ يوسُف، ولكنَّه صَمَّمَ على القيامِ بالصَّواب. لذلك، قَرَّر أن يَفْسَخَ الخطبةَ بهدوءٍ لكي لا يُعَرِّضَ سُمعةَ مَريمَ للتشويه.

«وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ. وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا» (مَتَّى ١: ٢٠–٢٣).

وهكذا، فقد تَحَوَّلَ حُزْنُ يوسُفَ إلى فَرَح. فيا لَهُ مِن شَرَف! فسوفَ تكونُ مَريمُ أُمَّ المُخلِّصِ الموعود! وهو سيكونُ الوَصِيَّ القانونيَّ على الصبيِّ!

وهذا يعني أنَّ المسيَّا القُدُّوسَ سيكونُ له أُمٌّ بشريَّةٌ، ولكن لن يكونَ له أبٌ بَشريٌّ. وسوفَ يُدعى اسمُ الصبيِّ يسوع (أي: **اللهُ يُخَلِّصُ**) أو، ببساطة، المُخَلِّص:

«فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ» (مَتَّى ١: ٢٤–٢٥).

وكانت يَدُ **اللهِ** في الأمرِ كُلِّه.

المشهد ٤٠
وِلادةُ المُخلِّص

قَبْل ٧٠٠ سنة، تَنبَّأ النبيُّ ميخا بأنَّ المسيَّا–الملِكَ سيُولدُ في بيتَ لحمَ (مدينةِ الملكِ داودَ القديمة). ولكِن كانت هناكَ مُشكلة. فقد كانَ يوسفُ ومريمُ يعيشانِ في النَّاصرةِ (مَسيرةُ ثلاثةِ أيَّامٍ إلى الشَّمال). لهذا، كيفَ سيتِمُّ ما هو مكتوبٌ في الأسفارِ المُقدَّسة؟

لقد كانَ **اللهُ** مُسيطرًا على كُلِّ شيء.

فعندما اقتربَ موعدُ إنجابِ مَريم، أصْدَر الإمبراطورُ الرُّومانيُّ «أُوغُسْطُس» مَرسومًا يَقضي بإحْصاءِ جميعِ سُكَّانِ الإمبراطوريَّةِ في مسقطِ رأسِ أجدادِهم مِن أجلِ دفعِ الضَّرائب. لذلكَ، فقدِ ارتحلَ يوسُفُ ومريمُ (التي كانت في أواخِر حَمْلِها) مِنَ النَّاصرةِ إلى بيتَ لحم:

«وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ» (لوقا ٢: ٦–٧).

وهكذا، في بيتَ لحمَ المُزدحمةِ بالسُّكَّانِ المُتْعَبين مِن عَناءِ السَّفرِ (في المدينةِ المُعَيَّنةِ للتَّسجيلِ لدفعِ الضَريبة)، وُلِدَ نَسْلُ المرأة. ويُدَوِّنُ الإنجيلُ هذهِ الحادثةَ لنا بكُلِّ دِقَّة:

«فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ» (لوقا ٢: ٦).

فَمِنْ جِهَةِ أُمِّه، كانَ هذا المولودُ هو الابنُ البِكْرُ لمريم. أمَّا مِن جهةِ أبيه، فقد كانَ ابنَ **اللهِ** الأزليِّ. والآن، ومِن خِلالِ بُكاءِ هذا الطِّفل، أصبحَ بالإمكانِ سَماعُ نفسِ «الكلمة» الذي خَلَقَ الكونَ، ونفسِ الصَّوتِ الذي أرعَدَ على جبلِ سيناء.

وأينَ وُلِدَ المُخَلِّص؟

ليسَ في قَصْرِ المَلِك، ولا في أحدِ المُستشفيات، وليس في أحدِ الفنادق؛ بَل وُلِدَ في نفسِ المكانِ الذي يُولَدُ فيه الحَمَل – في حَظيرةِ حَيواناتٍ، وكان المِذْوَدُ هو سريرَه (المِذْوَد [أو المَعْلَف] هو وعاءٌ طويلٌ وضيِّقٌ قليلُ العُمقِ يُستَخدَمُ لوضعِ الماءِ أو العَلَفِ للحيوانات).

وكان هذا كُلُّه جُزءًا مِن خُطَّةِ **الله**:

«فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كورنثوس ٨: ٩).

ولكِنْ ألم يَكُنِ **اللهُ** قادرًا على تَرتيبِ حَفْلٍ ما لِتَكريمِ ابنِه عندَ مجيئِه إلى الأرض؟

بَلى!

المشهد ٤١
قِصَّةُ الرُّعاة

لِمَنْ **أَعلَنَ اللهُ أَوَّلاً نَبَأَ وُصولِ المسيَّا إلى الأرض؟ إلى الإمبراطور؟ إلى الأغنياءِ والمشاهير؟ إلى القادةِ الدينيِّين؟**

لا!

بل إلى الرُّعاةِ الفُقراءِ الذين كانوا يَرعونَ الحِمْلانَ لتقديمِها ذبائحَ على مَذْبَحِ الهيكلِ في أورُشليم:

«وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ[١٣] الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ. وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ. وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرجال الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ. فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِذْوَدِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ» (لوقا ٢: ٨–١٨).

ويا لها من قِصَّةٍ سَرَدَها الرُّعاة!

فقد وُلِدَ المُخَلِّص! وقد رَأيناه، وَلَمَسْناه! وقد أخبرتنا الملائكةُ أنه المسيحُ الرب! وقد ملأتْ جوْقَةٌ من الملائكةِ السَّماء! وكانتِ السَّماءُ مُنيرةً كالنَّهار! لقد جاءَ المسيَّا! إنه هُنا! إنه هُنا!

وقد آمَنَ بعضُ النَّاسِ برسالةِ الرُّعاة؛ ولكنَّ الغالبيَّةَ لم تُؤمن. لكِنْ سواءَ أَصَدَّقت ذلك أَم لا، فقد جاءَ المَلِكُ الذي أَدَّى ميلادُه إلى تَجزئةِ تاريخِ العالمِ إلى جُزئَيْن.[١٤]

«وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ» (لوقا ٢: ٢١).

المشهد ٤٢
قِصَّةُ المَجوس

بعدَ ولادةِ يسوعَ في حَظيرة، قَرَّرَ يوسفُ أن يَأخذَ عائلتَه الصَّغيرةَ إلى مكانٍ مُناسب. وفي أحدِ الأيَّام، وَصَلَ المَجوسُ (حُكماءُ تَخَصَّصوا في دراسة النُّجوم) إلى أورُشليم. وقد قادَهُم نَجْمٌ خاصٌّ مِن بلادِ فارِسَ البعيدةِ بحثًا عنِ المَلِكِ الذي وُلِدَ حديثًا.

وكان لدى هؤلاءِ المجوسِ سؤالٌ واحدٌ وَقَصْدٌ واحدٌ:

«وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ. فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟ فَقَالُوا لَهُ: فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمِ، وَقَالَ: اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ. فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوُا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوُا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ. وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ» (مَتَّى ٢: ١–١٣).

وهكذا، فقد حاولَ هيرودُسُ أن يُهْلِكَ الصَّبيَّ. كما أنَّ النَّاسَ في أورُشليمَ قد تجاهلوه. ولكنَّ المَجوسَ عَبَروا الصَّحراءَ الحارقةَ وبحثوا عنه، وجاءوا وسجدوا أمامَهُ، وقدَّموا له الهدايا اللائقةَ بالملوك: الذَّهبَ، واللُّبانَ، والمُرَّ (وهو نَوعٌ مِن الأطيابِ يُستخدَمُ لتكفينِ المَوتى). لَكِنْ لماذا المُرّ؟

هل عَلِمَ هؤلاءِ المَجوسُ أنَّ يسوعَ وُلِدَ ليموت؟

المشهد ٤٣

الطِّفلُ الكامِل

بعدَ تحذيرِ الملاكِ، أخذَ يوسُفُ مَريمَ والطِّفلَ يسوعَ وهربَ بهما إلى مِصْرَ حيثُ عاشوا كلاجئينَ إلى أن ماتَ الملكُ القاسي هيرودُس.

«فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ» (مَتَّى ٢: ١٩–٢٠).

وقد كان في هذا تحقيقٌ لنبوءةٍ قديمةٍ أُخرى تنبَّأَ الربُّ بها:

«... وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» (هوشع ١١: ١).

وهكذا، فقد رَجِع يوسُفُ ومريمُ ويسوعُ إلى النَّاصرةِ حيثُ نشأَ يسوعُ.[١٥] ومِن أوجهٍ كثيرة، كانَ يسوعُ مِثلَ بقيَّةِ الأطفال: فقد كانَ يأكلُ، وينامُ، ويلعبُ، ويَدرُسُ، ويَتعلَّمُ حِرْفَةً. ولكِنَّه كانَ مُختلفًا عنهم مِن عِدَّةِ أوجهٍ أُخرى: فهو لم يَكُن أنانيًّا، وكان يُكْرِم أباه وأُمَّه، ولم يَكُن يَكْذِبُ، وكان مَرْضيًّا دائمًا عند أبيه السَّماويِّ.

«قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَس، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ» (عبرانيِّين ٧: ٢٦).

ويَجْدُر بنا أن نَعلمَ أنَّ يسوعَ هو الطِّفلُ الكامِلُ الوحيدُ في التَّاريخ. وهذا لا يعني أنه لم يُعانِ يومًا مِنْ جُرْحٍ في رُكْبَتِهِ أو أنه لم تَظْهَرْ يومًا بُقْعَةٌ على جِلْدِهِ. ولكنَّ المقصودَ هنا أنه كانَ يَتمتَّعُ بطبيعةٍ كاملة. فقد كانَ قُدُّوسًا وصالحًا تمامًا. كما أنه كانَ كاملاً في قُدرتِه وحِكمتِه. ولكنَّه قَبلَ أن يَدْخُلَ رَحِمَ مَرْيَم، كانَ قد فَرَضَ على نَفْسِهِ بعضَ الحُدودِ لكي يَعيشَ كإنسانٍ بينَ البَشَر.

«وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ» (لوقا ٢: ٥٢).

وعندما كانَ عُمرُ يسوعَ اثنتي عَشَرَةَ سنةً، سافَرَ هو وأبواهُ مِن النَّاصرةِ إلى أورُشليمَ للاحتفالِ بعيدِ الذَّبيحةِ الذي يُعرَفُ بعيدِ الفِصْح.[١٦] وفيما كانَ رفاقُ الحَيِّ يَستكشفونَ المدينةَ الكبيرة، أمضى يسوعُ الأسبوعَ بينَ المُعلِّمينَ في ساحةِ الهيكلِ يَستمعُ إليهم ويَطرحُ عليهم الأسئلة.

«وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ» (لوقا ٢: ٤٧).

وكانَ الهيكلُ هو المكانُ الذي تُحْرَقُ فيه الحِملانُ على المَذبحِ عن خطايا الشَّعب. وقد فَهِم الصبيُّ يسوعُ ما عَجِزَ القادةُ الدينيُّونَ عن فهمِه.

فقد جاءَ لتقديمِ الحَمَلِ الأخير.

المشهد ٤٤
حَمَلُ الله

انقضت ٣٣ سنةً مُنذُ ولادةِ يسوعَ في بيتَ لحم. وقد ماتَ أُغسطُسُ قيصر، وكان ابنُه بالتبنِّي قد جَلسَ على عَرشِ الإمبراطوريَّةِ الرومانيَّةِ كخليفةٍ له. وكان هيرودُس أنتيباس يَحْكُمُ الجليل، وبيلاطُس البُنطيُّ يَحكم اليهوديَّة. وكان هناك نبيٌّ جديدٌ يَكْرِزُ في فلسطين:

«وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. وَيُوحَنَّا هذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا» (مَتَّى ٣: ١–٤).

وفي حينِ أنَّ الكثيرَ مِن النَّاسِ في زمانِه كانوا يَلبسونَ الحريرَ النَّاعم، ويأكلونَ أفضلَ أصنافِ الطَّعام، فقد كانَ يُوحنَّا المعمدانُ يعيشُ حياةً بسيطةً. فقد كانَ رَجُلاً صاحِبَ مَهَمَّة.

أجل، لقد كانَ يُمَهِّدُ الطَّريقَ أمامَ المَلِك.

وقَبل مئاتِ السِّنين، كَتَب نبيَّان (إشعياء وملاخي) عن نَبِيٍّ مُستقبليٍّ سيُعلِنُ مجيءَ المسيَّا–المَلِك. وكان يوحنَّا المعمدانُ هو ذلك النبيُّ.

وفي حينِ أنَّ الأنبياءَ السَّابقينَ قد تنبَّأوا بأنَّ المُخلِّصَ الموعودَ سيَأتي إلى الأرض، فقد نادى يُوحنَّا المعمدانُ بأنَّ الوقتَ قد جاءَ، وأنَّ المُخلِّصَ قد وَصَل!

تَدَفَّقَ النَّاسُ إلى الصَّحراءِ لسماعِ يُوحنَّا. والأشخاصُ الذين اعترفوا بحالتِهم الخاطئةِ وبأنهم بحاجةٍ إلى المُخَلِّصِ اعتمدوا في نهرِ الأردن. وبهذهِ الطريقةِ أظْهَروا إيمانَهم بالمسيَّا الذي سيَمحو دَيْنَ خطاياهم ويَكْسوهُم ببِرِّه.

وقد تَحَدَّثَ يُوحنَّا المعمدانُ – يومًا تلوَ الآخرِ وأسبوعًا تلوَ الآخر – إلى النَّاسِ عنِ المُخلِّصِ الذي طالَ انتظارُه وقالَ عنه: «الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ» (مَتَّى ٣: ١١).

وفي أحدِ الأيَّام، جاءَ المُخلِّصُ، ومَشى بينَ الجُموعِ، وجاءَ إلى يُوحنَّا.

حينئذٍ، قالَ يوحنَّا المعمدانُ:

«هُوَذَا حَمَلُ **اللهِ** الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يوحنَّا ١: ٢٩).

لَكِنْ لماذا دَعا يوحنَّا المعمدانُ يسوعَ «حَمَلَ **الله**»؟

إذا عَرَفْت لماذا، فهذا يعني أنك عَرَفْتَ مَهَمَّة المَلِكِ وإرساليَّتَه.

المشهد ٤٥
الابنُ الكامِل

طَلَبَ يسوعُ مِن يوحنَّا المعمدانِ أن يُعَمِّدَه. وقد اعترضَ يوحنَّا على ذلكَ لأنَّ المسيَّا–المَلِكَ الآتيَ مِن السَّماءِ لا حاجةَ له لأن يتوب:

«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ» (مَتَّى ٣: ١٥).

وهكذا، فقد قامَ يوحنَّا المعمدانُ بتعميدِ يسوع. وباعتمادِه، أظهرَ يسوعُ أنه يَنتمي إلى الجنسِ البشريِّ الذي جاءَ ليُخَلِّصَه:

«فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ **الله** نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مَتَّى ٣: ١٦–١٧).

وكما حَدَثَ في اليوم الأوَّلِ للخَلْق، فقد ظَهَرت وَحدَةُ **الله** الجامِعَة. فمَع أنه **الله**، إلاَّ أنه عَمِلَ – مع روحِه وكلمتِه – على خَلْقِ العالم. والآن، سوفَ تَعْمَلُ الأقانيمُ الثلاثةُ معًا على تخليصِ هذا العالم.[١٧]

ويُمكنُنا أن نَرى هُنا رُوحَ **الله** (الذي كانَ في بدايةِ الخَلْقِ يَرُفُّ على وَجْهِ المياه) يَحِلُّ على يَسوع. كما أنَّنا نَرى ابنَ **الله** (هو الكلمةُ الذي خَلَقَ العالم) يَصْعَدُ مِن النَّهر. ونَسْمَعُ **الله** الآبَ وهو يَتكلَّمُ مِن السَّماء.

وفي السَّنواتِ الثلاثينَ الأخيرة، عاشَ يسوعُ كشَخْصٍ غيرِ مَعروفٍ، بَعيدًا عن أعينِ النَّاس. ولكنَّ **الله** الآبَ كانَ يُراقبُ أفكارَه، وكلماتِه، وأفعالَه. وماذا كانَ حُكْمُ **الله** على حياةِ ابنه؟

«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ».

وطَوالَ تاريخِ الجنسِ البشري، كانَ يسوعُ هو الوحيدُ الذي فَعَلَ كلَّ ما يَطلبُه **الله**: كُلَّ شيءٍ... دائمًا... وعلى نحوٍ كاملٍ!

أجل، لقد فعلَ يسوعُ ما أخفقَ آدمُ في القيامِ به: فقد عَكَسَ صُوْرَةَ **الله**. ولكنَّ يسوعَ فَعَل ما هو أكثرُ مِن ذلك. فقد كانَ هو صُورة **الله**:

«**اَللهُ**، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ...» (عبرانيِّين ١: ١–٣).

لهذا، لا عَجَب أنَّ يسوعَ قالَ في وقتٍ لاحقٍ:

«أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يوحنَّا ١٠: ٣٠).

وهكذا، فيسوعُ هو الابنُ الكامل.

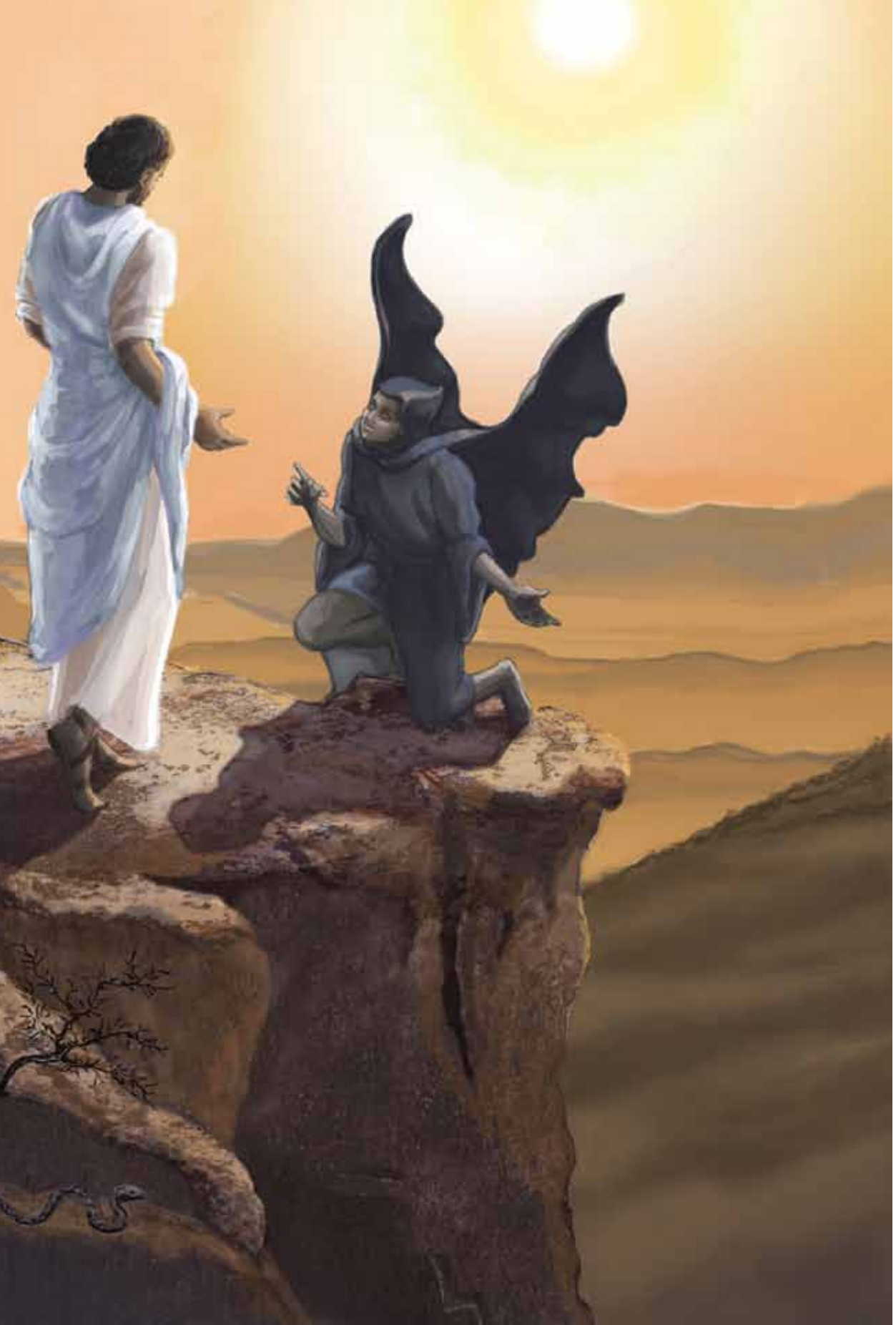

المشهد ٤٦
الرَّجُلُ الثَّاني

لم يَكُنِ الشَّيطانُ سعيدًا بأن يعيشَ هذا الرَّجُلُ الكامِلُ في مملكتِه! لذلك، فقد وضعَ إبليسُ استراتيجيَّةً. فكما أنه أغوى الإنسانَ الأوَّلَ لكي يُخطئَ، فسوفَ يُحاولُ الآنَ أن يَجعلَ هذا الإنسانَ يُخطئ.

إذًا، فقد كانت خُطَّةُ إبليسَ تَقضي بأن يَجعلَ يسوعَ تحتَ هَيْمَنَتِه – تمامًا كما فعلَ مع آدم. فإنْ نَجَحَ في جَعْلِ ابنِ اللهِ يُخطئ، فلن يَعودَ ابنُ الإنسانِ قادرًا على تخليصِ شعبِه مِن خطاياهم:

«ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا» (مَتَّى ٤: ١–٣).

وهكذا، مع أنَّ يسوعَ جاع، إلاَّ أنه لم يُطِعْ إبليس. فهو لن يَتصرَّفَ أيَّ تَصَرُّفٍ خارِجَ نِطاقِ مشيئةِ أبيه. وهو لم يَستخدمْ قُدرتَه الفائقةَ لتسديدِ حاجاتِه البشريَّة. إذًا، ما الذي فعلَهُ يسوعُ لمُقاومةِ الشَّيطان؟ لقد اقتبَسَ مِن توراةِ مُوسى:

«مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ» (مَتَّى ٤: ٤؛ تثنية ٨: ٣).

ولأنَّ الشَّيطانَ عَنيدٌ ومُتَكَبِّرٌ، فقد حاولَ أن يُغويَ يسوعَ القُدُّوسَ مَرَّةً ثانية:

«ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي» (مَتَّى ٤: ٨–٩).

عندما أخطأَ آدَمُ، فَقَدَتِ البشريَّةُ الحَقَّ في حُكْمِ الأرض. وقد نَجَحَ الشَّيطانُ في سَلبِ الإنسانِ هيمنَتَه على العالمِ ونَصَّبَ نفسَهُ ملكًا على العالم. ولكنَّ مَلِكَ المَجْدِ جاءَ إلى الأرضِ كي يَستعيدَ هذهِ الهيمنة؛ ولكنَّه لن يَفعلَ ذلكَ عن طريقِ الخضوعِ للشَّيطان، بل عن طريقِ سَحْقِه:

«حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مَتَّى ٤: ١٠).

وأخيرًا، تَرَكَ الشَّيطانُ يسوعَ بعدَ أن جَرَّبه كما لم يُجَرِّبْ أحدًا. ولكنَّ يسوعَ لم يَكُن راغبًا أو قادرًا على أن يُخطئ. فهو مُختلفٌ عن آدمَ وعن نَسْلِه:

«الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ» (١كورنثوس ١٥: ٤٧).

لقد كانَ آدمُ الإنسانَ الأوَّلَ الكامل. وكان يسوعُ الإنسانَ الثَّانيَ الكامل.

وعندما أغوى الشَّيطانُ آدمَ بأن يُخطئ، خَسِرَ آدَمُ وفازَ الشَّيطان. ولكِنْ عندما حاولَ الشَّيطانُ أن يُغويَ يَسوع، خَسِرَ الشَّيطانُ وفاز يسوع. وهكذا، فقد قادَنا الرَّجُلُ الأوَّلُ إلى مملكةِ الشَّيطانِ المليئةِ بالخطيَّةِ والموت. أمَّا الرَّجُلُ الثَّاني فجاءَ لكي يُحَرِّرَنا مِن مملكةِ إبليس.

المشهد ٤٧
المسيَّا–المَلِك

بعد أن أخفَقَ الشَّيطانُ في جَعْلِ يسوعَ يُخطئ، عَادَ يسوعُ إلى النَّاصرةِ حيثُ تابعَ حياتَه وعَمِلَ كنَجَّار.

«وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ» (لوقا ٤: ١٦).

كانَ المَجْمَعُ مكانًا للعبادةِ حيثُ تُقرأُ الأسفارُ المُقدَّسةُ وتُفَسَّرُ كلَّ يومِ سَبْت. وفي هذا السَّبتِ تَحديدًا، كان لدى يسوعَ إعلان:

وَقَامَ لِيَقْرَأَ.

فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ:

«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ...» (لوقا ٤: ١٧–١٨).

كانَ ما قرأَهُ يسوعُ هو نُبوءةً قديمةً عن المسيَّا–المَلِكِ الذي سَيُبيِّنُ للعالمِ حقيقةَ الله، ويُنقِذُ الخُطاةَ مِن هيمنةِ الشَّيطانِ والخطيَّةِ والموتِ والجحيم:

«ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ. فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لوقا ٤: ٢٠–٢١).

والآن، ما هو رَدُّ فِعْلِ النَّاسِ على ادِّعاءِ يسوعَ بأنه المسيَّا الذي جاءَ مِن السَّماءِ لتتميمِ النُّبوءاتِ المكتوبةِ في الأسفارِ المُقدَّسة؟

«فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا، فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلِ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى» (لوقا ٤: ٢٨–٣٠).

لقد كانَ ليسوعَ سُلْطان. وخلافًا لنَسْلِ آدمَ الفاني والمُلَوَّثِ بالخطيَّة، كان المسيَّا–المَلِكُ مَمْسوحًا[١٨] مِن الله ويُحْكِمُ السَّيطرةَ على كُلِّ شيء. لذلك، لم يَكُنْ باستطاعةِ أيِّ شَخصٍ أن يَمَسَّهُ بسوءٍ ما لم يَسْمَح له هو بذلك.

ولكنَّ يسوعَ كان مُزْمعًا أن يَلمسَ قلوبَ كثيرين.

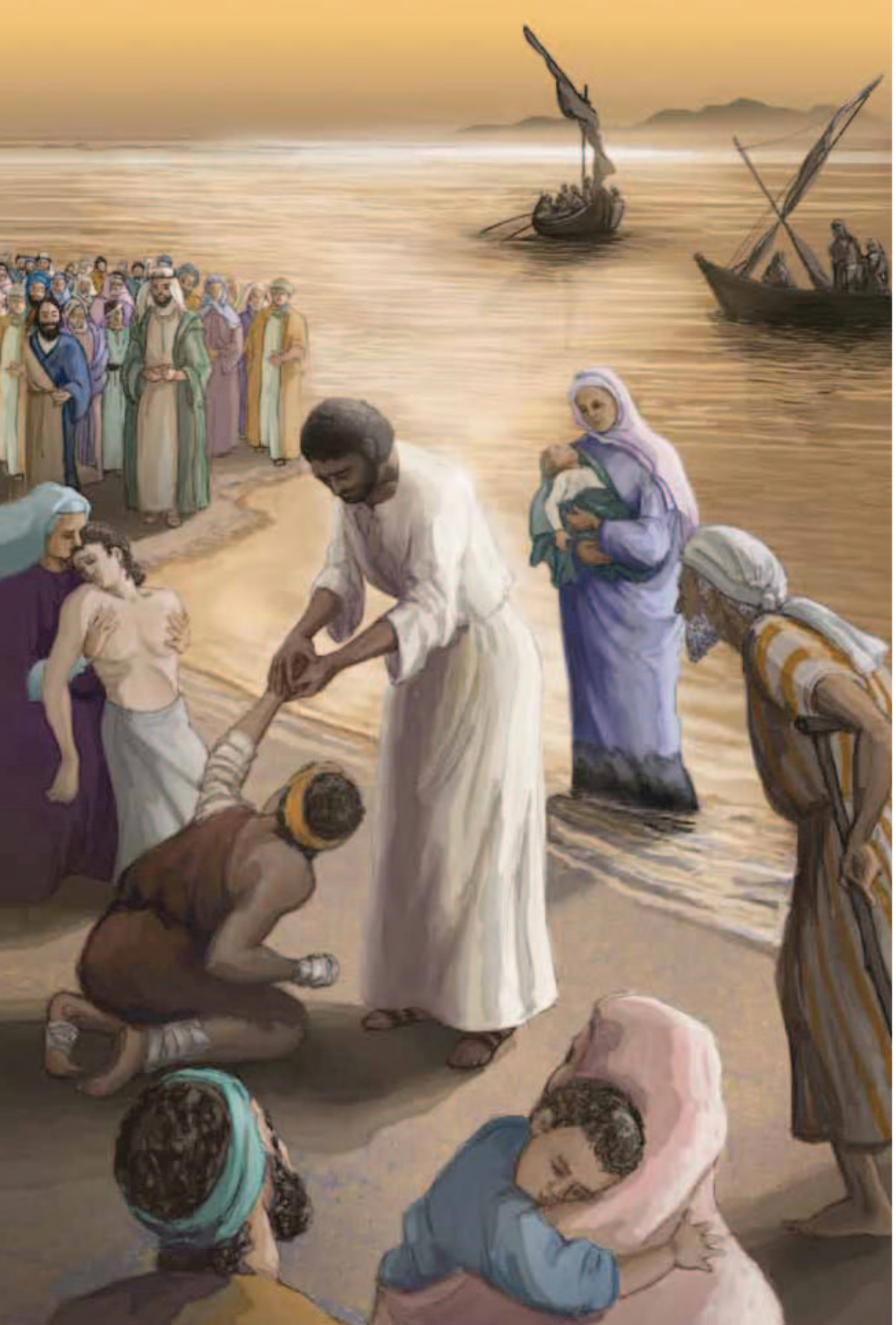

المشهد ٤٨

سُلْطانُ يَسوعَ على الشياطينِ والأمراض

أحدُ ألقابِ يسوعَ في الأسفارِ النَّبويَّةِ هو: «ذِراعُ الربِّ» (إشعياء ٥٣: ١). فقد بَرْهَنَتْ مُعجزاتُ يسوعَ على أنه ذراعُ اللهِ على الأرض. فبلمسةٍ مِن يده أو كلمةٍ مِن فَمِه، كانَ المرضى يَبرأونَ والموتى يَقومون:

«فَجَاءَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، مَعَهُمْ عُرْجٌ وَعُمْيٌ وَخُرْسٌ وَشُلٌّ وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ، وَطَرَحُوهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ. فَشَفَاهُمْ» (مَتَّى ١٥: ٣٠).

وبهذا، فقد تَحَقَّقت كلمات الأنبياء:

«اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ» (مَتَّى ١١: ٥ [إشعياء ٣٥: ٤–٦؛ ٦١: ١]).

وهكذا، لم يَكُن هناكَ مَرَضٌ يَستحيلُ على يسوعَ أن يَشفيَهُ:

«فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِيًا وَقَائِلاً لَهُ: إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ، فَاطْهُرْ! فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ» (مَرْقُس ١: ٤٠–٤٢).

«وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سُقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ. وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيْضًا تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ! فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ» (لوقا ٤: ٤٠–٤١).

نرى هُنا أنَّ يسوعَ لم يُرِدْ للشَّياطينِ أن تَشْهَدَ له. فهذهِ الملائكةُ الشرِّيرةُ شَهِدَت سُلطانَه وقُدرتَه عندما خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بكلمةٍ مِنه. وقد كانتِ الشَّياطينُ تَرتعدُ حينَ تَتَذكَّرُ اليومَ الذي طُرِحَت فيه خارجَ السَّماء. وها هو الآنَ يعيشُ على الأرضِ كإنسان! وبهذا، فقد كانَ نِطاقُ سَيِّدِهم يَتداعى وَيَنْهار. فقد غَزا مَجْدُ المَلِكِ سُلطانَهم ونِطاقَهُم.

وهكذا، أينما ذهبَ يسوع، كانَ سُلطانُ الشَّيطانِ يَضْعُف. وأينما ذهبَ يسوع، كانت لَعنةُ الخطيَّةِ تتَراجَع.

وعلاوةً على المُعجزات، كانَ يسوعُ يَحملُ رسالة:

«قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ» (مَرْقُس ١: ١٥).

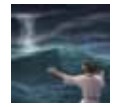

المشهد ٤٩

سُلْطانُ يسوعَ على الرِّياحِ والأمواج

اختار يسوعُ ١٢ رَجُلاً لكي يَرتحلوا معهُ ويَتعلَّموا منه. وكانت هناكَ بِضْعُ نساءٍ يَتْبَعْنَهُ ويَدْعَمْنَهُ هو وتلاميذَهُ بالطَّعامِ والمال.

وقد كانت دعوةُ يسوعَ للذين آمنوا به بسيطة:

«اتْبَعْني» (لوقا ٥: ٢٧).

ولكنَّ دعوتَه كانت مُكْلِفَةً أيضًا:

«مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي» (مَتَّى ١٠: ٣٧).

وحيثُ إنَّ العديدَ مِن تلاميذِه كانوا صيَّادين، فغالبًا ما أمضى يسوعُ وقتَه بالقربِ مِن بحرِ الجليل. وكانَ النَّاسُ يأتونَ إليه مِن جميعِ الأماكن:

«وَابْتَدَأَ أَيْضًا يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى الْبَحْرِ» (مَرْقُس ٤: ١).

وبعد أن انتهى مِن التَّعليم، قال يسوع لتلاميذه: «لِنَعْبُرْ إِلَى الضَّفَّةِ الْمُقَابِلَةِ». وحيثُ إنه كانَ في القاربِ أصلاً، فقد صَرَفوا الجُموعَ وانطلقوا على الفَور.

«فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ، فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِمًا. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟ فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: اسْكُتْ! اِبْكَمْ! فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا، وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!» (مَرْقُس ٤: ٣٧–٤١).

مَن هوَ هذا الرَّجُل؟ قَبْلَ هذهِ الحادثةِ بألفِ سنة، كانَ النبيُّ داودُ قد أجابَ عن هذا السُّؤال:

«يَتَمَايَلُونَ وَيَتَرَنَّحُونَ مِثْلَ السَّكْرَانِ، وَكُلُّ حِكْمَتِهِمِ ابْتُلِعَتْ. فَيَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِهِمْ، وَمِنْ شَدَائِدِهِمْ يُخَلِّصُهُمْ. يُهْدِئُ الْعَاصِفَةَ فَتَسْكُنُ، وَتَسْكُتُ أَمْوَاجُهَا» (المزمور ١٠٧: ٢٧–٢٩).

ومَن ذا الذي يستطيعُ أن يُهَدِّئَ العاصفةَ والأمواجَ بكلمةٍ منه؟

إنه نفسُ الصَّوتِ الذي خَلَقَها!

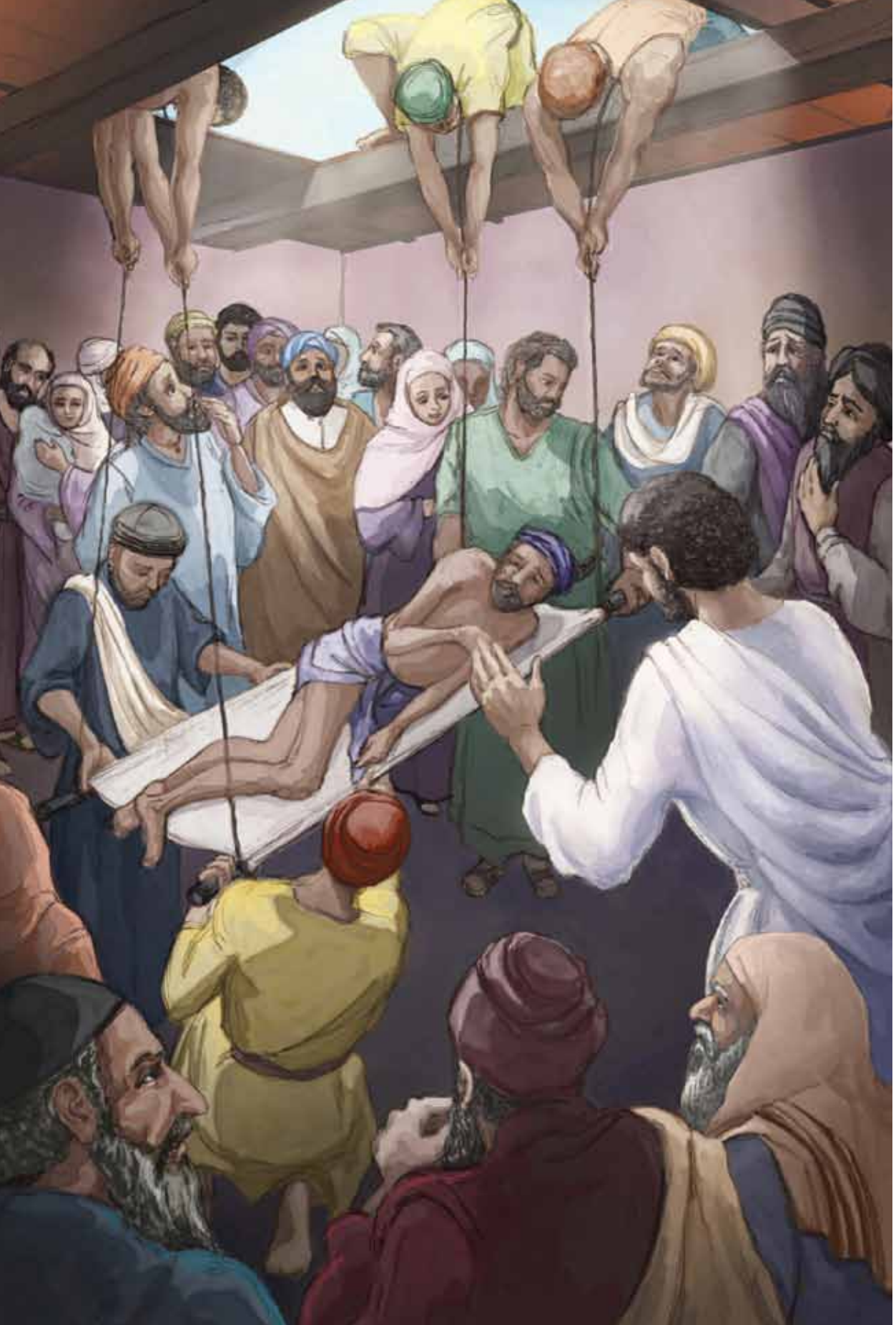

المشهد ٥٠
سُلْطانُ يسوعَ على الخطيَّة

في أحدِ الأيَّام، جاءَ أربعةُ رجالٍ يَحملونَ مشلولاً إلى البيتِ الذي كانَ فيه يسوع. وقد حاولَ الرِّجالُ أن يَشُقُّوا طريقَهم إلى داخلِ الغرفة، ولكنَّ الغُرفةَ كانت مُزدحمةً جدًّا بالنَّاسِ فلم يتمكَّنوا مِن الدخول. لهذا، فقد صَعِدوا إلى السَّطح، وأزالوا بعضَ أجزاءِ السَّقفِ، وَدَلُّوا الرَّجُلَ المشلولَ إلى وسَطِ الغُرفةِ أمامَ يسوع:

«فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مَرْقُس ٢: ٥).

فقد كان يسوعُ يَعرفُ أنَّ الحاجَةَ الماسَّةَ لهذا الرَّجُلِ لم تَكُنِ المَشيَ ثانيةً، بل أن تُغْفَرَ له خطاياه.

«وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هذَا هكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟ فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟ وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا. قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ! فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ، حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!» (مَرْقُس ٢: ٦–١٢).

لقد كانَ القادةُ الدينيُّونَ عُميانًا بسبب تَدَيُّنهم الأجوفِ وكبريائِهم. وقد كانوا يُفَكِّرونَ بيسوعَ بالطَّريقةِ التالية: يسوع، أنتَ مُجَدِّفٌ على الله [كافِر]! وأنتَ تُهينُ اللهَ لأنك تَدَّعي أنك تَغفرُ الخطايا؛ ولكنَّ اللهَ هوَ الوحيدُ الذي يَقْدرُ أن يَفعلَ ذلك!

وقد كانوا مُحِقِّينَ في التَّفكيرِ في أنَّ اللهَ هو الوحيدُ القادرُ أن يَغفرَ الخطايا. ولكنهم كانوا مُخطِئينَ في استنتاجِهم بشأنِ حقيقةِ يسوع.

والآن، مَن هوَ يسوعُ، في رأيِك؟ هل تَذْكُرُ معنى اسمِه؟ إنه يعني: الربُّ يُخَلِّص.

وفي إحدى المُدُنِ الفلسطينيَّةِ التي كانَ يسوعُ يُعَلِّم فيها، تَوَصَّلَ الناسُ إلى النتيجةِ التَّالية:

«نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ» (يوحنَّا ٤: ٤٢).

المشهد ٥١

سُلْطانُ يسوعَ على الموت

كان ليسوعَ سُلطانٌ على كُلِّ جُزءٍ في الخليقة. ومع ذلكَ، فهو لم يَكُن يَتَجَوَّلُ ويقول: «اعبدوني! أنا اللهُ! أنا اللهُ!» بل كانَ يَفعلُ الأشياءَ التي لا يستطيعُ أحدٌ سوى اللهِ أن يَفعلَها، ثُمَّ يَترُكُ النَّاسَ يَتوصَّلونَ إلى النتيجةِ بأنفسِهم.

بناءً على القصَّتينِ التاليتينِ، مَن هوَ يسوعُ في رأيِك؟

«وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ، ابْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: لاَ تَبْكِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ، فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ! فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ، وَمَجَّدُوا اللهَ» (لوقا ٧: ١١–١٦).

وفي يومٍ آخر، زارَ يسوع أُخْتَيْنِ مَفْجوعَتَيْنِ (مَرْثا ومَرْيَم). فقبلَ أربعةِ أيَّامٍ، مات أخاهُما لِعازَر:

«فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ هٰهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي! ... قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟ قَالَتْ لَهُ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الآتِي إِلَى الْعَالَمِ. ... وَجَاءَ [يَسوعُ] إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ. قَالَ يَسُوعُ: ارْفَعُوا الْحَجَرَ! قَالَتْ لَهُ مَرْثَا، أُخْتُ الْمَيْتِ: يَا سَيِّدُ، قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟ فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، ... [ثُمَّ] صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا! فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ» (يوحنَّا ١١: ٢١، ٢٥–٢٧، ٣٨–٤١، ٤٣–٤٤).

وهكذا، فيسوعُ هوَ الوحيدُ في التَّاريخِ كُلِّه الذي أمكنه أن يقول:

«أنا هُوَ القيامَةُ والحَياة».

وقد أثبتت أعمالُه أنَّ كلماتِهِ صحيحة!

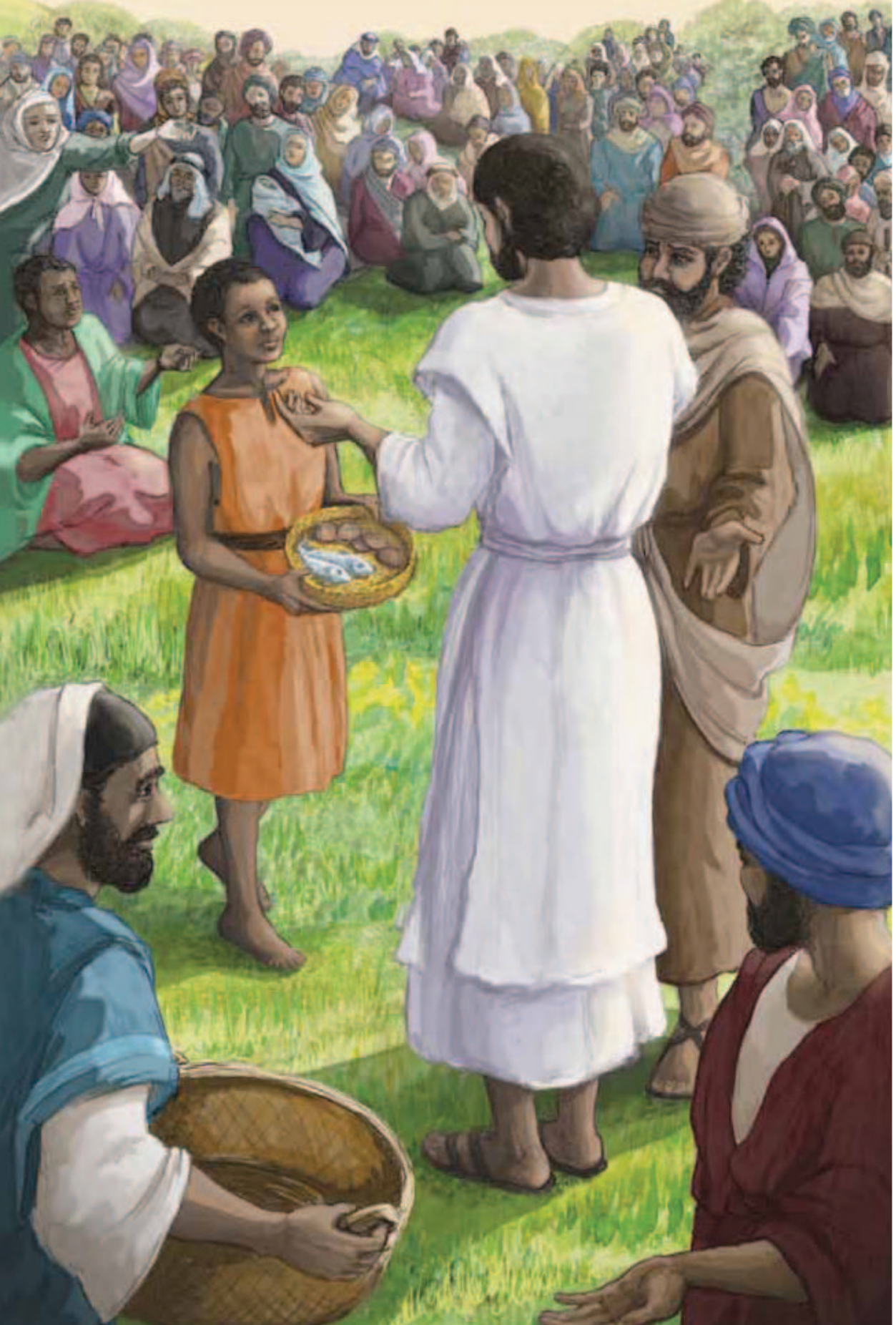

المشهد ٥٢

مُسَدِّدُ الاحتياجات

أحاطت جُموعٌ كثيرةٌ بيسوع. وفي بعضِ الأحيانِ، كانوا يَظَلُّونَ هُناكَ لعِدَّةِ أيَّام. وغالبًا ما كانوا يَجدونَه في الأماكنِ المُنعزلةِ حيثُ كانَ يَذهبُ لقضاءِ بعضِ الوقتِ معَ تلاميذِه. وفي بعضِ الأوقات، كان النَّاسُ يجوعون. وهذا هوَ ما حَدَثَ بعد ظُهرِ أحدِ الأيَّام حيثُ احتشدَ أكثرُ مِن خمسةِ آلافِ شخصٍ في أحدِ الأماكنِ إلى الشَّرقِ مِن بحرِ الجليل. لهذا، فقد سأَلَ يسوعُ أَحدَ تلاميذِه واسمُه «فِيلُبُّس»:

«مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزًا لِيَأْكُلَ هؤُلاَءِ؟ وَإِنَّمَا قَالَ هذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ. أَجَابَهُ فِيلُبُّسُ: لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا يَسِيرًا. قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ: هُنَا غُلاَمٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغِفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ، وَلكِنْ مَا هذَا لِمِثْلِ هؤُلاَءِ؟ فَقَالَ يَسُوعُ: اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَّكِئُونَ. وَكَانَ فِي الْمَكَانِ عُشْبٌ كَثِيرٌ، فَاتَّكَأَ الرِّجَالُ وَعَدَدُهُمْ نَحْوُ خَمْسَةِ آلاَفٍ. وَأَخَذَ يَسُوعُ الأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ، وَوَزَّعَ عَلَى التَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْمُتَّكِئِينَ. وَكَذلِكَ مِنَ السَّمَكَتَيْنِ بِقَدْرِ مَا شَاءُوا. فَلَمَّا شَبِعُوا، قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: اجْمَعُوا الْكِسَرَ الْفَاضِلَةَ لِكَيْ لاَ يَضِيعَ شَيْءٌ. فَجَمَعُوا وَمَلأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسَرِ، مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ، الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الآكِلِينَ» (يوحنَّا ٦: ٥–١٣).

وفي اليوم التالي، جاء أُناسٌ يَبحثونَ عن يسوعَ ليجعلوه مَلِكًا عليهم؛ ولكنهم أرادوا أن يُنَصِّبوه مَلِكًا لكي يُخَلِّصَهم مِن المُستعمِرينَ الرُّومان، ولكي يُعطيَهم مزيدًا مِن الطَّعام. لذلك، قالَ يسوعُ لهم:

«اعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ،[١٩] لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ ... أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا» (يوحنَّا ٦: ٢٧، ٣٥).

وهكذا، فالطَّعامُ العاديُّ يُمكنُ أن يُبقي جَسَدَك حَيًّا لبعضِ الوقت؛ ولكنَّ الربَّ يسوعَ قادرٌ على إعطائِكَ حياةً حَقيقيَّةً الآنَ وإلى الأبد.

فيسوعُ هوَ الوحيدُ الذي يَقْدِرُ أن يقولَ:

«أنا هُوَ خُبْزُ الحَياةِ».

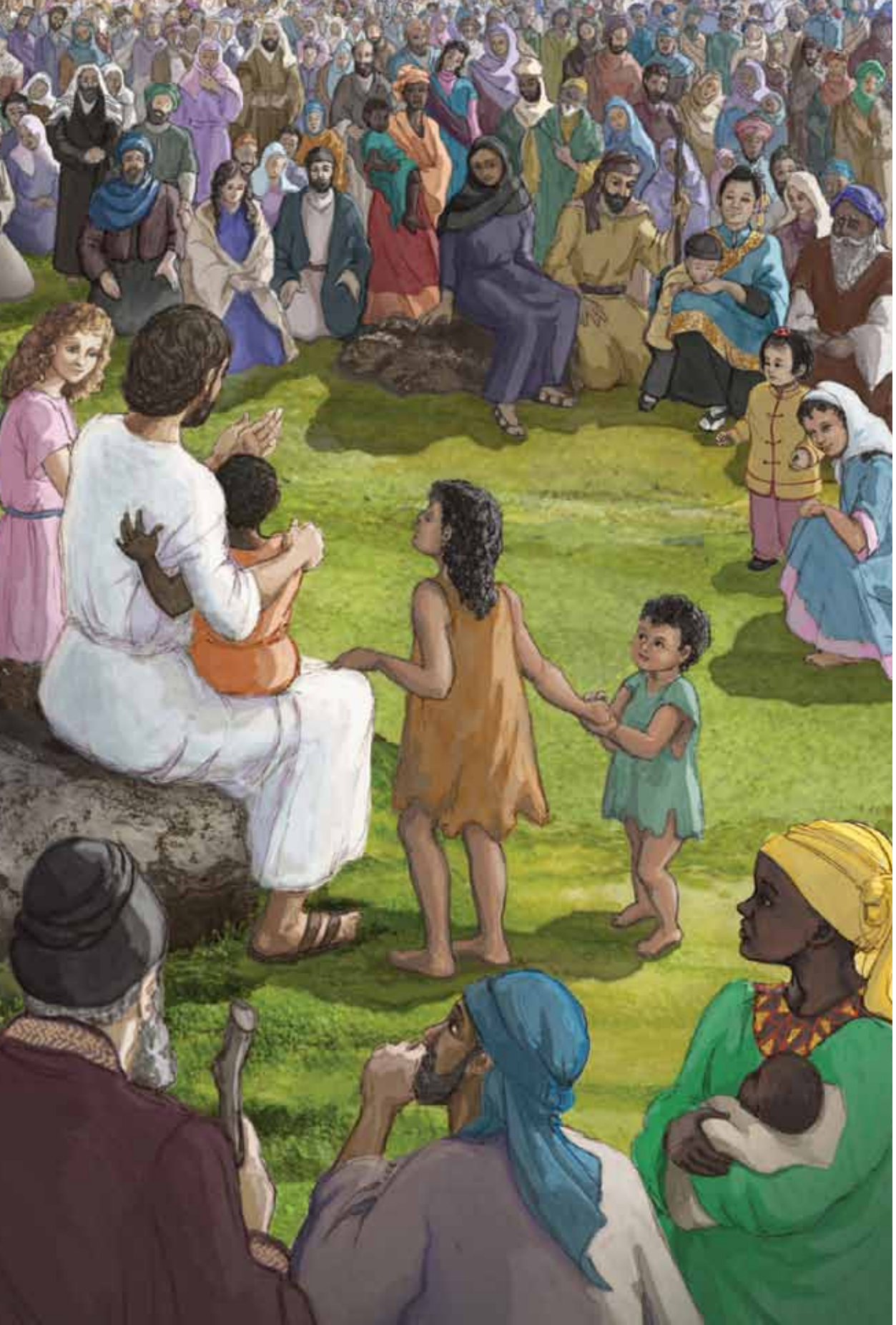

المشهد ٥٣
المُعَلِّم

لم يَكُنْ يسوعُ مِثْلَ المُعلِّمينَ الدينيِّينَ الذين يقولونَ أشياءً مِثْل: «افعلوا هذا! ولا تَفعلوا ذلك! اعملوا بهذه الشَّرائِع! هذه هي الطَّريق!» فيسوع هو الوحيد الذي أمكنه أن يَقول:

«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يوحنَّا ١٤: ٦).

كذلك، فقد كانَ يسوعُ مُختلفًا عن الأنبياءِ الذين كانوا يُقدِّمونَ الذَّبائحَ عن خطاياهم ويكتبونَ عن المسيَّا الذي سيأتي. فيسوعُ قال:

«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ» (مَتَّى ٥: ١٧).

وكثيرًا ما كانَ يسوعُ يُعَلِّمُ تلاميذَه كيفَ ينبغي لتلاميذِ ملكوتِ السَّماواتِ أن يعيشوا لكي يَعكسوا صِفاتِ مَلِكِهِم ومَجْدَهُ:

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ. ... وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا... لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. ... وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. ... فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. ... فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. ... احْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلِ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا!» (مَتَّى ٥: ٤٣–٤٤؛ ٦: ٥–٦، ٩–١١، ٣١–٣٣؛ ٧: ١٥، ٢٤–٢٧).

وفي الحقيقةِ أنه لم يَسْبِق لأحدٍ أن تَحَدَّثَ مِثلَ المُعَلِّمِ مِن السَّماء.

المشهد ٥٤
عَظَمَتُهُ

لم يَكُن مُعلِّمو الشَّريعةِ والكَهَنةُ سُعداءَ برؤيةِ الجُموعِ تُصغي إلى يسوع. فقد أرادوا مِنهم أن يُصغوا إليهم، وليسَ إليه هو!

وفي أحدِ الأيَّامِ، أرسلَ رُؤساءُ الكهنةِ حَرَسَ الهيكلِ لاعتقالِ يسوع؛ ولكنَّهم لم يتمكَّنوا مِن فِعل ذلك! وعندما عادوا، سألهمُ الكَهَنةُ قائلين: «لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ؟» فأَجَابَ الْخُدَّامُ:

«لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هكَذَا مِثْلَ هذَا الإِنْسَانِ!» (يوحنَّا ٧: ٤٦).

فحتَّى الأنبياءُ لم يتكلَّموا كما تَكَلَّمَ يسوع. فقد كانَ الأنبياءُ مِثْلَ الشُّموعِ التي تُرسِلُ أشِعَّةً مِن نُورٍ في وَسْطِ عالمٍ مُظلمٍ. أمَّا المسيَّا فكانَ «شَمْسَ البِرِّ» (مَلاخي ٤: ٢). ومَنِ الذي يَحتاجُ إلى شُموعٍ بعد شروقِ الشَّمس؟

فقد قال يسوع:

«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنَّا ٨: ١٢).

وهكذا، فيسوعُ هو النُّورُ الذي قالَ في البداية: «لِيَكُن نُوْرٌ». فهو المَصْدَرُ الحقيقيُّ للنُّورِ الماديِّ وَالرُّوحيِّ على حَدٍّ سَواء.

وعندما اقتربَ الوقتُ لكي يُتَمِّمَ المسيَّا إرساليَّته، اصْطَحَب ثلاثةً مِن تلاميذِه (وَهُمْ: بُطْرُس، ويَعقوب، ويُوحنَّا) إلى جَبَلٍ عَالٍ:

«وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ. ... وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا. وَلَمَّا سَمِعَ التَّلاَمِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جِدًّا. فَجَاءَ يَسُوعُ وَلَمَسَهُمْ وَقَالَ: قُومُوا، وَلاَ تَخَافُوا. فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلاَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ» (مَتَّى ١٧: ١–٣، ٥–٨).

ولم يَنْسَ التَّلاميذُ ما رأوهُ في ذلك اليوم. ففي وَقْتٍ لاحق، كَتَبَ الرَّسولُ بُطْرُسُ يقول: «بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ» (٢بطرس ١: ١٦). كما أنَّ الرَّسول يوحنَّا كَتَبَ يقول: «وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنَّا ١: ١٤).

في ذلك الوقت، كان مَجْدُ الابنِ ما زالَ مَخفيًّا في جَسَدِه البشريِّ.

ولكِنَّ الوقتَ قد حانَ لكي يُنَفِّذَ المَلِكُ مأموريَّتَه التي جاء إلى الأرضِ لأجْلِها.

المشهد ٥٥
إرساليَّتُه

بقيَ الربُّ يسوعُ يَتجوَّلُ في أنحاءِ فلسطينَ لمُدَّةِ ثلاثِ سنوات «يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ» (أعمال الرُّسُل ١٠: ٣٨). ومع أنَّ النَّاسَ العاديِّينَ أَحبُّوه، إلاَّ أنَّ القادةَ الدِّينيِّينَ في أورُشليمَ راحوا يَتآمرونَ لقتلِه. وكان يَسوعُ يَعلمُ بذلك:

«وَحِينَ تَمَّتِ الأَيَّامُ لارْتِفَاعِهِ [إلى السَّماءِ] ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (لوقا ٩: ٥١).

إذا عَلِمْتَ أنَّ عُصْبَةً مِن الأشرارِ في مدينةٍ بعيدةٍ يُخَطِّطونَ للقبضِ عليك، وتعذيبِك، وقَتلِك، فهل تَذهبُ إلى هُناك؟

هذا هوَ ما فَعَلَهُ يسوع:

«مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ» (مَتَّى ١٦: ٢١).

ولكنَّ التلاميذَ لم يكونوا يَتوقَّعونَ مَلِكًا كهذا – مَسيًّا مَصلوبًا؟ فَمِن المؤكَّدِ أنَّ **الله** لن يَسمحَ لمُختارِهِ بأن يُعاني مِثْلَ هذا الألمِ وأن يُذَلَّ مِثْل هذا الذُّلِّ! لذلك، قال بُطْرُس ليسوع:

«حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا! فَالْتَفَتَ [يَسوع] وَقَالَ لِبُطْرُسَ: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا لله لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ» (مَتَّى ١٦: ٢٢–٢٣).

لقد أراد التَّلاميذ مَسيحًا ومَلِكًا يَقضي على المُسْتَعْمِرينَ الرُّومانِ ويُقيمُ حُكومةً جديدةً في أورُشليم. وأثناءَ ارتحالِهم، كانوا يَتجادَلونَ حَوْلَ مَن سيَحْظى بالمناصبِ المرموقةِ في مملكةِ **الله**. لذلكَ، قال يسوعُ لتلاميذه:

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، ... كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مَتَّى ٢٠: ٢٦، ٢٨).

وهذا يُرينا أنَّ المسيَّا لم يأتِ في المرَّةِ الأولى لكي يَهْزِمَ الممالكَ السياسيَّةَ ولكي يَحْكُمَ على عُروشٍ أرضيَّةٍ؛ بل جاءَ لكي يَهْزِمَ الشَّيطانَ ويَسودَ على قُلوبِ البَشَر. لهذا فقد عَلَّمَ يسوعُ:

«هَا مَلَكُوتُ **الله** دَاخِلَكُمْ» (لوقا ١٧: ٢١).

ولكِنْ قَبْلَ أن يَتمكَّنَ المَلِكُ السَّماويُّ مِن التَّرَبُّعِ على القُلوبِ (ومِن ثَمَّ على الأرضِ كُلِّها)، يجبُ دَفْعُ أُجرةِ الخطيَّةِ عن كُلِّ العالم. كما يَجبُ إلحاقُ الهزيمةِ بالموتِ نفسِه.

وهكذا، فقد كانت هذهِ هيَ إرساليَّةَ يَسوع!

المشهد ٥٦

المَلِكُ يَدْخُلُ أورُشليم

كانَ كلُّ شيءٍ يَسيرُ حَسَبَ الخُطَّة. وعندما اقتربَ الربُّ مِن أورُشليم، أرسلَ تلميذينِ في مَهَمَّة:

«اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطُّ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِهِ؟ فَقُولاَ لَهُ هكَذَا: إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. فَمَضَى الْمُرْسَلاَنِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. وَفِيمَا هُمَا يَحُلاَّنِ الْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟ فَقَالاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ، وَأَرْكَبَا يَسُوعَ. وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا، قَائِلِينَ: مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي! وَأَمَّا بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ[٢٠] مِنَ الْجَمْعِ فَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، انْتَهِرْ تَلاَمِيذَكَ! فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!» (لوقا ١٩: ٣٠–٤٠).

يا لَهُ مِن مَلِكٍ مِن نَوعٍ مُختلفٍ!

فالمسيَّا–المَلِكُ لم يَدْخُلِ المدينةَ بأصواتِ الأبواقِ وبجيشِه العظيم. كما أنه لم يَدْخُلِ المدينةَ وهوَ راكبٌ على حِصانٍ مَهيبٍ مِن أحْصِنَةِ الحَرب؛

بل دَخَلَ وهوَ راكبٌ على جَحْشٍ وَضيعٍ لم يَجْلِسْ عليه أحَدٌ مِن النَّاسِ قَطُّ (بمعنى أنه لم يَتعرَّضْ للضَّرب). وهوَ حيوانٌ يَتميَّزُ بوجودِ علامةِ صليبٍ واضحةٍ على ظهرِه وكتفيه. والأهمُّ مِن هذا كُلِّه هو أنَّ الجحشَ هوَ الحيوانُ الوحيدُ الذي يُمكنُهُ أن يُتَمِّمَ ما كَتَبَهُ النبيُّ زكريَّا قبل ٥٠٠ سنة:

«اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ» (زكريَّا ٩: ٩).

ولكِنْ لماذا لم يَدْخُلِ المسيَّا–المَلِكُ أورُشليمَ وهو راكبٌ على حِصانٍ قَويٍّ مِنْ أحْصِنَةِ الحَرب؟ لأنه لم يأتِ لِيُخَلِّصَ النَّاسَ مِن مُضطهِديهم الرُّومان.

بل لتخليصِهم مِن خطاياهم.

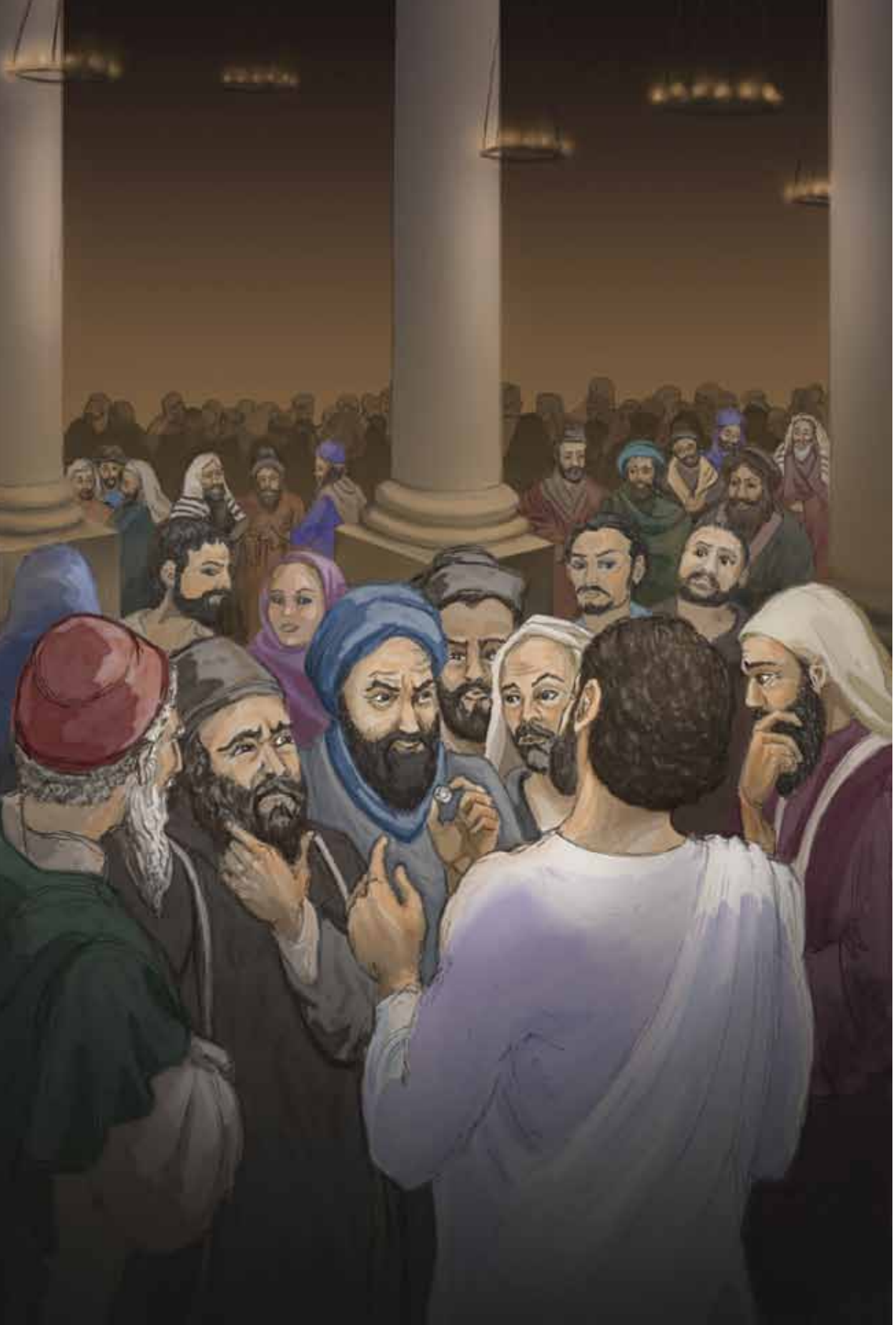

المشهد ٥٧

استجوابُ المَلِك

في الأيّامِ القليلةِ التي أعْقَبَتْ ذلك، عَلَّمَ يسوعُ النَّاسَ في نَفسِ الهيكلِ الذي أذْهَلَ فيه الجميعَ بأسئلتِه العميقةِ وأجوبتِه الحَكيمةِ عندما كانَ صَبِيًّا. ولكنَّ موقفَ القادةِ الدينيِّينَ كان مُختلفًا هذهِ المَرَّة:

«لاَ نُرِيدُ أَنَّ هذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا!» (لوقا ١٩: ١٤).

لذلكَ، فقد راحوا يَطرحونَ الأسئلةَ على يسوعَ على أمَلِ تَحويلِ النَّاسِ ضِدَّهُ:

«فَرَاقَبُوهُ وَأَرْسَلُوا جَوَاسِيسَ يَتَرَاءَوْنَ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ لِكَيْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ، حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلَى حُكْمِ الْوَالِي وَسُلْطَانِهِ. فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ بِالاسْتِقَامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ، وَلاَ تَقْبَلُ الْوُجُوهَ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ الله. أَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟» (لوقا ٢٠: ٢٠–٢٢).

فماذا كانَ الجوابُ المُناسِبُ؟ فإذا قالَ لَهُم: «أجل، أعطوا الجِزْيَةَ لِقَيْصَر» فسوفَ يَتَّهِمُهُ اليهودُ بعدمِ الوَلاءِ لقضيَّتِهِم. مِن جهةٍ أُخرى، إذا قالَ لَهُم: «لا، لا تَدفعوا الضَّرائب»، فسوفَ يَسْمَعُ الوالي الرُّوماني بذلكَ ويَقبضَ عليهِ بتُهمةِ الخيانةِ.

«فَشَعَرَ [يسوع] بِمَكْرِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ أَرُونِي دِينَارًا. لِمَنِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لله لله. فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ قُدَّامَ الشَّعْبِ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ جَوَابِهِ وَسَكَتُوا» (لوقا ٢٠: ٢٣–٢٦).

ومَرَّةً تلوَ الأخرى، حاولتْ مجموعاتٌ مُختلفةٌ مِن المُعلِّمينَ اليهودِ أن يَجدوا مَمْسَكًا على يَسوع، ولكنَّه كانَ يُجيبُهم في كُلِّ مَرَّةٍ بجوابٍ حكيمٍ:

«وَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً» (مَتَّى ٢٢: ٤٦).

شَعرَ الرِّجالُ بالخِزْيِ مِن أنفسِهم، وانسحبوا، وعقَدوا العَزمَ على التَّخطيطِ معَ رؤساءِ الكهنةِ على اعتقالِ يسوعَ وإعدامِه. فيا لهم مِن عميان! فهؤلاءِ الكهنةُ – الذين كانوا مسؤولينَ عن تقديمِ الذَّبائحِ على مذبحِ الهيكل – لم يكونوا يَعرفونَ أنَّ هذا الرَّجُلَ الذي يرغبونَ في قَتلِه هو نفسُ الشَّخصِ الذي تَرْمزُ إليه تلكَ الذَّبائح!

وبهذا، كانت خُطَّةُ اللهِ السريَّةُ على وشكِ التَّنفيذ.

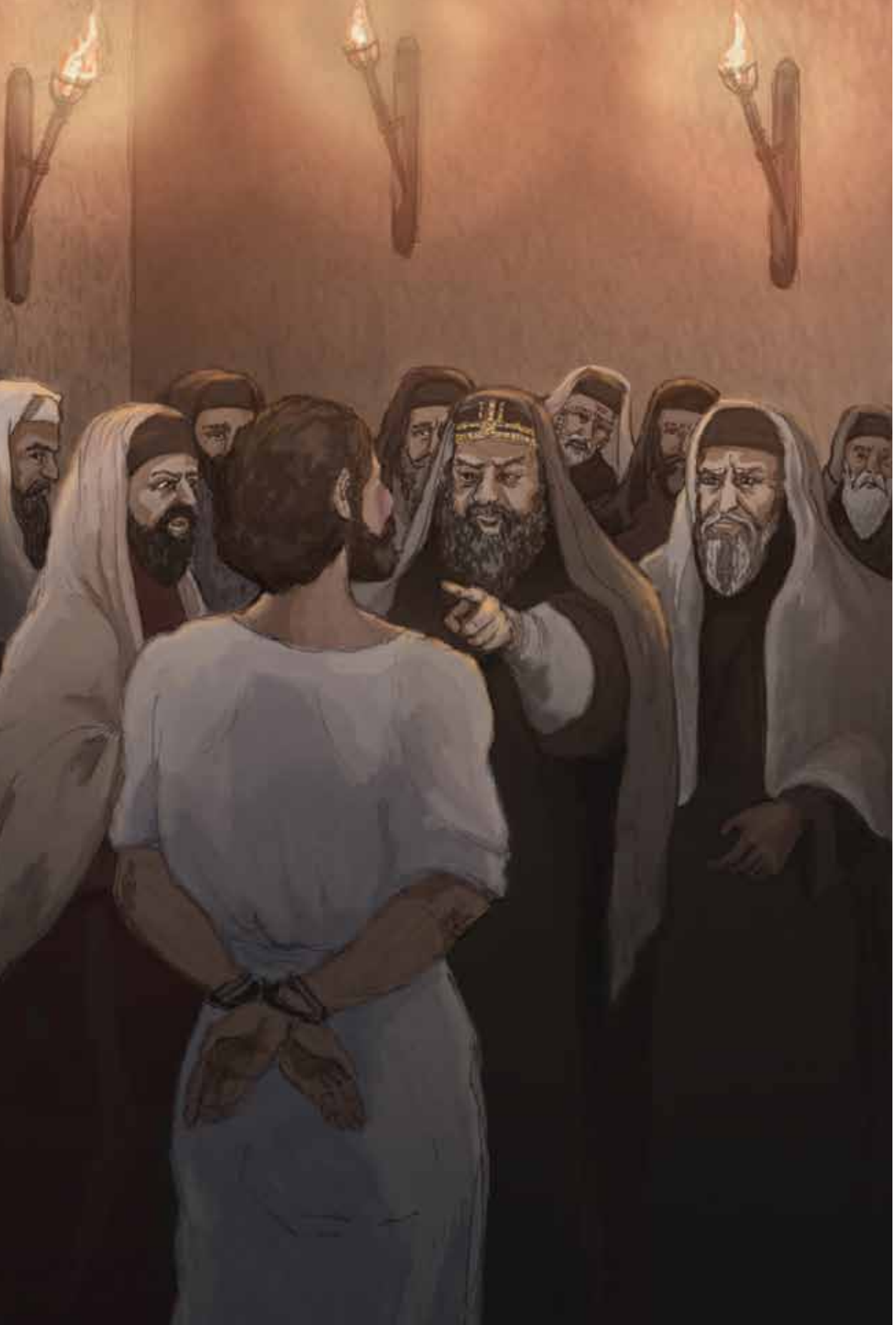

المشهد ٥٨
اعتقالُ المَلِك

كانَ الوقتُ عَشِيَّةَ عيدِ الذبيحةِ السَّنويِّ الذي يُسَمَّى «عيدُ الفِصْح».[١٦] ففي اليومِ التالي، سوفَ تُذبَحُ آلافُ الحِملان.

ومع أنَّ يسوعَ كانَ يَعرفُ بأنه سيُقتَلُ في اليوم التَّالي، إلاَّ أنه أمضى وقتَ المساءِ وهوَ يَتناولُ العشاءَ الأخيرَ معَ تلاميذِه. وأثناءَ تناولِهم الطعام، أخذَ الخُبز، وبارَكَهُ، وكَسَّرَهُ، وأعطاهُم ليأكلوا. كما أنه مَرَّرَ عليهم كأسًا. وقد أخبرهم أنَّ الخبزَ المكسورَ ينبغي أن يُذَكِّرَهم بجسدِه، وأنَّ عَصيرَ العِنَبِ الأحمرِ ينبغي أن يُذَكِّرَهم بدمِه الذي سيُسْفَكُ مِن أجلِ تَتميمِ العهدِ الجديدِ لغُفرانِ الخطايا.

وفي مُنتصفِ اللَّيل، اصطَحَبَ يسوعُ تلاميذَه إلى بُستانٍ يُدعى «جَثْسَيْماني». وإذ كانَ يَعلمُ بالأهوالِ التي تَنتظرُه، راحَ يُصَلِّي إلى أبيه السَّماويِّ.

وفجأةً، وَصَلَ القادةُ الدينيُّونَ مع حُرَّاسٍ مُدَجَّجين بالأسلحة. فقالَ لهم يسوعُ:

«كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي. وَأَمَّا هذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ. حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا» (مَتَّى ٢٦: ٥٥–٥٦).

وهكذا، فقد سَمَحَ يسوعُ للرِّجالِ بتَقييدِه واقتيادِه إلى مِنزلِ رئيسِ الكَهَنةِ حيثُ اجتمعَ قادةُ اليهود. وهُناك، أدْلى كثيرونَ بشهاداتٍ كاذبةٍ بشأنِ يَسوع.

«فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسْطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ قَائِلاً: أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هؤُلاَءِ عَلَيْكَ؟ أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَقَالَ لَهُ: أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟ فَقَالَ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ. فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ؟ فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ. فَابْتَدَأَ قَوْمٌ يَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، وَيُغَطُّونَ وَجْهَهُ وَيَلْكُمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ: تَنَبَّأْ. وَكَانَ الْخُدَّامُ يَلْطِمُونَهُ» (مَرْقُس ١٤: ٥٦، ٦٠–٦٥).

ومع أنَّ المحكمةَ اليهوديَّةَ أصْدَرَت حُكْمَ الإعدام، إلاَّ أنَّها لم تَكُن تَمتلكُ صلاحيَّةَ تَنفيذِ هذا الحُكْم. فالمَحكمةُ الوحيدةُ القادرةُ على تنفيذِ هذا الحُكمِ آنذاكَ هيَ المحكمةُ الرومانيَّة.

المشهد ٥٩
إدانَةُ المَلِك

كانَ الوقتُ صباحًا عندما قامَ رؤساءُ الكَهَنةِ وشيوخُ الشَّعبِ باقتيادِ يسوعَ مِن منزلِ رئيسِ الكهنةِ عَبْرَ شوارعِ أورُشليمَ إلى قَصْرِ الوالي الرُّومانيِّ بيلاطُسَ البُنْطِيّ.

وكانَ القادةُ الدينيُّونَ يُريدونَ مِن بيلاطُسَ أن يُنَفِّذَ حُكْمَ الإعدامِ بيسوع:

«وَابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنَّنَا وَجَدْنَا هذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ، قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ. ... [وبعد استجوابه ليسوع] قَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ: إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هذَا الإِنْسَانِ» (لوقا ٢٣: ٢، ٤).

«أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرّ لَمَا كُنَّا قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ! ...

ثُمَّ دَخَلَ بِيلاَطُسُ أَيْضًا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَدَعَا يَسُوعَ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ ... مَاذَا فَعَلْتَ؟

أَجَابَ يَسُوعُ: مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا.

فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: أَفَأَنْتَ إِذًا مَلِكٌ؟

أَجَابَ يَسُوعُ: أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي.

قَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: مَا هُوَ الْحَقُّ؟

وَلَمَّا قَالَ هذَا خَرَجَ أَيْضًا إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ: أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً» (يوحنَّا ١٨: ٣٠، ٣٣، ٣٥–٣٨).

ولكنَّ اليهودَ راحوا يَصْرُخون:

«اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!

فَقَالَ لَهُمْ ثَالِثَةً: فَأَيَّ شَرّ عَمِلَ هذَا؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ، فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ. فَكَانُوا يَلِجُّونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصْلَبَ. فَقَوِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ» (لوقا ٢٣: ٢١–٢٣).

نرى هُنا أنَّ بيلاطُسَ كانَ يَعْلَمُ أنَّ يسوعَ بريء. ولكِنْ بسببِ خَوفِه مِنَ القادةِ الدينيِّينَ والشَّعب، فقد حَكَمَ على يَسوعَ بالموت.

المشهد ٦٠
تَتويجُ المَلِك

حَكَمَ بيلاطُسُ على يسوعَ بأقصى عُقوبةٍ في القانونِ الرُّومانيِّ: الضَّربُ القاسي ثُمَّ الصَّلب. فقد كانَ المُجْرِمونَ المُدانونَ يُجْلَدونَ بِسِياطٍ زُوِّدَت أطرافُها بقِطَعٍ مَعدنيَّة.

وقَبل ٧٠٠ سنة، أوحى الربُّ للنبيِّ إشعياءَ أن يَكْتُبَ الكلماتِ التالية:

«بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ، وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ» (إشعياء ٥٠: ٦).

ويُخبرُنا الإنجيلُ عَمَّا حَدَثَ بعدَ جَلْدِ يسوع:

«فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ! وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ» (مَتَّى ٢٧: ٢٧–٣٠).

كانَ الجُنودُ يَجهلونَ مَعنى إكليلِ الشَّوكِ الذي غَرَزوهُ في رأسِ يسوع. فالأشواكُ كانت جُزءًا مِن اللَّعنةِ التي حَلَّت على الأرضِ بسببِ خطيَّةِ آدَم. وهكذا، فقد جاءَ مَلِكُ المَجْدِ القُدُّوسُ لكي يَحملَ لَعنةَ الخطيَّةِ عَنَّا:

«وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ» (مَتَّى ٢٧: ٣١).

اقتادَ الجُنودُ يسوعَ معَ مُجْرِمَيْنِ مُدانَيْن. وقد حَمَلَ كُلٌّ منهم صَليبَه إلى مَكانِ تنفيذِ عقوبةِ الإعدام.

وأثناءَ الطَّريق، أرغمَ الجُنودُ الرُّومانُ رَجُلاً مِن شَمالِ إفريقيا على حَمْلِ صَليبِ يَسوعَ. ثُمَّ تابعوا الطَّريقَ عَبْرَ شوارعِ أورُشليمَ المُزدحمةِ إلى أن وصلوا خارجَ أسوارِ المدينة. ثُمَّ صَعِدوا تَلَّةً تُدعى الجُلْجُثة، وهي الجُزءُ الشَّماليُّ مِن جَبَلِ المُرَيَّا الذي وقفَ عليه النبيُّ إبراهيمُ قبلَ حوالى ١٩٠٠ سنةٍ وقال:

«اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي» (تكوين ٢٢: ٨).

وهكذا، فقد حَان الوقتُ لموتِ ذلكَ الخَروف!

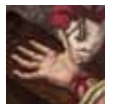

المشهد ٦١

صَلْبُ المَلِك

الصَّلبُ هو أقسى وأشنعُ وسيلةٍ للإعدامِ تَبَنَّتها الإمبراطوريَّةُ الرومانيَّة. ولإضافةِ العارِ إلى الآلامِ النَّاشئةِ عن الصَّلب، كانَ الجُنودُ الرُّومانُ يُجَرِّدونَ المُجرمينَ مِن ملابسِهِم قبلَ أن يَدُقُّوا أيديَهُم وأرجلَهُم بمساميرَ طويلةٍ على صَليبٍ أو شَجَرة.

«وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ».

وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا. وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ، وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضًا مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: خَلَّصَ آخَرِينَ، فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحَ مُخْتَارَ **اللهِ**!» (لوقا ٢٣: ٣٣–٣٥).

لو كانَ يَسوعُ قد خَلَّصَ نَفسَهُ، لما تَمَكَّن مِن تخليصِنا. ولكنَّ النَّاسَ آنذاكَ لم يَكونوا يَعلمونَ أنهم يُتَمِّمونَ ما أنبأَ الربُّ بهِ على لِسانِ النبيِّ داود:

«ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. ... وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ ... كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ: اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ» (المزمور ٢٢: ١٦–١٨، ٦–٨).

وهكذا، فقد تَحَقَّقَت خُطَّةُ **اللهِ** لإنقاذِ البشرِ بكُلِّ تفاصيلِها الدَّقيقة.

فعلى نَفسِ الجَبَلِ[١١] الذي قالَ عليه النبيُّ إبراهيمُ «**اللهُ** يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ» و«يَهْوَه يَرْأَه [الربُّ يُدَبِّر]» (تكوين ٢٢: ٨، ١٤)، دَبَّرَ **اللهُ** خَروفَهُ الخَاصَّ – يَسوع!

هَل تَذْكُرُ كيفَ أصْعَدَ إبراهيمُ الكَبْشَ البريءَ على الحَطَبِ فوقَ المَذبحِ فِداءً عن ابنِه المُدان؟ والآن، لقد تَمَّ تَقديمُ الابنِ الخالي مِن الخطيَّةِ فوقَ صَليبٍ خَشَبِيٍّ لفداءِ نَسْلِ إبراهيمَ المُدان. ومع أنَّ **اللهَ** نَجَّى ابنَ إبراهيمَ، إلاَّ أنه لم يُنَجِّ ابنَه، بل بَذَلَهُ عَنَّا جميعًا (رومية ٨: ٣٢):

«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ **اللهُ** الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنَّا ٣: ١٦).

«عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (بُطْرُسَ الأُولَى ١: ١٨–١٩).

إذًا، هذه هيَ قيمَتُكَ في نَظَرِ **الله**.

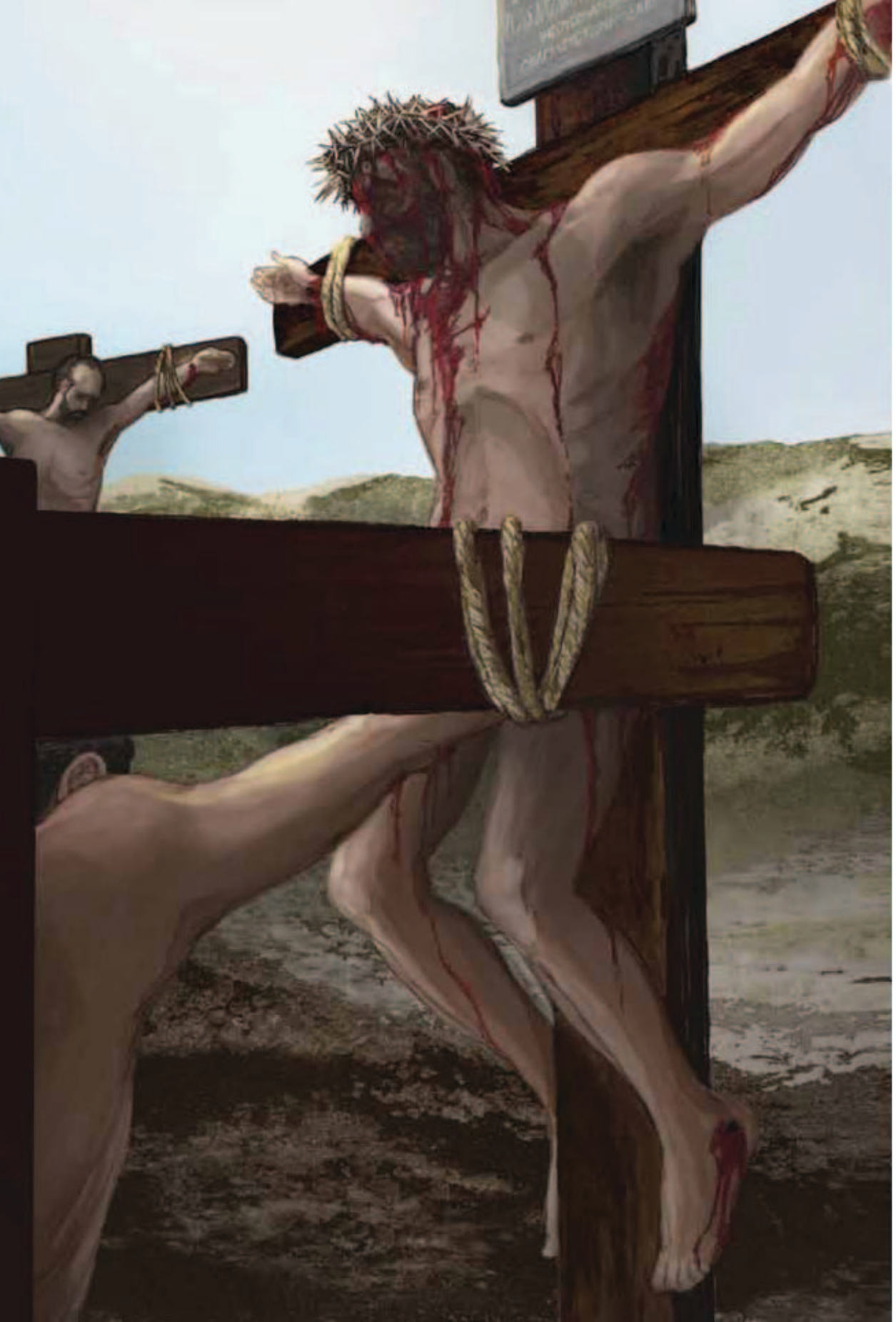

المشهد ٦٢

المُخَلِّصُ–المَلِك

لِكَي يُنَفِّذَ الربُّ يسوعُ خُطَّةَ الإنقاذِ الإلهيَّة، كانَ لا بُدَّ أن يَشْعُرَ بالعارِ النَّاشئِ عنِ الخطيَّة. فقد لُعِنَ لأجلِنا. كما أنه احتملَ العقابَ الذي نَسْتَحِقُّه نحن.

ففي اليومِ الذي كَسَرَ فيه آدَمُ شريعةَ **اللهِ**، أعلنَ **اللهُ** أنَّ المسيَّا سيَسْحَقُ رأسَ الحيَّةِ في يومٍ ما. فقد قالَ **اللهُ** للحيَّةِ (للشَّيطان):

«هُوَ [المُخَلِّصُ] يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» (تكوين ٣: ١٥).

كانت هذهِ النُّبوءةَ القديمةَ الغامضةَ عن سَحْقِ الشَّيطانِ لِعَقِبِ المُخَلِّصِ تَحْكي عنِ العارِ والألمِ الذي سيُعاني منهما حَمَلُ **اللهِ** على الصَّليبِ لأنه «مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا» (إشعياء ٥٣: ٥).

لكِنَّ الذينَ صَلَبوا يسوعَ كانوا يَجهلونَ خُطَّةَ **اللهِ** السريَّةَ

«الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ.... فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ **اللهِ**» (١كورنثوس ٢: ٨؛ ١: ١٨).

وقَدْ وُضِعَ صليبُ يسوعَ بينَ مُجْرِمَين:

«وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنَبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا! فَأَجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلاً: أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ **اللهَ**، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْل، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ. ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا ٢٣: ٣٩–٤٣).

كان كُلُّ ما أرادَه المُجرمُ الأوَّلُ هو أنْ يَخْلُصَ مِن العذاباتِ الجسديَّة. فهو لم يُفَكِّرْ في حاجتِه إلى مُخَلِّصٍ ليموتَ عنه.

كذلك، فقد أهانَ المُجرمُ الثَّاني يسوع. ولكِن عندما تَقابلَ مع الموتِ وجهًا لوجه، تَغَيَّر قلبُه وأرادَ مِنَ الربِّ أن يُنقذَه مِنْ مملكةِ الشَّيطان. فقد أرادَ أن يُصبحَ مُواطنًا في مملكةِ **اللهِ** إنْ سَمَحَ له المَلِكُ بذلك. وقد جاءَ رَدُّ يسوعَ حازمًا:

«الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا ٢٣: ٤٣).

وفي وقتٍ لاحقٍ مِن عَصْرِ ذلكَ اليوم، ماتَ كِلا المُجرِمَيْن. ولكنَّ واحدًا منهما ذَهَب إلى الجحيم، في حينِ أنَّ الآخرَ ذَهَبَ إلى الفِرْدَوْس. فما الذي صَنَعَ هذا الفَرْق؟

الأوَّلُ لم يَثِقْ بالمُخَلِّصِ–المَلِك؛ أمَّا الثَّاني فوَثَقَ به!

المشهد ٦٣
الذَّبيحةُ الأخيرة

كانَ الوقتُ ظُهْرًا. وكانَ قد مضى على صَلْبِ يسوعَ ثلاثَ ساعات. وفجأةً، امتلأتِ السَّماءُ بالغيومِ السَّوداء، وَحَلَّ الظَّلامُ على الأرضِ كُلِّها. فخافَ المُتفرِّجونَ وَتفَرَّقوا. وسادَ صَمْتٌ رَهيبٌ على تِلْكَ التَّلَّة. وبعدَ ثلاثِ ساعاتٍ، صَرَخَ يسوعُ بصوتٍ عظيمٍ:

«إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (مَتَّى ٢٧: ٤٦).

وهكذا، على مَذْبحِ الصَّليبِ، شَعَرَ ابنُ **الله** الأزليُّ بِهَوْلِ الانفصالِ عنِ **الله** في السَّماء. وفي تلكَ السَّاعاتِ المُظلمةِ المَخْفيَّةِ عن أعينِ البَشَر، أخذَ **اللهُ** كلَّ خطايانا ووضَعها على ابنِه القُدُّوس. وبهذا، أصبحَ يسوعُ ذبيحةَ الخطيَّةِ الأخيرة.

ولأنَّ خطايا العالمِ (الماضية، والحاضرة، والمُستقبليَّة) وُضِعَت على يسوع، كان لا بُدَّ **لله** في السَّماءِ أن يُزيحَ عينيهِ لأنَّ عينيه «أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ» (حبقوق ١: ١٣). ولثلاثِ ساعاتٍ طويلةٍ، حَلَّ غَضَبُ **اللهِ** على الخطيَّةِ على ذبيحتِه الخاصَّةِ (على يسوع). فكما هيَ حَالُ الحَمَلِ الموضوعِ على المَذْبَح، فقد بقيَ حَمَلُ **الله** مُعلَّقًا على الصَّليبِ بينَ السَّماءِ والأرض، بينَ **الله** والإنسان. أجل، لقدِ احتملَ يسوعُ القُدُّوسُ جَحيمَنا في الوقتِ المُعَيَّنِ لكي لا نَحتملَ نحنُ هذا الجحيمَ في الأبديَّة.

حينئذٍ، كانت المَهَمَّةُ قد أُنْجِزَت.

فقد عَلِمَ يسوعُ أنه قدِ احتملَ العقابَ الذي استحقَّه الخُطاة، وبأنه قد تَمَّمَ نُبوءاتِ العهدِ القديم. وعندها، قال:

«قَدْ أُكْمِل. وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ» (يوحنَّا ١٩: ٣٠).

«وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ» (مَتَّى ٢٧: ٥١).

لعِدَّةِ مئاتٍ مِنَ السِّنين، كانتِ الحملانُ تُذْبَحُ وتُحْرَقُ على مَذبحِ الهيكل. وعندما ماتَ يسوع، شَقَّ **اللهُ** الحجابَ الذي كانَ يُخفي الغُرفةَ الخاصَّةَ حيثُ كانَ الدَّمُ يُرَشُّ كلَّ سنةٍ لتغطيةِ الخطيَّة. وعن طريقِ شَقِّ حجابِ الهيكل، كانَ **اللهُ** يُعلنُ: قَدْ أُكْمِل! فقد دُفِعت أُجْرَةُ الخطيَّةِ إلى التَّمام! فَخروفي قد سَفَكَ دَمَهُ الطَّاهرَ مِن أجلِ خطايا العالم. وبعدَ الآن، لن أَقْبَلَ أيَّةَ ذبيحةٍ حَيوانيَّةٍ للتَّكفيرِ عنِ الخطايا. فابني الحبيبُ هو الذَّبيحةُ الأخيرة. وكُلُّ مَن يؤمنُ بهِ سيَجِدُ بابَ السَّماءِ مَفتوحًا على مِصْراعيه! (انْظُر الرِّسالة إلى العِبرانيِّينَ في العهدِ الجديد).

وقَبْلَ ٧٠٠ سنةٍ، كَتَبَ النبيُّ إشعياء:

«وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعياء ٥٣: ٥–٦).

لَقَدْ أُكْمِل!

المشهد ٦٤
دَفْنُ المَلِك

لقد ماتَ يسوعُ النَّاصريُّ. وللتحقُّقِ مِنْ موتِه، قامَ أحدُ الجُنودِ بِطَعْنِهِ في جَنْبِه فخرجَ دَمٌ وماء. وبموتِ يسوع، ماتَ رَجاءُ التَّلاميذِ أيضًا. فقد كانوا يَظُنُّونَ أنه سيَسْحَقُ الرُّومانَ ويُؤَسِّسُ مَملكتَه على الأرض. أمَّا الآن، فَهُمْ لا يَفهمونَ (بَعْد) وَعْدَهُ بأنه سيقومُ في اليومِ الثَّالث.

في العادة، كانت جُثَثُ المُجرمينَ الذين يَتِمُّ إعدامُهُم تُلقَى في مِكَبٍّ للنفاياتِ خارجَ المدينةِ أو في قَبْرٍ جماعيٍّ. لكنَّ هذا لم يَحْدُثْ مع جَسَدِ يسوع. فقَبْل ٧٠٠ سنةٍ، كَتَبَ النبيُّ إشعياء:

«وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ» (إشعياء ٥٣: ٩).

وهكذا، فقد كانت خُطَّةُ اللهِ تَقضي بأن يُدفَنَ ابنُه دَفْنًا لائقًا:

«وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْمِيذًا لِيَسُوعَ. فَهذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ» (مَتَّى ٢٧: ٥٧–٥٨).

قَبْلَ موتِ يسوع، كانَ يُوسُفُ الرَّامِيُّ وصديقُهُ نيقوديموسُ تابِعَيْنِ سِرِّيَّيْنِ ليسوعَ المسيح. فقد كانا يخافانِ مِن القادةِ الدينيِّين. ولكِنْ بعدَ أن شاهدا يسوعَ يَتألَّمُ على الصَّليب، لم يَعودا خائِفَيْن. لذلك، فقد أَخَذا جَسَدَ يسوع، وغَسلاهُ، ولَفَّاهُ بأربطةٍ مِن كتَّانٍ مع حوالى ٣٥ كيلو مِنَ المُرِّ (وهو نفسُ نوعِ الطِّيبِ الغالي الثَّمَنِ الذي قَدَّمَهُ المجوسُ للطِّفلِ يسوع). بعدَ ذلك، وضعا جَسَدَ يسوعَ في القَبرِ الجديدِ الذي كانَ ليوسُف. وبعدَ أن دَحْرَجَ الحاضِرونَ حَجَرًا ضَخْمًا على بابِ القبر، ذهبَ الجميعُ إلى بيوتِهم.

وبهذا، كان الدَّفنُ مَلكيًّا ويليقُ بِمَلِك.

وفي صباحِ اليومِ التَّالي، ذهبَ القادةُ الدينيُّونَ إلى بيلاطُسَ قائلين:

«يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ. فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلاً وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ: إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلاَلَةُ الأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الأُولَى! فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: عِنْدَكُمْ حُرَّاسٌ. اذْهَبُوا وَاضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ. فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ» (مَتَى ٢٧: ٦٣–٦٦).

في تلك الأثناء، ما الذي كان يَحْدُثُ لجَسَدِ يسوعَ في القبر؟

لا شيء!

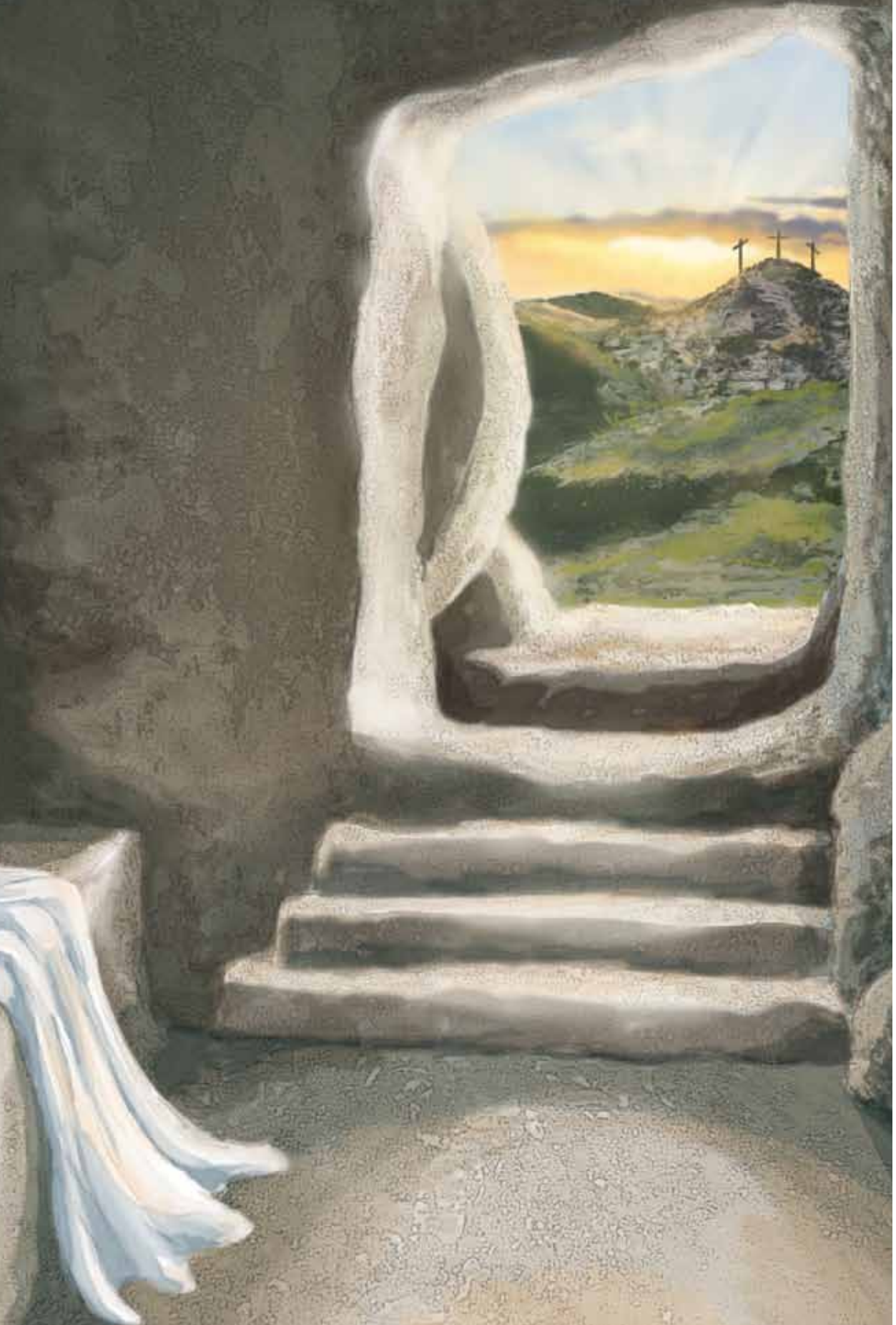

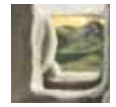

المشهد ٦٥
القبرُ الفارغ

مُنذُ اليوم الذي أخطأَ فيه آدم، سادَ الموتُ كَمَلِكٍ مُسْتَبِدٍّ على الجنسِ البشريِّ كُلِّه. ولو أنَّ يسوعَ كانَ قد اقترفَ أيَّةَ خطيَّة، لكانَ الموتُ قد أدَّى أيضًا إلى تَحَلُّلِ جُثَّتِه، وَتَعَفُّنِها، وعودتِها إلى التُّراب. ولكِنْ قبلَ ألفِ سنة، كانَ النبيُّ داودُ قد كَتَب:

«لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا» (المزمور ١٦: ١٠).

وهكذا، لم يَكُنْ للموتِ والقبرِ أيُّ سُلطانٍ على يسوعَ الذي لم يَرْتَكِبْ خطيَّة.

وفي اليومِ الثَّالثِ مِن إعدامِ يسوعَ ودَفْنِه، ذهبت امرأتانِ في الصَّباحِ الباكِرِ إلى القبرِ لزيارتِه وتقديمِ الاحترامِ لَه. وفجأةً، حَدَثَ زِلزالٌ عظيمٌ حيثُ نَزَلَ ملاكٌ مِن السَّماءِ ودَحْرَجَ الحَجَرَ الكبير، وَجَلَسَ عليه. وفي الحال، أُغْمِيَ على الحُرَّاس. لكنَّ الملاكَ قالَ للمرأتين:

«لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ هٰهُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ. وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. ... فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ. وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكُمَا. فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ» (مَتَّى ٢٨: ٥–٩).

في تلكَ الأثناء، ذَهَبَ الحُرَّاسُ إلى المدينةِ وأخبروا القادةَ الدينيِّينَ بما حَدَث. فما كانَ مِنَ القادةِ الدينيِّينَ إلاَّ أن دَفَعوا مبلغًا كبيرًا مِنَ المالِ للحُرَّاسِ وقالوا لهم:

«قُولُوا إِنَّ تَلاَمِيذَهُ أَتَوْا لَيْلاً وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نِيَامٌ» (مَتَّى ٢٨: ١٣).

ولكنَّ كذبَهم لم يَنْجَحْ في إخفاءِ الحقيقة. فقد كانَ القبرُ فارغًا!

بموته، دَفَعَ يسوع أُجْرَةَ خطايانا.
بدَفْنِه، ذَهَبَ يسوع إلى حُفرةِ الموتِ.
بقيامته، غَلَبَ يسوع الموت.

وهوَ يقولُ الآن:

«لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ» (رؤيا ١: ١٧–١٨).

ولكُلِّ مَن يُؤمنُ بهذا الخَبَرِ السَّارِ فإنَّ الموتَ ليس سوى بوَّابةٍ تُفْضي إلى مَحْضَرِ المَلِكِ الذي قال:

«إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ» (يوحنَّا ١٤: ١٩).

المشهد ٦٦
رسالةُ الأنبياء

في اليومِ الذي قامَ فيهِ يسوعُ مِن المَوت، ظَهَرَ للعديدِ مِن تلاميذِه: أولاً للمرأتين، ثُمَّ لبُطرسَ، ثُمَّ لتلميذَي عِمواس:

«وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً [نَحْو ١٠ كيلومترات]، اسْمُهَا عِمْوَاسُ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. فَقَالَ لَهُمَا: مَا هذَا الْكَلاَمُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟ فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا، الَّذِي اسْمُهُ كَلْيُوبَاسُ وَقَالَ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ؟ فَقَالَ لَهُمَا: وَمَا هِيَ؟» (لوقا ٢٤: ١٣، ١٥–١٩).

حينئذٍ، أخبرَه الرَّجُلانِ كيفَ أنهم كانوا يَرْجونَ أنْ يكونَ يسوعُ النَّاصريُّ هو المسيَّا الذي سيَهزِمُ الأعداء. ولكنهُ صُلِبَ! والآن، أصبحَ القبرُ فارغًا! لهذا، فقد أصبحَ كلُّ شيءٍ عديمَ المعنى!

«فَقَالَ لَهُمَا [يسوع]: أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ. ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا، وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ. فَأَلْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: امْكُثْ مَعَنَا، لأَنَّهُ نَحْوُ الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ. فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا. فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا، فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا، فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟» (لوقا ٢٤: ٢٥–٣٢).

حينذاك، أسرعَ الرَّجُلانِ في العودةِ إلى أورُشليمَ ليُخبرا التَّلاميذَ أنَّ الربَّ حَيٌّ! فهوَ المُخَلِّصُ الذي وَعدتْ بهِ الأسفارُ المُقدَّسة! وهوَ الحَمَلُ الذي كانَت تَرمزُ إليهِ الذَّبائح! إنه الربُّ!

وأخيرًا، أصبحتْ رسالةُ الأنبياءِ ذاتَ مَغزًى؛

بل ذاتَ مَغزًى رائع!

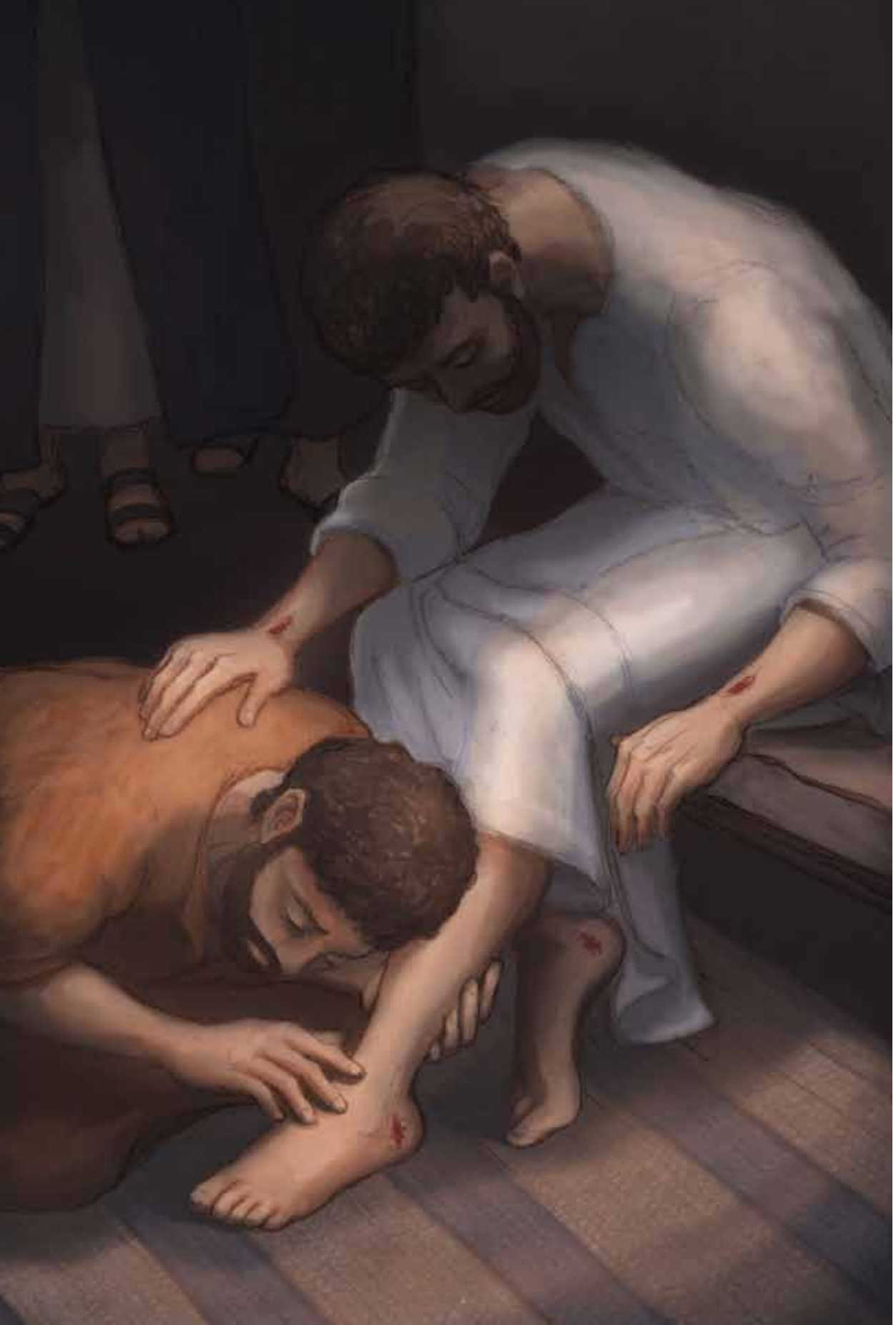

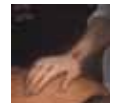

المشهد ٦٧
جَسَدٌ مُخْتَلِف

كانَ الوقتُ مساءَ يومِ الأحد. وكانَ التَّلاميذُ مُجتمعينَ معًا والأبوابُ مُغلَّقة. وفجأةً، ظَهَر يسوعُ في الغُرفةِ وقال:

«سَلاَمٌ لَكُمْ!

وَلَمَّا قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ» (يوحنَّا ٢٠: ١٩–٢٠).

ولكِنْ في ذلكَ المساء، لم يَكُنْ أحدُ التلاميذِ (وهو: «تُوما») حاضرًا. لذلك، فقد سَمِعَ مِنَ التلاميذِ أنهم رأَوا الربَّ! فَقَالَ لَهُمْ:

«إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ. وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلاَمِيذُهُ أَيْضًا دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكُمْ! ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا. أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: رَبِّي وَإِلهِي! قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يوحنَّا ٢٠: ٢٤–٢٩).

وفي الأربعينَ يومًا التي أعْقَبَت ذلك، كانَ الربُّ يَظْهَرُ لأتباعِه ويتَحَدَّثُ إليهم ثُمَّ يَختفي. وقد كانَ جَسَدُ يسوعَ المُقامِ مِن الأمواتِ قادرًا على اختراقِ الجُدرانِ والانتقالِ مِنْ مكانٍ لآخرَ في لَمْحِ البَصَر. ومع أنه كانَ أوَّلَ مَنْ حَصَلَ على جَسَدٍ كهذا، إلاَّ أنه لن يكونَ الأخير:

«وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ ... فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ» (١كورِنثوس ١٥: ٤٩، ٢١–٢٢).

وهكذا، هل تُدركُ أنك خاطئٌ لا حَولَ لك ولا قُوَّة؟ وهل تَعرفُ أنك لا تَملِكُ أيَّ حَقٍّ في التَّواجدِ في مَلكوتِ **الله**؟ فهل تؤمنُ أنَّ الربَّ يسوعَ المسيحِ ماتَ مِن أجلِكَ لكي يَغفرَ لكَ خطاياك، وأنه عادَ إلى الحياةِ هازمًا الموتَ مِن أجلِكَ أنت؟ إذا كانت هذهِ هيَ حالتُكَ، فـ**الله** يقولُ لكَ إنك لم تَعُدْ في آدم. فـ**الله** يَراك كشخصٍ بارٍّ في المسيح. وفي يومٍ مِن الأيَّام، سوفَ تَحصلُ أنتَ أيضًا على جَسَدٍ مُمَجَّدٍ كَجَسَدِ يسوعَ المُقامِ مِنَ الأموات.

ولكنَّه سيكونُ جسدًا خاليًا مِنْ آثارِ المسامير!

المشهد ٦٨
صُعودُ يسوع

لقد استعادَ يسوعُ السُّلطانَ الذي فَقَدَهُ آدمُ أمامَ الشَّيطان. فَقَد أَظْهَرَ يَسوعُ – مِنْ خِلالِ سُلطانِه على إبليسَ، والشياطينِ، والرِّياحِ، وَالأمواجِ، والمَرَضِ، والجوعِ، والخطيَّةِ، والموت – أنه صاحبُ كُلِّ سُلطان. وحَتَّى عندما قامَ القادةُ الدينيُّونَ والجنودُ باعتقالِه، وتعذيبِه، وصلبِه، كانَ هو الذي سَمَحَ لهم بذلك.

لذلك، قالَ الربُّ يسوعُ لتلاميذِه قَبْلَ أن يَصْعَدَ إلى بيتِ أبيهِ السَّماويِّ:

«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ[٢١] بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مَتَّى ٢٨: ١٨–٢٠).

كما أنه قالَ لتلاميذِه:

«وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يوحنَّا ١٣: ٣٤–٣٥).

وبعدَ أربعينَ يومًا مِن قيامتِه، جَمَعَ يسوعُ تلاميذَهُ على جَبَلِ الزَّيتونِ خارجَ أورُشليم. وقد أرادَ التَّلاميذُ أن يعرفوا متى سيَرجع.

فأجابهم يسوع:

«لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ، لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ[٢٢] عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ. وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ. وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ، وَقَالاَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ. حِينَئِذٍ رَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ ...» (أعمال ١: ٧–١٢).

في تلكَ الأثناء، كانَ الوقتُ قد حانَ في السَّماءِ لكي يَتَكَلَّلَ المَلِكُ «بِالمَجْدِ وَالكرامَةِ» (المزمور ٨: ٥؛ عبرانيِّين ٢: ٩).

المشهد ٦٩
الاحتفالُ بالنَّصر

تَخَيَّلْ روعةَ ذلك! الألوانُ، والموسيقى، والدَّهشة! فهناك ملايينُ الملائكةِ الذينَ يُخاطِبونَ بعضُهُم بعضًا قائلين: سوفَ يعودُ المَلِكُ إلى الدِّيار! ولكنَّه سيبدو مُختلِفًا. فالذي خَلَقَ الإنسانَ على صورةِ **الله** سَيَحْمِلُ صورةَ الإنسانِ إلى أبدِ الآبدين!

ثُمَّ يَسودُ الصَّمتُ المدينةَ السَّماويَّة.

وفجأةً، يُمَزِّقُ صوتُ جوقةِ الأبواقِ الصَّمت. ثُمَّ يُسْمَعُ صَوْتٌ هائلٌ يقول:

«ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ [الأبواب] رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ. مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ. ... مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ» (المزمور ٢٤: ٧–٨، ١٠).

حينئذٍ، تُفْتَحُ الأبوابُ على مِصراعيها، ويُسْمَعُ صوتُ تَصفيقٍ في السَّماء. ويَدخُلُ البَطَلُ، الحَمَلُ، ابنُ الإنسانِ الذي يَحملُ آثارَ المعركة – يسوع! وهوَ يسيرُ بينَ الجموعِ إلى عرشِ أبيهِ السَّماويِّ. ثُمَّ يَستديرُ ويَنظُرُ إلى جنسِ آدمَ المَفدي ويَجلس.

لقد تَمَّتِ المَهَمَّة.

وفي وقتٍ لاحقٍ، يُغَنِّي مُواطِنو السَّماءِ هذهِ الترنيمةَ الجديدةَ لملكِهِم المحبوب:

«مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ» (رؤيا ٥: ٩).

ثُمَّ يأتي دَوْرُ الملائكةِ التي تُحيطُ بالعرشِ إذ تُسَبِّحُ **الله** قائلةً:

«مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ ... الْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ ...» (رؤيا ٥: ١٢).

ويَجْدُرُ بنا أن نَعلمَ أنَّ غالبيَّةَ النَّاسِ على أرضِنا اليوم، ما زالوا أسرى في مملكةِ إبليسَ المحكومِ عليها بالدَّينونةِ لأنها مَملكةُ خطيَّةٍ وموت. ولكنَّ الحُريَّةَ مُتاحة. فالربُّ يسوعُ انتصَرَ في المعركةِ الفاصلةِ مِن خِلالِ موتِه، ودَفْنِه، وقيامتِه. وهوَ يقولُ لجميعِ الذينَ يُؤمنون به:

«لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، ... وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. ... أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يوحنَّا ١٤: ١–٣، ٦).

المشهد ٧٠
المَلِكُ يَعودُ ثانيةً

في أحدِ الأيام، بينما يكونُ العالمُ مُنشغلاً بأعمالِه الاعتياديَّةِ وديانَاتِه الباطلة، سوفَ يَعودُ مَلِكُ المجدِ إلى الأرض. ولكنَّه لن يعودَ على جَحْشٍ وَضيعٍ، ولن يَسْخَرَ منهُ أحدٌ، ولن يُتَوَّجَ بالشَّوك.

وقد أَعطى المَلِكُ المُقامُ مِنَ الأمواتِ إلى الرَّسولِ يوحنَّا نَظرةً عامَّةً حَوْلَ ذلكَ اليوم:

«ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ، ... وَيُدْعَى اسْمُهُ كَلِمَةَ الله. وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لاَبِسِينَ بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا. ... وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ».

وعندما يَعودُ المَلِكُ سَوفَ يُدَوِّي صَوتٌ مِن السَّماء:

«قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤيا ١١: ١٥).

وسوف يَذوبُ أعداءُ المَلِكِ أمامَه. حينئذٍ، سوفَ يُقَيِّدُ الشَّيطانَ ويُبَيِّنُ للعالمِ مَاهِيَّةَ الحُكْمِ العادِل. وسوفَ تكونُ تِلكَ هيَ آخرَ لحظاتِ الأرض:

«وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ» (زكريَّا ١٤:٩).

وهكذا، في يومِ الدَّينونة، سوفَ يكونُ الربُّ يسوعُ هو الدَّيَّانُ (القاضي):

«وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ. نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ [عَشَرَاتُ الأُلوف] وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ» (دانيال ٧: ٩–١٠).

وسوفَ يُطْرَحُ الشَّيطانُ ومملكةُ الظُّلمةِ خاصَّتُه «فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ» (رؤيا ٢٠: ١٠). **وأخيرًا، سوفَ يُسْحَقُ رأسُ الحيَّة. أمَّا مُواطِنو مَملكةِ النُّورِ فسوفَ يَصْنَعُ الله لهم**

«سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً ... وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَالله نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ الله كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ» (رؤيا ٢١: ١، ٣–٤).

وأخيرًا، سوفَ تُجابُ صَلاةُ جميعِ الذينَ يُحِبُّون مَلِكَهُم:

«لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ» (مَتَّى ٦: ١٠).

فهل هذهِ هيَ صلاتُك؟ وهل سَجَدْتَ لِمَلِكِ المَجْد؟

وهل هوَ مَلِكٌ على عَرْشِ قَلبِكَ وحياتِك؟

المشهد الختامي

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي
فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ»

يسوع، مَلِك المَجْد (يوحنَّا ٥: ٢٤)

«كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ ... وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ
فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ»

(إنجيل يوحنَّا ١: ١٠، ١٢)

الرِّسالةُ المُستخلَصةُ مِنَ القِصَّة ١٠

الحياةُ السَّعيدة

النَّاسُ مِن جميعِ الأعمارِ يُحِبُّونَ القصصَ الخياليَّةَ التي تَتَحَدَّثُ عن علاقاتِ الحُبِّ ومغامراتِ الإنقاذ – ولا سيَّما تلكَ القصصُ التي تنتهي نهاياتٍ سعيدة. والنَّاسُ يَسردونَ مِثْلَ هذهِ القصصِ لأنَّ **الله** وَضَعَ في قلبِ الإنسانِ شوقًا للتحرُّرِ مِن الشرِّ والعيشِ بسعادةٍ أبديَّةٍ في ما بعد. ولكنَّ قصَّةَ مَلِكِ المجدِ ليست قصَّةً خياليَّة.

فالقصَّةُ الخياليَّةُ لا يكتبُها أربعونَ نَبيًّا على مدى أكثر من ١٥٠٠ سنة؛ ولكنَّ كتابَ **الله** كُتِبَ هكذا. والقصةُ الخياليَّةُ لا تُعَزِّزُها مئاتُ النُّبوءاتِ والاكتشافاتِ الأثريَّة؛ ولكنَّ قِصَّةَ **الله** مُدَعَّمةٌ بمئاتِ النُّبوءاتِ والاكتشافاتِ الأثريَّة.

والبَطَلُ الخارقُ الخياليُّ ليسَ هوَ نُقْطةُ التَّحَوُّلِ في التَّاريخ؛ ولكنَّ يسوعَ هوَ نُقطةُ التَّحَوُّل. والقصصُ الخياليَّةُ تبقى عاجزةً عن إزالةِ الخطيَّةِ والعارِ مِن حياتِنا، وعاجزةً عن تقريبِنا مِنَ **الله** وعن إعطائِنا قلبًا جديدًا مليئًا بمحبَّةِ **الله** وبالفرحِ والسَّلام؛ ولكنَّ يسوعَ قادرٌ على فِعْلِ ذلك.

مِن خلالِ تَتْميمِ يسوعَ لما جاءَ في الأسفارِ النَّبويَّة، فقد مَكَّنَ نَسْلَ آدمَ مِنَ العيشِ إلى الأبدِ معَ خالِقِهم ومَلِكِهم. ولكنَّ العيشَ في ملكوتِ **الله** لن يكونَ مُتاحًا للجميع.

كما أنَّ **الله** أَوْضَحَ قانونَه الوحيدَ لآدمَ بشأنِ العيشِ في الجنَّةِ الأرضيَّة، فقد أَوْضَحَ أيضًا قانونَه الوحيدَ لنسلِ آدمَ بشأنِ العيشِ في المدينةِ السَّماويَّة:

«وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ» (يوحنَّا ٢١: ٢٧).

سِفْرُ حياةِ الخروفِ هوَ السِّجِلُّ السَّماويُّ الذي يحتوي على أسماءِ جميعِ الأشخاصِ الذينَ اتَّكلوا على طريقِ **الله** للخلاصِ مُنذُ زَمَنِ آدمَ فصاعدًا. فمَلِكُ المَجْدِ لن يُرغمَك أنتَ أو عائلتَكَ على الإيمانِ بهِ وبما فعلَه لتخليصِكَ مِنَ الشَّيطانِ، والخطيَّةِ، والموتِ، والجحيم.

لذلك، لن يكونَ هناكَ أشخاصٌ في ملكوتِه جاؤوا رغمَ إرادتِهم. ولكِنْ لأنَّ المَلِكَ لا يُريدُ لأيِّ شخصٍ أن يَهلِكَ، فهو يَخْتِمُ كتابَه بدَعْوَةٍ وتَحذيرٍ ووَعْدٍ:

«مَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا. لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هذَا، يَزِيدُ **الله** عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هذِهِ النُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ **الله** نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هذَا الْكِتَابِ. يَقُولُ الشَّاهِدُ بِهذَا: نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا. آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤيا ٢٢: ١٧–٢٠).

بعدَ أن أخطأَ آدم، ما الذي قالَهُ **لله** عندما جاءَ إلى الجَنَّة وناداه؟ لقد أجابَ آدمُ بِخَجَلٍ شَديدٍ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ» (تكوين ٣: ١٠).

أمَّا الآنَ، كيفَ يتجاوبُ بعضُ نَسْلِ آدمَ بشأنِ وَعْدِ **الله** بأنه سيجيءُ إلى الأرضِ مِن أجلِهم؟ إنهم يُجيبونَ بفَرَح:

«آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤيا ٢٢: ٢٠).

لَكِنْ ما الذي أَحْدَثَ هذا التَّغيير؟ ولماذا لم يَعُد بعضُ النَّاسِ يَخافونَ مِنَ الوقوفِ أمامَ دَيَّانِ الأرض؟ ولماذا هُم يَتَرَقَّبونَ مُلاقاةَ المَلِكِ وجهًا لوجه؟

السَّببُ في ذلكَ هوَ أنهم يُصَدِّقونَ قِصَّتَه ورسالتَه.

وقد كَتَبَ النبيُّ إشعياء:

«مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ ... كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعياء ٥٣: ١، ٦).

وقد لَخَّصَ النبيُّ إشعياءُ قِصَّةَ المَلِكِ ورسالتِه في ثلاثِ جُمَل:

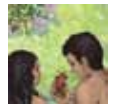

١. نَحْنُ نُعاني مِن مُشكلة:
«مِلْنا كُلُّ وَاحِدٍ إلى طَرِيقِهِ».

٢. اللهُ لديهِ الحَلُّ:
«وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ [على ابنه] إِثْمَ جَمِيعِنَا».

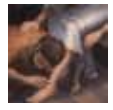

٣. نَحْنُ أمامَ خَيارَيْن:
«مَنْ صَدَّق خَبَرَنا؟»

فهَلْ تُصَدِّقُ المَلِك؟

«إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ **الله** أَعْظَمُ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ شَهَادَةُ **الله** الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا عَنِ ابْنِهِ. ... مَنْ لاَ يُصَدِّقُ **الله**، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا **الله** عَنِ ابْنِهِ. وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ **الله** أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ **الله** فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ. كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ **الله**، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِاسْمِ ابْنِ **الله**» (١يوحنَّا ٥: ٩–١٣).

أجل، يُمكنُكَ أنْ تَعْلَم. فـ**الله** لا يَتْرُكُكَ تُخَمِّنُ في موضوعٍ مُهِمٍّ كهذا.

فَهل أدركتَ ظَهْرَكَ لديانات البَشَرِ وآمنتَ بشهادةِ **الله**؟ إذا كُنتَ قد فَعَلْتَ ذلكَ فسوفَ تَقضي الأبديَّةَ معَ المَلِك ... بسعادةٍ وهناء!

الخَبَرُ المُحْزِن

كما قرأنا في بدايةِ كتابِ **الله**، فإنَّ مَلِكَ الكونِ خَلَقَ الإنسانَ على صُورتِه ومِثالِه. كما أنه خَلَقَ البَشَرَ لِتَمْجيدِه. وسوفَ يكونُ النَّاسُ كَنْزَهُ الثَّمين، وأصدقاءَه المُقَرَّبين، ومُواطنينَ أتْقياءَ في مَملكةِ النُّورِ خاصَّته. ولكِنْ في بدايةِ الأمر، لا بُدَّ مِن خُضوعِ الإنسانِ للاختبار.

أخْضَعَ **اللهُ** آدمَ لاختبارٍ صغيرٍ يَنطوي على عواقبَ وَخيمة. فقد أخبرَه **اللهُ** بأنه يستطيعُ أن يأكلَ مِنْ جميعِ أشجارِ الجنَّةِ باستثناءِ شجرةٍ واحدة. وما الذي سيَحْدُثُ لآدمَ في حالِ عدمِ التزامِه بهذهِ الوصيَّة؟

هل قالَ **اللهُ** لآدمَ إنه ينبغي لهُ أنْ يبدأَ بتلاوةِ الصَّلواتِ، أو الصَّوم، أو القيامِ بما يكفي مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ لموازنةِ أعمالِه السَّيِّئة؟ لا، بل قالَ له: «لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٧).

ونحنُ نَعرفُ ما حدث. فالإنسانُ اختارَ أن يَعصيَ خالِقَه ومَلِكَهُ. فقد أخطأَ آدمُ وحوَّاء. ولكِنْ هل سَقَطا صَريعَيْنِ في نفسِ ذلكَ اليوم؟ لا. إذًا، ما الذي قَصَدَهُ **اللهُ** عندما قال: «لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»؟

وما هوَ معنى الموتِ بحسبِ تعليمِ الكتابِ المُقدَّس؟

انظُرْ إلى الصُّورة. ما الذي يَحْدُثُ بالغُصن؟ وما الذي سيَحْدُثُ له بعد قَطْعِه مِن الشَّجرة؟ هل سيعيش؟ أم سيموت؟

قد يبدو الغُصنُ حَيًّا لبعضِ الوقت، ولكنَّه سيذبلُ ويموتُ في النهايةِ لأنه انفصَلَ عن مَصْدَرِ حياتِه.

وهكذا، فالموتُ يعني الانفصال. وهذا هو الخبرُ المُحْزِن.

عندما اختارَ آدمُ وحوَّاءُ أن يَفعلا مَا يَحْلو لهما بدلاً مِن تَتْميمِ مَشيئةِ **الله**، خَسِرا علاقتَهما معَ **اللهِ** وأصبحا مُنفصلَينِ عنهُ كما هوَ حالُ الغُصنِ المقطوعِ مِنْ شَجرة. وبهذا، أصبحت علاقتهُما بـ**الله** مَيِّتة. فَهُمْا لم يعودا راغِبَيْنِ في أن يكونا معه. لذلك اختبأا. وهذا يعني أنهما أصبحا مَيِّتينِ رُوحيًّا:

«آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ» (إشعياء ٥٩: ٢).

كذلكَ، فقد بدأَ آدمُ وحوَّاءُ باختبارِ الموتِ الجسديِّ أيضًا. لكِنْ كما أنَّ الأوراقَ المُتساقطةَ مِنَ الشجرةِ لا تَجِفُّ وتموتُ على الفور، فإنَّ جَسَدَيْهما لم يرجعا إلى التُّرابِ في نفسِ اليومِ الذي أخطأا فيه. ولكنَّ عمليَّةَ الهَرَمِ والشَّيخوخةِ كانت قد بدأت فورًا. وقد كان الموت عَدُوًّا لا مَفَرَّ منه.

ولكنَّ الخبرَ السيِّئَ ازدادَ سُوءًا. فما لم يُوَفِّرِ **اللهُ** الحَلَّ لمُشكلتِهما، فسوفَ يُعانيان الانفصالَ الأبديَّ عنه في «النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (مَتَّى ٢٥: ٤١).

وهناكَ أُناسٌ يَهزأونَ بفكرةِ الجحيم (بُحيرةُ النَّارِ التي ستُحْتَجزُ فيها الأرواحُ المُنَجَّسةُ بالخطيَّةِ إلى أبدِ الآبدين). ولكِنْ هل مِنَ الحكمةِ أن نَستهزئَ بشيءٍ لا نَعرفُه حَقَّ المعرفة؟ فكبَشَر، لا يُمكنُنا أن نَستوعبَ فكرةَ الأبديَّة. فهو بُعْدٌ آخر.[٨] كذلك، فإنَّ النَّاسَ سَخِروا مِن النبيِّ نوحٍ عندما كانَ يَبني الفُلْكَ وعندما حَذَّرهُم مِنَ الطُّوفانِ الآتي. ولكِنْ ما إنْ أُغْلِقَ بابُ الفُلْكِ وجاءَ الطُّوفان، حَتَّى أدركوا أنَّ ما سَخِروا منه كانَ حقيقة. وبطريقةٍ مُشابهةٍ، عندما يَدخُلُ النَّاسُ الجحيم، سوفَ يُدركونَ أنها حقيقةٌ مؤكَّدة.

«سيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ»(٢تسالونيكي ١: ٩).

فاللهُ لن يَسْمَحَ للخطيَّةِ بأن تُلَوِّثَ كَوْنَهُ إلى الأبد.

والخطيَّةُ هيَ أقوى قُوَّةٍ مُدَمِّرةٍ وأكبرُ كارثةٍ على كوكبِ الأرض. فهيَ أصْلُ كُلِّ الشُّرور.

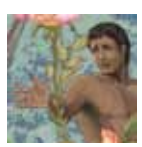

فكما هيَ حالُ المَرَضِ المُعْدي، فقد أثَّرت خطيَّةُ آدمَ على جَميعِ البشرِ دونَ استثناء. وكما أنَّ كُلَّ غُصْنٍ مكسورٍ يموتُ هو وأوراقُه، فإننا جميعُنا قد تأثَّرنا بخطيئةِ آدم. فنحنُ جُزءٌ مِن غُصنِ آدم.

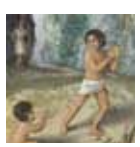

وعندما أخطأَ آدم، دَخَلَتِ الخطيَّةُ إلى العالم. وخطيَّةُ آدمَ جَلَبَتِ الموت. والموتُ انتشرَ بينَ جميعِ النَّاسِ إذِ الجميعُ أخطأوا (رومية ٥: ١٢).

وفي زَمَنِ النبيِّ مُوسى، كانت لدى النَّاسِ نفسُ الفكرةِ المغلوطةِ التي لدى النَّاسِ اليوم. فقد كانوا يأملونَ أنهم إذا قاموا بأعمالٍ صَالحةٍ تَفوقُ الأعمالَ السيِّئة، فسوفَ يُظْهِرُ **اللهُ** رحمةً مِن نحوهِم في يومِ الدَّينونة.

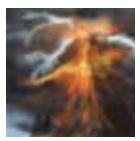

ولتصحيحِ فكرِهِمِ الخاطئ، نَزَلَ **اللهُ** على جَبَلِ سيناءَ بنارٍ مُحْرِقَةٍ وأعطى النَّاسَ الوصايا العشْرَ ليُطيعوها. وكُلُّ مَن لا يُنَفِّذُ جميعَ الوصايا العشْرَ بحذافيرِها يُعتَبَرُ مُذنبًا ويستحقُ الموت.

إنَّ الوصايا العَشْرَ مِثْلَ المرآة. فإذا كانَ وَجْهُكَ مُتَّسِخًا، فالمرآةُ تُساعدُكَ أن تَرى القذارة، لكنها لا تستطيعُ أن تُزيلَها. كذلك، فإنَّ الوصايا العَشْرَ لم تُعْطَ لِتَجْعَلَنا في علاقةٍ صحيحةٍ معَ **الله**، بل لتُرينَا أنَّنا خُطاةٌ ومُذنبونَ أمامَ **اللهِ** القُدُّوس، وبأنَّنا لا نَستحقُّ أن نَعيشَ في مَملكةِ البرِّ خاصَّته. فنحنُ خُطاةٌ لا حَوْلَ لنا ولا قُوَّة. ونحنُ بحاجةٍ لمُخلِّصٍ كامل.

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ **اللهِ**» (رومية ٣: ٢٣).

والخبرُ السَّيِّئُ والمُحزِنُ هو أننا لن نَصِلَ يومًا إلى مَعاييرِ **اللهِ** الكاملةِ للصَّلاح. أمَّا الخَبَرُ السَّارُ والمُفرحُ فهو أنَّ هناكَ شخصًا واحدًا في التَّاريخِ تَمَّمَ هذه المعايير، وهو: يسوع!

الخبرُ المُفرِح

الله كاملٌ في عدالتِه ورَحمتِه. والعدالةُ تَعني أنَّ العقوبةَ الكاملةَ للنَّاموسِ قد صَدَرَت على خطيئتي. أمَّا الرَّحمةُ فتعني أنَّ عقوبةَ النَّاموسِ لم تُطَبَّقْ عليَّ.

ولكِنْ كيفَ يُمكِنُ **لله** أن يُعاقبَ خطيئتَنا دُوْنَ أن يُعاقبَنا نحن؟

إنَّ الجوابَ يَكْمُنُ في الربِّ يسوعَ المسيحِ الذي جاءَ لِنَجْدَتِنا.

في أزمنةِ العهدِ القديم (قَبْلَ أن يأتيَ يسوع)، وضعَ **الله** قانونَ ذبيحةِ الخطيَّةِ لإنقاذِ الخُطاةِ مِن ناموسِ الخَطيَّةِ والموت. وكان **الله** يَقبلُ دَمَ بعضِ الحيواناتِ البريئةِ ككفَّارةٍ عنِ الخطيَّة. وبهذهِ الطَّريقة، فقد كانَ يُعاقبُ الخطيَّةَ دونَ أن يُعاقبَ الخُطاة.

لَكِنْ هل الحَمَلُ بَديلٌ مُناسبٌ عنِ الإنسان؟ لا! فدماءُ الحيواناتِ هي مُجَرَّدُ رَمْزٍ يُشيرُ إلى ما تَقتضيه العدالة.

إذًا، ما هوَ نوعُ الدم اللازِم للتَّكفيرِ عن أُجرةِ خطيَّةِ كُلِّ العالم؟ المطلوبُ هوَ دمُ إنسانٍ كاملٍ وغيرِ محدود. لهذا، فقد أصبحَ الخَالقُ–الكَلِمَةُ هو نفسُهُ ذلكَ الإنسان:

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ **الله**، وَكَانَ الْكَلِمَةُ **الله**. ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنَّا ١: ١، ١٤).

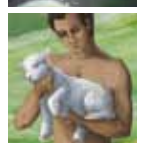

لقد كانَ دمُ الحمْلانِ كافيًا لتغطيةِ الخطيئةِ فقط. أمَّا يسوعُ فهو «حَمَل **الله** الذي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ» (يوحنَّا ١: ٢٩).

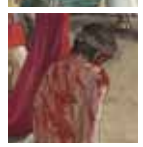

أَتَذْكُرُ هابيل؟ لقد وَضَعَ **الله** خطايا هابيلَ على الحَمَل. وكان الحَمَلُ هو حامِلُ الخطيَّةِ المُؤقَّتِ عن هابيل. أمَّا يسوع، فهو حامِلُ الخطيَّةِ الدَّائمُ عَنَّا ومِن أجلِنا. فقد وَضَعَ **الله** جميعَ خطايانا عليه.

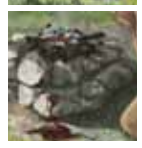

كانَ الحَمَلُ (الذي ذُبِحَ وأُحْرِقَ إلى أنْ صار رمادًا بدلاً مِن هابيل) رَمزًا ليسوعَ الذي دَفَعَ أُجرةَ الخطيَّةِ الكاملةَ عن خطايانا. لهذا، فقد صَرَخَ يسوعُ مُنتصرًا قَبْلَ أن يموت: «قَدْ أُكْمِل» (يوحنَّا ١٩: ٣٠).

فقد تَحَقَّقَتِ العدالةُ وأصبحَتِ الرَّحمةُ مُتاحَةً.

وهذا الخَبَرُ السَّارُّ وَالمُفرحُ هو الذي يُخَلِّصُكَ إذا آمَنتَ إيمانًا حقيقيًّا بأنَّ «الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (١كورنثوس ١٥: ٢–٤).

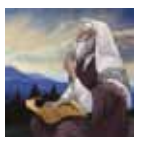

فَكِّرْ في إبراهيمَ وابنِه. لماذا أرسلَهما **الله** إلى جَبَلٍ بَعيدٍ مُحَدَّدٍ لتقديمِ الذَّبيحة؟

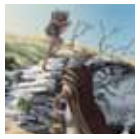

كانَ **الله** يُشيرُ إلى المَكانِ الذي سيَموتُ فيه ابنُه الحَبيبُ عن خطايا العالم.

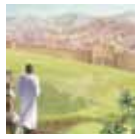

ولماذا سَمَّى إبراهيمُ الجَبَلَ «الربُّ يُدَبِّر»؟ لأنهُ على ذلكَ الجَبَل، كانَ **الله** سيُدَبِّرُ الذَّبيحةَ الكاملةَ والأخيرة.

وما الذي دَبَّرهُ **الله** بديلاً عن ابنِ إبراهيم؟ كَبْشًا. وما الذي دَبَّرهُ **الله** لتخليصِكَ مِن الدَّينونة؟ يسوعَ، حَمَلَ **الله**.

هل تَخافُ الموتَ والدَّينونة؟ إذا قَبِلْتَ يسوعَ مُخَلِّصًا لحياتِكَ فلن تَشْعُرَ بالخوفِ لأنَّ **الله** قَبِلَ ذَبيحَتَه الكاملةَ عن خطاياكَ وأقامه ثانيةً إلى الحياة.

والآن، فَكِّرْ مَرَّةً أُخرى في آدمَ وحوَّاء. فخطَّيئتُهما وعارُهما جَعَلاهما يُغَطِّيانِ عَوْرَتَيْهِما بأوراقِ التِّينِ ويُريدانِ أن يَختبئا مِنَ **الله**. ولكِنْ بِفَضْلِ عدالةِ **الله** ورَحْمَتِه، فقد كَشَفَ **الله** خَطيئَتَهُما وكَساهُما بجُلودِ حيواناتٍ بَريئَةٍ ذُبِحَت لتِلْك الغاية. وكانَ دَمُ الحيواناتِ المسفوكُ رَمزًا لما هو مَطلوبٌ لتغطيةِ خطيئتِهما. أمَّا جُلودُ الحيواناتِ فكانت رمزًا لما هو مَطلوبٌ لتغطيةِ عارِهما (أو عَوْرَتَيْهِما).

ونحنُ نَشْتَرِكُ مَع أبوَيْنا الأوَّلينِ في الخطيَّةِ والعار. فنحنُ جميعًا بعيدينَ عن برِّ **الله**. كما أنَّنا لا نَصْلُحُ للعيشِ معه. ولكِنَّ الخَبَرَ السَّارَّ هوَ أنَّ يسوعَ أَخَذَ خطيئَتَنا وعارَنا بِموتِه بَدلاً عنَّا على الصَّليب. وفي تلكَ السَّاعاتِ الحالِكَةِ الظَّلام، اخْتَبَرَ يسوعُ الانفصالَ الذي نَسْتَحِقُّه نحنُ عنِ **الله**، ثُمَّ مات. ولكِنْ لأنَّهُ بلا خَطِيَّة، فقد عَجِزَ القَبْرُ عن احتجازِه.

وبسببِ موتِ يسوعَ وقيامتِه، فإنَّ **الله** يَعْرِضُ عليكَ أن يُطَهِّرَكَ وأن يَكْسوَكَ بِبِرِّهِ (أيْ أنْ يَسْتَبْدِلَ خطاياكَ بِبِرِّهِ):

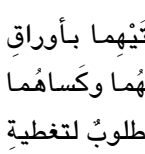

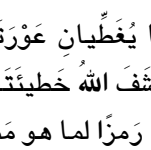

«وَقَدْ صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجِسٍ، وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا، وَقَدْ ذَبُلْنَا كَوَرَقَةٍ، وَآثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا» (إشعياء ٦٤: ٦).

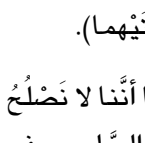

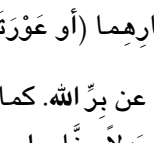

«فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ» (إشعياء ٦١: ١٠).

«لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ **الله** فِيهِ» (٢كورنثوس ٥: ٢١).

إذًا، ما الذي سيَحدُثُ لكَ في يومِ الدَّينونة: هل سَتَقِفُ أمامَ **الله** في ثيابِ أعمالِكَ وجهودِكَ الدينيَّةِ الشخصيَّة؟

أَمْ أنَّكَ ستقفُ أمامَه وأنتَ تَكْتَسي بِبِرِّ المسيحِ الطَّاهر؟

الرِّسالةُ المُستخلصةُ مِن القِصَّةِ ٤٠

تَجاوُبُكَ مَع المَلِك

تَـخَيَّلْ نفسَكَ تَمشي في غابةٍ منفردًا. هل تُفَضِّلُ أن تَلتقيَ بخروفٍ أَم بَأسَدٍ؟

لقد جاءَ مَلِكُ المَجْدِ في المرَّةِ الأولى كَخَروفٍ. فقد جاءَ بتواضُعٍ لكي يُخَلِّصَ الخُطاة. ولَكِنْ عندما يَرجعُ المَلِكُ فسوفَ يُدْعى «الأسد» لأنه سيأتي بجلالٍ ليُدينَ الخُطاةَ الذينَ لم يَتوبوا.

وعندما يأتي يسوعُ، هل ستَبتهجُ في مَحْضَرِ مُخَلِّصِكَ ومَلِكِك، أَم أنَّكَ ستَرتعدُ أمامَ دَيَّانِكَ ومَلِكِك؟ إنَّ الأمرَ كُلَّه يَعتمدُ على تجاوبِكَ معَ رسالةِ **الله**.

عندما بدأَ يسوعُ بالتَّرحالِ والتَّعليم، كانت بعضُ الكلماتِ الأولى التي نَطَق بها هي:

«قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ **اللهِ**، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ» (مَرْقُس ١: ١٥).

والتَّوبةُ تعني تَغييرَ الفِكْرِ بشأنِ ما تُؤمنُ بأنه يُعطيكَ الحقَّ في العيشِ في مَلكوتِ **الله**. وهي تَعني أيضًا أن تَتوقَّفَ عنِ الثِّقةِ بطُرُقِك، وأن تبدأَ بالاتِّكالِ على طريقِ **اللهِ** والسَّيرِ فيه.

والإيمانُ بالإنجيلِ يَعني أن تُؤمِنَ بالمُخلِّصِ الذي ماتَ عن خطاياك وقامَ ثانيةً ليُعطيكَ حياةً جديدةً.

ولكِنْ ما معنى الإيمانِ بشخصٍ ما؟

سوفَ أُوَضِّحُ ذلكَ بقصَّةٍ حقيقيَّةٍ مِن غربِ إفريقيا، وهيَ عن سيِّدتينِ الأولى اسمُها «فاتو» والثَّانيةُ اسمُها «بينتو»:

أُصيبت كِلا السيِّدتينِ بالتهابٍ في العينين. ذهبت «فاتو» إلى المُستشفى فأعطاها الطَّبيبُ قطرةً مُطَهِّرةً للعين فشُفِيَت عيناها. أمَّا «بينتو» فذهبت إلى مُعالجٍ شَعبيٍّ فوضعَ دواءً في عينيها. وبعدَ قليل، تَحَوَّلت عيناها إلى اللَّونِ الأبيضِ وأُصيبت بالعمى.

وهكذا، فقد كانَ لدى السيِّدتينِ إيمان. وقد عَمِلَت كُلٌّ منهما على أساسِ إيمانِها عن طريقِ الذَّهابِ إلى المُعالِجِ الذي تَثِقُ به. ولكنَّ النتيجةَ كانت مُختلفةً تمامًا.

وعندما يَتعلَّقُ الأمرُ بالأبديَّةِ فإنَّ كُلَّ شخصٍ يَثِقُ بشَيءٍ ما، أو شخصٍ ما، أو إلهٍ ما. والبعضُ يُعَلِّقونَ آمالَهم على ديانةِ آبائِهم وأجدادِهم. والبعضُ يُؤمنُ بأنَّ الحياةَ تَنتهي عندَ القبر. والبعضُ يُؤمنونَ بأفكارِهم الخاصَّةِ بشأنِ الحياةِ والموتِ والأبديَّة. وفي النهاية، يبقى هُناكَ سؤالٌ واحدٌ مُهِمٌّ: هل اخْتَرْتَ الحَقَّ؟

فيما يَتعلَّقُ بي، فقد صَنَعْتُ قراري. فأنا أثقُ بالمَلِكِ الذي قال:

«كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (يوحنَّا ١٨: ٣٧).

لهذا، فهو الإلهُ الذي أريدُ أن أحيا معه إلى أبدِ الآبدين. فهو «الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلاطيَّة ٢: ٢٠).

إنه ليسَ مَلِكًا فحسب، بل هو مَلِكي أنا شخصيًّا!

لقد خَلَقَ **اللهُ** الرَّجُلَ الأوَّلَ لكي يَعكسَ مَجْدَهُ. ولكنَّ تلكَ الصُّورةِ تَلَطَّخت بالخطيَّة. ولكنَّ يسوعَ المسيحَ «صُورَةُ **اللهِ** غَيْرِ الْمَنْظُورِ» (كولوسي ١: ١٥) جاء لكي يُعطيَكَ حياةً جديدةً ولكي يَستعيدَ صورةَ **اللهِ** فيك.

فإذا كُنتَ قد آمَنْتَ بيسوع المسيحِ مَلِكِ المجدِ، فأنتَ لم تَعُدْ في آدم (في نَظَر **الله**)، بل أنتَ في المسيح. فأنتَ مُواطنٌ مَحبوبٌ في السَّماءِ وابنٌ مَحبوبٌ **لله**. فأنتَ كَنْزُ **اللهِ** الذي افتداهُ بدمِ ابنِه الحبيب.

وكفَرْدٍ مولودٍ مِن جديدٍ في عائلةِ **الله**، يمكنُكَ أن تدعوَ **اللهَ** أبًا لك. ولكنَّ هذا الامتيازَ العظيمَ يُرافقُه مسؤوليَّاتٌ كبيرةٌ أيضًا:

«كَأَوْلاَدِ الطَّاعَةِ، لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ» (١بطرس ١: ١٤–١٥).

وكتابعٍ للمسيح، فأنتَ مَدعوٌّ لأن تُسامِحَ، وأن تُحِبَّ، وأن تُصَلِّيَ لأجلِ جميعِ النَّاس – بمن فيهم أولئكَ الذينَ يُضْمِرونَ لكَ الكراهيةَ والعَداوة. فقد قالَ يسوعُ:

«بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يوحنَّا ١٣: ٣٥).

وعندما تَخْضَعُ **لله**، فإنَّ رُوحَ الربِّ يسوعَ (الذي سَكَنَ في قلبِكَ عندما آمَنْتَ بالإنجيل) سيُساعدُكَ في التغلُّبِ على الخطيَّةِ وعلى إظْهارِ صِفاتِه المجيدةِ مِن خِلالِ حياتِك:

«وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ» (غلاطيَّة ٥: ٢٢–٢٣).

وكولدٍ مِن أولادِ المَلِك، هناكَ هَدَفٌ جديدٌ لحياتِك: أن تُكْرِمَ **الله**. فأنتَ سَفيرٌ له في هذا العالمِ الهالِك. لذلكَ، يجبُ عليكَ أن تُمَثِّلَهُ أحسنَ تَمثيل. وفي يومٍ ما، سوفَ تَراهُ وجهًا لوجهٍ. وعندَها، سوفَ تُصبحُ مِثلَه (١ يوحنَّا ٣: ٢). وإلى أن يحينَ ذلكَ الوقت، تَحَدَّثْ إليهِ في أيِّ وقتٍ، وَسَبِّحهُ في كُلِّ الأحوالِ والظُّروف، واعبدْهُ، واخدمْهُ معَ المؤمنينَ الآخرينِ الذينَ يُحِبُّونَهُ ويُحِبُّونَ كلمتَه، وادرسِ الكتابَ المُقدَّسَ كلَّ يوم (ابدأ بإنجيلِ لوقا، ثُمَّ إنجيلِ يوحنَّا، ثُمَّ أعمالِ الرُّسُل، ثُمَّ رسالةِ رومية). والرُّوحُ القُدُسُ هو الَّذي سيُعلِّمُكَ. كما أنَّ الكتابَ المُقدَّسَ هو طعامُكَ الروحيُّ وهو سلاحُكَ في مواجهةِ الشَّيطانِ الذي لا يُريدُكَ أن تُفَكِّرَ كيسوعَ، ولا أن تَتَحَدَّثَ كيسوعَ، ولا أن تَتَصرَّفَ كيسوع! وكُلَّما أطَلْتَ التأمُّلَ في الكتابِ المُقدَّس، زادت قُوَّتُكَ الروحيَّة.

وكم أُحِبُّ هذهِ الصُّورةَ الحيَّةَ في سِفرِ المزامير:

«كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا **اللهُ**» (المزمور ٤٢: ١).

فهل يُمكنُكَ أن تَنطِقَ بهذهِ الكلمات؟

القرارُ يرجعُ لكَ وحدَك!

پول د. برامسن
resources@rockintl.org

مُلاحقٌ إضافيَّة

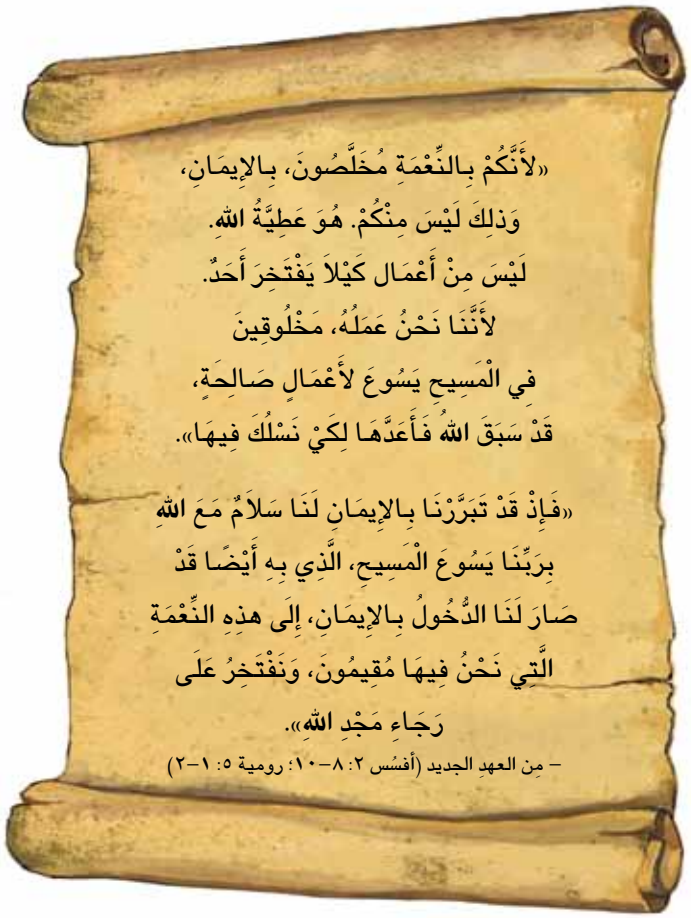

«لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ،
وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ **اللهِ**.
لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.
لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ
فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ،
قَدْ سَبَقَ **اللهُ** فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا».

«فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ **اللهِ**
بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا قَدْ
صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ، إِلَى هذِهِ النِّعْمَةِ
الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ، وَنَفْتَخِرُ عَلَى
رَجَاءِ مَجْدِ **اللهِ**».

– مِن العهدِ الجديد (أفسُس ٢: ٨–١٠؛ رومية ٥: ١–٢)

أسئلةٌ للمُراجعة

القسم ١ • العهدُ القديم

فيما يلي أسئلةٌ تَتعلَّقُ بالمشاهدِ السَّبعينَ التي قرأتَها. أمَّا الإجاباتُ فتجدُها في نَصِّ الكتابِ حَسَبَ كلِّ مشهد. يُمكنُكَ أن تأخذَ نُسَخًا مِن هذهِ الصفحاتِ للمجموعاتِ الدراسيَّة. لمزيدٍ من المعلوماتِ، يُمكنُكَ زيارةُ الموقعِ التالي على شبكةِ الإنترنت: **www.one-god-one-message.com**

رقم المشهد • السُّؤال

١ • سوفَ يَستغرقُ مَلِكُ المجدِ آلافَ السِّنينِ لتنفيذِ خططِه. ما الذي تَفهمُهُ مِن هذا الأمرِ عنِ المَلِك؟

٢ • ما هما الجُزءانِ الرئيسانِ اللذانِ يتألَّفُ منهما الكتابُ المقدَّس؟
وكيفَ يختلفُ الواحدُ منهما عنِ الآخر؟

٣ • هل تؤمنُ بالكلماتِ الأولى منَ الكتابِ المقدَّسِ (تكوين ١: ١)؟ لماذا تؤمنُ أو لا تؤمنُ بها؟

٤ • حَتَّى عندما كانَ **اللهُ** موجودًا لوحدِه، فهو لم يكن بمُفردِه ولا للحظةٍ واحدة.
ما الذي تفهمُهُ مِن هذهِ الجُملة؟

٥ • ما الذي يُمكنُنا أن نَتعلَّمَه عنِ **الله** مِن خلالِ الأشياءِ التي صَنَعَها وقامَ بها؟

٦ • عَدِّدْ بعضَ الاختلافاتِ التي وضعَها **اللهُ** بينَ البشرِ والحيوانات.

٧ • لماذا لم يسألِ **اللهُ** آدمَ إذا كانَ يُريدُ أن يعيشَ في جنَّةِ عَدْن؟

٨ • ما هيَ الخطيَّة؟ وما الذي قالَ **اللهُ** إنَّه سيَحْدُثُ لآدمَ في حالِ عِصيانِه لوصيَّةِ **الله**؟
ما هيَ الكلمةُ الأخرى التي تَصِفُ الموت؟

٩ • لقد خُلِقَتْ حوَّاءُ على صورةِ **اللهِ** (كما هو حالُ آدم). ما معنى هذا؟

١٠ • ما هو الشيءُ الأكثرُ جاذبيَّةً في السَّماء؟

١١ • كيفَ دَخَلَتِ الخطيَّةُ إلى العالم؟

١٢ • ما الذي قالَ **اللهُ** إنَّه سيَحْدُثُ إذا أكلَ الإنسانُ مِن شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشَّر؟
وما الذي قالَ الشَّيطانُ إنَّه سيَحْدُث؟

١٣ • كيفَ دَخَلتِ الخطيَّةُ إلى الجنسِ البشريِّ؟

١٤ • ما هوَ التأثيرُ الأوَّلُ للخطيَّة؟ كيفَ أدَّتْ خطيَّةُ آدمَ وحوَّاءَ إلى استبدالِ الكَرامةِ بالعار؟

١٥ • بأيَّةِ طريقةٍ ماتَ آدمُ وحوَّاءُ في نفسِ اليومِ الذي أخطأا فيه؟
وكيفَ يمكنُنا تشبيهَهُما بالغُصنِ المقطوعِ من شجرةٍ (انظر أيضًا صفحة ١٦٠).

١٦ • عَدِّدْ بعضَ الطُّرقِ التي عَمِلَتْ فيها لعنةُ الخطيَّةِ على إفسادِ الخليقةِ الأصليَّة.

١٧ • في رأيِك، لماذا تَعتقدُ أنَّ خُطَّةَ **اللهِ** السريَّةَ اشتملتْ على مُخَلِّصٍ يأتي مِن نَسْلِ المرأةِ (له أُمٌ بشريَّةٌ، ولكن ليسَ له أبٌ بشريٌّ)؟

١٨ • ما الذي فعلَه **اللهُ** لتغطيةِ خطيَّةِ آدمَ وحوَّاءَ وعارِهما؟
وكيفَ أظهرَ **اللهُ** لهما أنه إلهُ العَدْلِ والرَّحمةِ والنِّعمة؟

١٩ • لماذا طَرَد **اللهُ** آدمَ وحوَّاءَ مِن جَنَّةِ عَدْن؟

٢٠ • كيفَ أثَّرتْ خطيئةُ آدمَ وحوَّاءَ على أبنائِهما؟
وكيفَ تؤثِّرُ خطيئتُهما علينا وعلى عائلاتِنا (انظرْ أيضًا صفحة ١٦١).

٢١ • ما هو نوعُ الحَمَلِ الذي كانَ **اللهُ** يَقبلُ موتَه عوضًا عنِ الخُطاة؟

٢٢ • ما معنى الكَفَّارة؟ ولماذا يَطْلُبُ **اللهُ** أنْ تُدْفَعَ أُجرةُ الموت؟

٢٣ • ماذا فعلَ **اللهُ** بخطيئةِ هابيل؟ وما هو الخطأُ في تَقْدِمَةِ قايين؟

٢٤ • ما معنى أن نتوب؟ وما الذي أرادَ **اللهُ** مِن قايينَ أن يَفعلَه؟ وما الذي فعلَه قايين؟

٢٥ • ما الذي نَتعلَّمُهُ مِنَ الطُّوفانِ العارِمِ الذي حَدَثَ في زَمَنِ نُوحٍ عن صَبْرِ **اللهِ** ودينونتِه؟

٢٦ • ما هو أوَّلُ شيءٍ فَعَلَهُ نوحٌ وعائلتُه بعدَ خروجِهم مِنَ الفُلْكِ (السَّفينة)؟

٢٧ • كَيفَ يَرمزُ بُرجُ بابلَ إلى الدِّياناتِ الزَّائفة؟

٢٨ • ما هما الوَعْدانِ الكبيرانِ اللَّذانِ قَطَعَهُما **اللهُ** لإبراهيمَ في حالِ إطاعتِه له والسَّيرِ معه؟

٢٩ • لماذا غَفَرَ **اللهُ** لإبراهيمَ وسارةَ خطاياهُما وأعلنَ بِرَّهُما؟

٣٠ • ما هوَ السُّؤالُ الذي طَرَحَهُ ابنُ إبراهيمَ على أبيهِ أثناءَ صعودِهما إلى الجَبَلِ لتقديمِ الذَّبيحة؟

٣١ • لقد وَعَدَ **اللهُ** بأن يَجعلَ إسحاقَ أبًا لأُمَّةٍ جديدة. وحيثُ إنَّ إبراهيمَ كانَ يَعلمُ أنَّ **اللهَ** لا يُمكنُ أن يَكذبَ، فما الذي ظَنَّ إبراهيمُ أنَّ **اللهَ** سيَفعلُه بعدَ أن يُقَدِّمَ إسحاقَ ذبيحةً على المَذبَح؟

٣٢ • لماذا سَمَّى إبراهيمُ الجَبَلَ «الربُّ يُدَبِّر»؟ وهل ماتَ الحَمَلُ بدلاً عن ابنِ إبراهيمَ في ذلكَ اليوم؟

٣٣ • كيفَ تَمَّمَ **اللهُ** وَعْدَيْهِ الكَبيرَينِ اللَّذَينِ قَطَعَهُما لإبراهيم؟

٣٤ • إذا حاوَلنا جاهدينَ أن نُطيعَ وصايا **الله**، فهل سنُصبحُ في يومٍ مِن الأيَّامِ صالحينَ ومؤهَّلينَ بما يَكفي للعيشِ معَ **اللهِ** في السَّماء؟
كيفَ تُشبهُ الوصايا العَشْرُ المرآة؟ كيفَ تُرينا الوصايا العَشْرُ أنَّنا بحاجةٍ إلى مُخَلِّص؟

٣٥ • لماذا لم يَكُنْ باستطاعةِ الذبائحِ الحيوانيَّةِ أن تَرفعَ دَيْنَ خَطيَّةِ العالم؟

٣٦ • اخْتَرْ نُبوءةً واحدةً مِنَ الأسفارِ المُقدَّسةِ وبَيِّن كيفَ أنَّها تُشيرُ إلى المُخَلِّصِ الذي كانَ سيأتي.

القسمُ ٢ • العهدُ الجديد

٣٧ • لماذا استَخدمَ **اللهُ** أربعةَ أشخاصٍ (بدلاً مِن شخصٍ واحدٍ) لكتابةِ قصَّةِ الإنجيلِ عن يسوع؟

٣٨ • لماذا قالَ الملاكُ جبرائيلُ عن يسوعَ بأنه ابنُ **الله**؟

٣٩ • ما معنى اسمِ «يسوع»؟

٤٠ • ما هو أكثرُ ما يُعجبُكَ في قصَّةِ ميلادِ يسوع؟

٤١ • قال الملاكُ للرُّعاة: «وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ».
لماذا كانَ الرُّعاةُ مُتشوِّقينَ لسماعِ ذلكَ النَّبأ؟

٤٢ • هل كانَ مِن الصَّوابِ أن يَسْجُدَ المَجوسُ للطِّفلِ يسوع؟ عَلِّلْ إجابتَك.

٤٣ • بأيَّةِ طريقةٍ كانَ يسوعُ مُختلفًا عنِ الأطفالِ الآخرين؟

٤٤ • كيفَ كانت رسالةُ النبيِّ يُوحَنَّا المعمدانُ تَختلفُ عن رسالةِ جميعِ الأنبياءِ الذينَ سَبَقوه؟
في رأيِكَ، لماذا أشارَ يوحنَّا المعمدانُ إلى يسوعَ قائلاً: «هُوَذَا حَمَلُ **اللهِ** الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ»؟

٤٥ • انظُرْ مرَّةً أخرى إلى هذا المشهدِ واذْكُرْ شيئًا تَعرفُه مِنَ الأسفارِ المُقدَّسةِ عن روح **الله**، وعن ابنِ **الله**، وعنِ الآبِ السَّماويِّ.

٤٦ • لماذا أرادَ الشَّيطانُ أن يُوقِعَ يسوعَ في الخطيَّة؟

٤٧ • بعدَ أن قرأَ يسوعُ مِن سِفْرِ النبيِّ إشعياء، قال: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ»
في رأيِكَ، لماذا اهتاجَ النَّاسُ لسماعِ ذلكَ الكلام؟

٤٨ • كيفَ كانَ يسوعُ ذراعَ **اللهِ** على الأرض؟ ولماذا كانتِ الشَّياطينُ تخافُ مِن يسوع؟

٤٩ • بعدَ أن أمَرَ يسوعُ العاصفةَ أن تهدأ، قالَ التَّلاميذ:
«مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!» في رأيِكَ، مَن هو يسوع؟

٥٠ • لماذا اتَّهم القادةُ الدينيُّونَ يَسوعَ بالتَّجديفِ (بالكُفْر)؟

٥١ • قالَ يسوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا».
كيفَ نَعرِفُ أنَّ يسوعَ نَطَقَ بالحَقِّ؟

٥٢ • ماذا قالَ يسوعُ للنَّاسِ الذينَ جاؤوا في اليومِ التَّالي بحثًا عن مزيدٍ مِن الطَّعام؟

٥٣ • راجِعِ المَشْهَدَ واذْكُرْ شيئًا قالَه يسوعُ وأدهشك.

٥٤ • لقد قالَ الأنبياءُ عنِ المسيحِ بأنه «شَمْسُ البِرِّ». وقد دعا يسوعُ نَفسَه «نُوْرَ العالم».
كيفَ يَختلفُ يسوعُ عنِ الأنبياء؟

٥٥ • ماذا ظَنَّ التلاميذُ أنه ينبغي على يسوعَ أن يَفعلَه؟ وما هوَ الشيءُ الذي جاءَ يسوعُ للقيامِ به؟

٥٦ • لماذا دَخَلَ يسوعُ أورُشليمَ وهو راكبٌ على جَحْشٍ وَضيعٍ وليسَ على حِصانٍ حَربيٍّ عَظيم؟

٥٧ • لماذا لم يَتَمَكَّنِ القادةُ الدينيُّونَ مِن خَديعةِ يسوعَ ودَفْعِه إلى قَولِ شيءٍ خاطئ؟

٥٨ • لماذا قالَ رئيسُ الكَهَنةِ ورؤساءُ اليهودِ إنه ينبغي قَتلُ يسوع؟

٥٩ • لماذا حَكَمَ بيلاطُسُ على يسوعَ بالموت؟

٦٠ • وَضَعَ الجُنودُ إكليلاً مِن شوكٍ على رأسِ يسوع. بماذا يُذَكِّرنا الشَّوك؟

٦١ • كيف تَمَّم يسوعُ نُبوءاتِ إبراهيم؟ وما هي قيمتُكَ في نَظَرِ **الله**؟

٦٢ • لقد تَمَّ صَلْبُ لِصَّيْنِ مع يسوع. واليوم، هُناكَ لِصٌّ في الجحيمِ (في انفصالٍ أبديٍّ عنِ **الله**)، وهناكَ لِصٌّ في السَّماءِ (مع **اللهِ** إلى أبدِ الآبدين). ما الذي صَنَعَ هذا الفَرْق؟

٦٣ • عندما كانَ الربُّ يسوعُ مُعَلَّقًا على الصَّليبِ في ساعاتِ الظَّلام، ماذا وَضَعَ **اللهُ** الآبُ عليه؟ ولماذا قالَ يسوعُ «قَدْ أُكْمِل»؟ ولماذا مَزَّقَ **اللهُ** حِجابَ الهَيكل؟

٦٤ • هل تَذَكَّرَ التلاميذُ وَعْدَ يسوعَ بأنه سيقومُ ثانيةً؟ وهل تَذَكَّرَ القادةُ الدينيُّونَ الأشرارُ وَعْدَهُ؟

٦٥ • ما الذي وَجَدَتْهُ المرأتانِ عندما جاءَتا إلى القَبْرِ في فَجْرِ يومِ الأحد؟ وما الذي فَعَلَه القادةُ الدينيُّونَ بشأنِ القبرِ الفارغ؟ إذا كُنتُ أؤمِنُ تمامًا بيسوعَ (حَمَلِ **الله**) الذي ماتَ عن خطاياي وقامَ ثانيةً، فلماذا لا يَجْدُرُ بي أن أخافَ الموت؟

٦٦ • لماذا وَصَفَ الربُّ يسوعُ تلميذَي عِمواسَ بالغَباوة؟

٦٧ • عندما ظَهَرَ المُخَلِّصُ المُقامُ مِن الموتِ في الغُرفةِ، قالَ تُوما له: «رَبِّي وإلهي!» فهل كانَ تُوما مُحِقًّا أَم مُخطئًا في دعوةِ يسوعَ رَبِّي وإلهي؟ لماذا؟

٦٨ • ماذا قالَ يسوعُ لتلاميذِه أن يَفعلوا بعدَ أن يَرجِعَ إلى السَّماء؟

٦٩ • مَن هو مَلِكُ المَجْد؟ وما هو رأيُكَ فيه؟

٧٠ • عندما يَعودُ المَلِكُ، هل ستكونُ فَرِحًا أَم خائفًا؟ لماذا؟

مُلاحظاتٌ خِتاميَّة

وراء الكواليس: [١]في حينِ أنَّ قصَّةَ «أليسَ في بلادِ العجائب» تُرجِمتْ إلى حوالى ٢٠٠ لُغةٍ، فإنَّ الكتابَ المُقدَّسَ (بمُجملِه أو أجزاءٍ منه) تُرجمَ إلى أكثرَ مِن ٢٥٠٠ لُغة.

[٢]الكتابُ المُقدَّسُ يُؤكِّدُه علمُ الآثارِ، والتاريخِ، والنُّبوءاتِ المُتَحَقِّقة، والتَّوافقِ التَّامِ في القصَّةِ المُعَقَّدةِ المكتوبةِ على مدى ألفَي سنةٍ تقريبًا.

المشهد ٢: [٣]المَلِكُ ليسَ هو خالقَ الكونِ وحافظَه فحسب، بل هو أيضًا مُؤلِّفُ كتابِه وحافظُه. وتؤكِّدُ مخطوطاتُ البحرِ الميِّتِ أنَّ أسفارَ العهدِ القديمِ التي بينَ أيدينا اليومَ هي نفسُ الأسفارِ التي كانت موجودةً قَبْلَ زَمَنِ المسيح. كما أنَّ أسفارَ العهدِ الجديدِ تؤكِّدُها آلافُ المخطوطاتِ القديمةِ التي يرجعُ تاريخُها إلى القرونِ الأولى بعدَ المسيح. أمَّا الإدِّعاءُ الذي يقولُ بأنَّ النُّصوصَ الأصليَّةَ قد تَمَّ التَّلاعُبُ بها وتحريفُها، فهو ادِّعاءٌ لا أساسَ له. انظُرْ كتاب: «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ»، الفصل ٣. www.one-god-one-message.com

المشهد ٥: [٤]لإلقاءِ نَظرةٍ أعمقَ على صِفاتِ اللهِ كما تَظْهَرُ في أيَّامِ الخَلْقِ الستَّة، انظرْ كتابَ: «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ»، الفصل ٨.

المشهد ٦: [٥]طالما أنَّ اللهَ واحدٌ، فلماذا يقولُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» (بصيغة الجَمْع)؟ الجوابُ يَكْمُنُ في وَحدانيَّةِ اللهِ الجامِعَة. ففي الكتابِ المُقَدَّسِ العِبريِّ نَرى أنَّ كلمةَ «الله» هي: «إلوهيم» (وهو اسمُ جَمْع). وكلمة «واحد» في عبارةِ «الله واحد» هي «echad» («أحَد»)؛ وهي تُشيرُ إلى وِحْدَةٍ جامِعَة. فمُنذ الأزَل (قَبْلَ خَلْقِ الملائكةِ والإنسان)، كانَ اللهُ يَتَمَتَّعُ بالشَّركةِ مع نفسِه (مع الكلمة/الابن، والرُّوح القُدُس). «هُوَذَا اللهُ عَظِيمٌ وَلاَ نَعْرِفُهُ» (النبيُّ أيُّوب ٣٦: ٢٦).

المشهد ٧: [٦]نفسُ العناصرِ الكيميائيَّةِ التي تُشَكِّلُ الجَسَدَ موجودةٌ جميعُها في تُرابِ الأرضِ الجاف. ولم يَعترفِ العِلْمُ بهذهِ الحقيقةِ إلاَّ مؤخَّرًا. ومعَ أنَّ غالبيَّةَ العُلماءِ يَبنونَ معرفتَهم على المُلاحظةِ والنظريَّاتِ (أفكار البَشَر)، فإنَّ معرفةَ الأشخاصِ الذينَ يؤمنونَ بالكتابِ المقدَّسِ قائمةٌ على الملاحظةِ والإعلانِ (كلمة الله).

المشهد ١١: [٧]لمعرفةِ المزيدِ عن أصلِ الشَّيطان، انظُر كتاب: «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ»، الفصل ١١.

المشهد ١٦: [٨]إذا كانَ يُنظَرُ إلى بُحيرةِ النَّارِ (مكانُ العذابِ الأبديِّ) باعتبارِها شيئًا ظالمًا أو مُنافيًا للعقل، فربما لم نَفهمْ بعدُ قداسةَ اللهِ الكاملة، ولا طبيعةَ الإنسانِ الأبديَّة، ولا سُلْطانَ الخطيَّة، ولا مَفهومَ الأبديَّة. فكلمة «أبديَّة» تَفوقُ طاقاتِنا الذهنيَّةَ لأنَّ إطارَ معرفتِنا هو الزَّمن. أمَّا الأبديَّةُ فهي خارجُ نطاقِ الزَّمن. واللهُ الذي خَلَقَ الزَّمنَ ليس مُقَيَّدًا به (٢بُطرس ٣: ٨–٩). فالأبديَّةُ لا تتألَّفُ مِن سنوات. فَكِّرْ فيها وكأنها زمانٌ حاضرٌ أبديٌّ. وحالما يَدْخُلُ الخُطاةُ ذلك النِّطاقَ الذي لا مَفَرَّ منه، سوفَ يُدركونَ أنه مَنطقيٌّ تمامًا.

المشهد ١٧: [٩]الفِدْية تَعني «يَشتري مَرَّةً أُخرى عن طريقِ دَفعِ الثَّمنِ المطلوب». وفي الفصل ١٨ مِن كتاب: «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ»، يُوَضِّحُ الكاتبُ هذا المفهومَ مِن قصَّةٍ حدثت معه أيَّامَ الطُّفولة:

نشأتُ في فترةِ صِبايَ في كاليفورنيا، وكانت لديَّ كلبةٌ صغيرةٌ أُطعمُها وأعتني بها وألعبُ معها. وكانت تتبعُني وتبتهجُ عندما أعودُ من المدرسة. وأحيانًا، كانتِ الكلبةُ تتنزَّهُ في الحي لبعضِ الوقتِ ثم تعود. وذاتَ يوم، عُدتُ من المدرسةِ ولم تكنِ الكلبةُ هناك. حانَ وقتُ نومي دونَ أن أعثرَ عليها. وفي اليومِ التالي، اقترحَ أبي أن أتّصلَ بمأوى الحيواناتِ الأليفةِ القريبِ الذي يأوي القططَ والكلابَ الضالَّةَ لفترةٍ محدودة. فإنْ لم يُطالبْ بها أحدٌ لفترةٍ ما، كانوا يقتلونها.

اتصلتُ بالمأوى فقالوا لي إنّ لديهم كلبةً بمواصفاتِ كلبتي. كانت كلبتي قد ضَلَّتِ الطريقَ ولم تتمكنْ من العودةِ إلى البيتِ إلى أن عَثَرَتْ عليها دوريةُ الكلابِ الضالَّةِ ووضعتها في ذلك المأوى. وهكذا، أصْبَحَتْ كلبتي محجوزةً في القفصِ وغيرَ قادرةٍ على تخليصِ نفسِها. ولو لم أتّصلْ بهم وأطالبْ بها لكانت ماتَت وانتهت حياتُها.

ذهبتُ إلى المأوى لاستعادةِ كلبتي، لكنَّ المسؤولَ قال لي إنه ينبغي عليَّ أن أدفعَ غرامةً ماليَّةً لاستعادتها. فبموجبِ القانون، لا يجوزُ تركُ الكلابِ في الطرقاتِ وحدَها دونَ مُرافقٍ لها.

وهكذا، فقد دفعتُ «الفِديةَ» المطلوبةَ لإطلاقِ سراحِ كلبتي. وكم كانت فرحتُها حينَ خَرَجَتْ من ذلكَ القفصِ الرهيبِ ورَجعَتْ إلى الشخصِ الذي يهتمُّ بها! لقد تمَّ فداؤُها.

هذه القصةُ التي اختبرتُها في طفولتي تُعطينا لمحةً عن حالتِنا نحنُ البشر. فبصفتِنا خُطاةً مُتمرِّدينَ ومحكومًا علينا بالموت، لم تكنْ هناكَ طريقةٌ يمكنُنا من خلالِها أن نُنقِذَ أنفسَنا بأنفسِنا مِن عقوبةِ خطايانا ومِن ناموسِ الخطيَّةِ والموت.

لذلك، فنحنُ بحاجةٍ لمُخَلِّصٍ يدفعُ ثَمَنَ الفِدية.

المشهد ٢٣: [١٠]مِن المَحتَمَلِ أنَّ اللهَ أظهرَ رِضاهُ عن تَقْدِمَةِ هابيلَ بنفسِ الطَّريقةِ التي استخدمها في أيَّامِ الأنبياءِ مُوسى، وسُليمان، وإيليَّا: «وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ عَلَى الْمَذْبَحِ الْمُحْرَقَةَ وَالشَّحْمَ» (لاويِّين ٩: ٢٤؛ ٢أخبار ٧: ١؛ ١ملوك ١٨: ٣٨).

المشهدان ٣٠ و ٦١: [١١]كلمة «المُريَّا» تَعني: مُختارَ الربِّ. وهي المنطقةُ التي بُنِيَت عليها أورُشليمُ لاحقًا. واليوم، فإنَّ جَبَل المُريَّا هو الموقعُ الذي شُيِّدَ فيه هَيكلُ سُليمانَ ذاتَ يوم (٢أخبار ٣: ١). وفي مكانٍ ليسَ ببعيدٍ في نفسِ السِّلسلةِ الجبليَّةِ يوجَدُ المكانُ الذي يُدعَى الجُمجمة (لوقا ٢٣: ٣٣).

المشهد ٣٦: [١٢]النُّبوءاتُ المُتَحَقِّقةُ تُمَيِّزُ الكتابَ المقدَّسَ عن جميعِ الكُتبِ الأخرى في العالم. فقد كانَ الأنبياءُ يَتَنبَّأونَ بوقوعِ أحداثٍ مُستقبليَّةٍ، وكانت هذهِ التنبُّؤاتُ تَتَحَقَّقُ في التَّاريخ. وهذه هي إحدى الطُّرقِ التي استخدَمها اللهُ لتأكيدِ رسالتِه. فاللهُ هو الوحيدُ الذي هُو «مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ، وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ» (إشعياء ٤٦: ١٠). وقد قال يسوعُ المسيح: «أَقُولُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ» (يوحنَّا ١٣: ١٩). انظُر كتاب: «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ»، الفصل ٥.

المشهد ٤١: [١٣]كلمة «المسيح» هي المُرادِفُ اليونانيُّ للكلمةِ العبريَّةِ «المسيَّا» والتي تَعني: «المُختار».

[١٤]تأريخُ الأحداثِ في التاريخِ يَقومُ على السَّنةِ التي وُلدَ فيها يسوعُ المسيح. فعلى سبيلِ المثال، لقد وُلدَ النبيُّ إبراهيمُ في نحو سنة ٢٠٠٠ قبلَ الميلاد (أي قَبْلَ ٢٠٠٠ سنةٍ مِن ميلادِ المسيح). وهذا الكتابُ «مَلِكُ المَجْد» كُتِبَ في سنةِ ٢٠١١ ميلاديَّة (أي بعدَ أكثرِ مِن ٢٠٠٠ سنةٍ مِن ميلادِ المسيح). وبهذا، فإنَّ ميلادَ يسوعَ المَسيحِ هو النُّقطةُ الفاصلةُ في التَّاريخ.

المشهد ٤٣: [١٥]«أَلَيْسَ هذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ؟» (مَرْقُس ٦: ٣). فحيثُ إنَّ يوسُفَ لم يَكُنِ الأبَ البيولوجيَّ ليسوع، فقد كانَ يسوعُ ابنَ اللهِ وابنَ الإنسان. انظر الملاحظة رقم ١٩ (المشهد ٥٢).

المشهدان ٤٣ و ٥٨: [١٦]في عيدِ الفِصْحِ كلَّ سنةٍ،كانَ اليهودُ يَتذكَّرونَ حادثةً وَقَعَتْ في زَمَنِ مُوسى عندما كانوا عبيدًا في أرضِ مِصْر. فقد كانَ آباؤُهُمُ الأوائلُ قد ذبحوا الحِملانَ ووضعوا الدمَ على قوائمِ الأبوابِ وعَتباتِها العُليا لأنَّ اللهَ

مُلاحظاتٌ خِتاميَّة

قال: «فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ» (خروج ١٢: ١٣). وفي مُنتصف اللَّيلِ، أَهْلَكَ الربُّ جميعَ الأبناءِ الأبكارِ في كلِّ بيتٍ لم يُوضَعْ عليه مِن دماءِ الحملان. وقد استَخدَم **الله** هذهِ الحادثةَ لإنقاذِ شَعبِه بعدَ ٤٠٠ سنةٍ مِن العبوديَّة.

المشهد ٤٥: [١٧]لن نَتمكَّنَ يومًا من فَهْمِ الثَّالوثِ فهمًا كاملاً. فهو **الله** في نهايةِ المطاف. مع ذلك، فهناكَ جانبٌ نَفهمُه جميعًا وهو الوحدةُ المُثلَّثة. فعالمُنا مليءٌ بالوحداتِ المُثلَّثة: فالزَّمنُ يتألَّفُ مِن مَاضٍ وحاضرٍ ومُستقبل. والفراغُ يتألَّفُ مِن طولٍ وعَرضٍ وعُمقٍ. والإنسانُ يتألَّف مِن رُوحٍ وَنَفْسٍ وجَسَد. والذرَّةُ تتألَّفُ مِن إلكتروناتٍ وبروتوناتٍ ونيوتروناتٍ. كذلك فإنَّ الشَّمسَ وحدةٌ مُثلَّثة. فنحنُ ندعو الكوكبَ نفسَه «الشَّمس»، وندعو نُورَه «الشَّمس»، وندعو حرارتَه «الشَّمس». ومع ذلك فالشَّمسُ واحدة. وهكذا الحالُ أيضًا مع الربِّ الذي هو **الله** الأزليُّ، والابنُ الأزليُّ، والرُّوحُ القُدُسُ الأزليّ. فكما أنَّ النُّورَ والحرارةَ يَنبثقانِ مِن الشَّمس، فإنَّ ابنَ **الله** (كلمته) وروحَ **الله** يَنبثقانِ مِن **الله**؛ ومعَ ذلك فإنَّ «الربَّ واحدٌ» (تثنية ٦: ٤). انظر أيضًا المشهدَ ٤ والملاحظةَ ٥ (المشهد ٦). ولقراءةِ المزيدِ عن وِحدةِ **الله** الجامعة، وبَشريَّةِ يسوعَ، وطبيعتِه الإلهيَّة، اقرأ كتابَ: «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ»، الفصل ٩ و ١٧. والأفضلُ مِن ذلكَ هو أن تقرأَ إنجيلَ يوحنَّا.

المشهد ٤٧: [١٨]كلمةُ «المسيَّا» تَعني: «المُختار» أو «المَمْسوح». وفي الأزمنةِ القديمةِ في الشَّرق، عندما كانَ يَتمُّ تَنصيبُ ملكٍ جديد، كانَ يأتي أحدُ الكهنةِ أو الأنبياءِ ويَسْكُبُ زيتًا خاصًّا على رأسِه كدلالةٍ وبُرهانٍ على أنه الحاكمُ الجديدُ للمملكة. ويسوعُ لم يُمْسَح مِن إنسان، بل مِن الرُّوحِ القُدُسِ نفسِه (انظر المشهد ٤٥).

المشهد ٥٢: [١٩]كثيرًا ما أشارَ يسوعُ إلى نفسِه بأنه ابنُ الإنسان. فقد كانَ دومًا ابنَ **الله**، ولكنه صارَ ابنَ الإنسان. وبصفتِه ابنَ **الله** فهو الكلمةُ الذي كانَ معَ **الله** في البدءِ (يوحنَّا ١: ٢؛ تكوين ١: ٣). ولكن بصفتِه ابنَ الإنسانِ فهو الكلمةُ الذي صارَ جسدًا، والشخصُ الذي اختارَه **الله** ليكونَ مُخَلِّصًا لهذا العالم، وديَّانًا له، ومَلِكًا عليه (يوحنَّا ١: ١٤؛ دانيال ٧: ١٣–١٤).

المشهد ٥٦: [٢٠]كانَ الفرِّيسيُّون أعضاءً في جماعةِ اليهودِ الغَيورين. وكانَ بعضُهم يُصَلِّي ستَّ مرَّاتٍ في اليوم، ويصومُ ثلاثةَ أشهرٍ في السَّنة، ويُعطي عُشْرَ دَخْلِه للفُقراء (لوقا ١٨: ٩–١٤). ولكنَّ هذه كُلَّها كانت مُجَرَّد طُقوسٍ جَوفاء. فقد كانوا مُتَدَيِّنينَ، ولكنهم لم يَعرفوا **الله** حَقَّ المعرفة، ولم يُحِبُّوه بالمعنى الحقيقيِّ للحُبّ.

المشهد ٦٨: [٢١]في ما يتعلَّقُ بالمؤمنينَ بالربِّ يسوعَ المسيح، فإنَّ المعموديَّةَ هي وسيلةٌ للإعلانِ عن اختيارِهم بأن يَتْبَعوه. والتغطيسُ في الماءِ لا يُزيلُ الخطيَّة، بل هو يَرمزُ إلى اقترانِ المؤمنِ بيسوعَ في موتِه، ودَفْنِه، وقيامتِه. كما أنَّ المعموديَّةَ بالماءِ تُصَوِّرُ نهايةَ الحياةِ القديمةِ وبدايةَ الحياةِ الجديدةِ في المسيح.

[٢٢]بعدَ أيَّامٍ قليلةٍ مِن صعودِ ابنِ **الله** إلى السَّماء، نَزَل رُوْحُ **الله** ليسكنَ في قلبِ كلِّ رجُلٍ وامرأةٍ وطِفلٍ يؤمنُ بالإنجيل. ويُدَوِّنُ سِفْرُ أعمالِ الرُّسُلِ في العهدِ الجديدِ القصَّةَ المُدهشةَ عن كيفَ أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ أعطى التلاميذَ القوَّةَ لإظهارِ صِفاتِ يسوعَ ولتوصيلِ رسالتِه إلى الأمم. وطريقةُ **الله** لتخليصِ البشرِ لم تَتغيَّر. فإذا عَقَدْتَ العَزْمَ على الإيمانِ برسالتِه (بأنَّكَ خاطئٌ، وبأنَّك مُنفصلٌ عنِ **الله** القُدُّوس، وبأنَّكَ عاجزٌ عن تخليصِ نفسِكَ مِن عقوبةِ الخطيَّة، وبأنَّ يسوعَ المسيحَ أخذَ العقابَ عنكَ على الصَّليب، وبأنه دُفِنَ وقامَ ثانيةً مِن الأموات)، فحينئذٍ سوفَ تَحصلُ أنت أيضًا على هِبَةِ الرُّوحِ القُدُس. وهذا يَعني أنَّ مَلِكَ الكونِ نفسُه سيأتي ويَسْكُنُ في قلبِك. وسوفَ يُصبحُ **الله** سيِّدَكَ الجديد، وأباكَ الجديد، وصديقَكَ الجديد. والكتابُ المقدسُ يقول: «الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ» (أفسس ١: ١٣–١٤). وهكذا، فـ**الله** هو مَلِكٌ عظيمٌ ورائعٌ، وسوفَ تكونُ هناكَ برفقتِه عائلةٌ كبيرةٌ ورائعةٌ تقضي الأبديَّةَ معه. فهل ستكونُ هناك؟

مزيدٌ مِنَ العُمق

كما هيَ الحالُ معَ «مَلِكِ المَجْد» فإنَّ كتاب «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ» يأخذُكَ في رحلةٍ عبرَ الأسفارِ النَّبويَّة؛ ولكنها رحلةٌ أعمقُ لأنها تُقارِنُ رسالةَ الكتابِ المُقدَّسِ بالعديدِ مِنَ النَّظراتِ العالميَّة. وفي كتاب «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ» سوفَ تجدُ الإجاباتِ عنِ الأسئلةِ التي لم نُجِبْ عنها في «مَلِكِ المَجْد» (بسببِ ضيقِ المساحةِ وصِغَرِ عُمرِ القُرَّاء).

وفي حينِ أنَّ قراءةَ «مَلِك المَجْد» بصوتٍ مَسموعٍ لا تَستغرقُ أكثرَ مِن ثلاثِ ساعاتٍ، فإنَّ قراءةَ «إلهٌ واحدٌ، رسالةٌ واحدةٌ» تَستغرقُ اثنتَي عشْرَةَ ساعةً تقريبًا.

يحتوي هذا الكتابُ على خُلاصةِ تجاربِ الكاتبِ الشخصيَّة، ورسائلِ البريدِ الإلكتروني التي استلمها مِن بعضِ المُتَشَكِّكين، وإعادةِ صياغةِ لأعظمِ قصَّةٍ في التَّاريخ. لهذا، فهو يُشَكِّلُ الإطارَ العامَ الضروريَّ لإعادةِ التفكيرِ في أهمِّ الأسئلةِ في الحياة.

- المؤلِّف: پول د. برامسن
- الرُّسومات: د. س. برامسن.
- النَّاشر: دار منهل الحياة بإذن من Rock International
- المُوزِّع: دار منهل الحياة
- الترقيم الدولي: ISBN 978-9953-530-54-3
- ٤٩٦ صفحة.
- أكثرُ من ٣٠ رسم توضيحي.
- دليلُ مُناقشةٍ يحتوي على أكثرَ مِن ١٥٠ سؤالاً.
- ٢٧١ ملاحظة ختاميَّة.
- تنزيلٌ مجَّانيٌّ عن الإنترنت باللغاتِ التالية: العربية، الألبانيَّة، الصينيَّة، الإنجليزيَّة، الفارسيَّة، الفرنسيَّة، الروسيَّة، الإسبانيَّة، التركيَّة، الأوردو، الأندونيسيَّة، وغيرها.
- www.one-god-one-message.com

هذا الكتابُ هو مَنْجمٌ للحقِّ. كما أنَّ أسلوبَ الكتابةِ فريدٌ مِن نوعِه. وهو مليءٌ بالأشياءِ التي تُثيرُ اهتمامَ الإنسان.
– وليم مكدونالد، مؤلِّفُ كتابِ «تفسيرُ الكتابِ المقدَّسِ للمؤمن» و ٨٠ كتابًا آخر

الاقتباساتُ مِن الرسائلِ الإلكترونيَّةِ تؤكِّد للقارئ أنَّ الكاتبَ لا يَتهرَّبُ مِن الأسئلةِ الصَّعبة.
– فوغان، شمال إفريقيا

إنه أشبهُ بقصصِ التشويقِ البوليسيَّة.
– ثيو، قارئ مِن كندا

بعدَ أن قرأتُ هذا الكتاب، أصبحَ منطقُ الكتابِ المقدَّسِ معقولاً ومقبولاً لديَّ. وبسببِ ذلك، فقد تَحَمَّستُ لقراءةِ الكتابِ المقدَّس.
– محمد، مُراسِلٌ مِن الشرقِ الأوسط